المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
فرع الدراسات العليا

تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى

للقاضي العلامة / كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني
٦٦٧ هـ - ٧٢٧ هـ

دراسة وتحقيق
بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة

إعداد الطالب
عبدا لعزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الجفير

إشراف فضيلة الدكتور
عبد العزيزالمرشدي

١٤٢٣هـ
الجزء الأول

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد :

فالرسالة دراسة وتحقيق مخطوط في العقيدة

عنوانها : **تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى**

تأليف : **محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني**

وعملي فيها دراسة وتحقيق .

فمن حيث الدراسة ترجمت للمؤلف ، وعرّفت به من ناحية ولادته ونسبه وطلبه للعلم وأساتذته وطلابه ومؤلفاته العلمية ، وتحققت من صحة نسبة المخطوط إليه عن طريق كتب المؤلفين وعن طريق من نقل عنه من العلماء .

ثم بدأت بالتحقيق فعزوت الآيات والأحاديث وأقوال العلماء وغيرهم إلى مصادرها ، وعرفت بالعلماء والأماكن والفرق المذكورة .

والمخطوط ابتدأ المؤلف فيه بسبب تأليف الكتاب ثم بيّن منهجه فيه وذلك بتعريف الملائكة وبيان فضلهم ، وتعريف النبوة وما يتعلق بها ، ثم بيان الصدّيق والشهيد ، وعن الجهاد ومقام الصلاح ، ثم العلم والعلماء ، ثم المفاصلة بين أصحاب هذه المقامات ، ثم خاتمة المخطوط عن أهمية الجهاد ، ثم كتبت خاتمة لما قمت به ، ثم الفهارس ابتداءً بفهارس الآيات ثم الأحاديث ثم المراجع ثم الأعلام ثم الألفاظ الغريبة ثم الشعر ثم الأماكن والبلدان ثم الفرق ثم الموضوعات .

هذا وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسلم تسليماً كثيراً .

Summary

All The Praises And Thanks Be To Allah , The Lord Of All That Exists , Peace And Blessings Of Allah Be Upon Our Prophet Muhammad , Upon His Folks And Companions .

This research is a study and Investigation Of A written Work On The Faith With A Title :

" Achieving Importance From Those With The Supreme Companion .. "

Author : Muhammad Ali Abdul-Wahid Al-Zamalkani..

My Mission Throughout Was A Study And Investigates As For The Study , I Identified And Introduced The Author From His Birth , Family , Seeking Knowledge , His Masters , Students , And His Writings .. I Investigated That The Written Work Was Rightly His Own According To Those Who Had Taken And Reported From Him .. Then , I Started Investigating I Rendered The Verses , Hadith , Scientists' Saying And Other To Their Sources .. I Identified Scientists , Places . Mentioned Groups ..

The Author Started His Written Script With The Reason Why He Did It , Then He Showed The Way He Followed In Writing With Identifying Angels And Their Fave He Identified Prophet hood And What Is Relevant , Then Show What Is The Honest , The Martyred And Jihad (Striving) The Position Of Good' , Also The Science And Scientists , And Comparing Those In Such A Good Position .. Then , The End Of The Written Work ; Which Is About The Importance Of Jihad (Striving In The Way Of Allah) . .

Last Of All , I Wrote An Epilogue Of What I Have Done , Then The Index Of Ver. Hadith , References , Men , Glossary Of Words , Poetry , Places , Countries . Groups And Topics ..

Peace And Blessings Of Allah Be Upon Our Prophet Muhammad , Upon His Folks And Companions .

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله :﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[(١)] ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾[(٢)] ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[(٣)] ثم أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله عزَّ وجل وأحسن الهدي ، هدي محمد ﷺ وخير الأمر ما كان خالصاً لله واتباعاً لنبي الله محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وبعد :ـ

فإن الله عزَّ وجل خلق الخلق وجعل بينهم تفواتاً في نواحٍ عديدة في ألوانهم وأجسامهم وذواتهم وخصائصهم ومنافعهم وأضرارهم وفضلهم وغير ذلك من الفوارق والتفاوت ، وحكم سبحانه وتعالى على المكلفين بشرعه ونهجه ما به صلاحهم في دنياهم وآخرتهم وجعل معيار قربهم إليه مقدار تمسكهم بأمره

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٢

(٢) سورة النساء آية : ١

(٣) سورة الأحزاب الآيتان ٧٠ - ٧١

وإخلاصهم له وجعل لذلك علامات ودلالات وجعل لتفاوقم درجات ومسميات وخاطب المكلفين بقوله: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[1] وقد تقدمت إلى جامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين في قسم العقيدة بإطروحة دكتوراة بمخطوط هو :

كتاب تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى لمؤلفه القاضي العلامة كمال الدين محمد بن أحمد بن عبد الواحد الزملكاني .

خطة الأطروحة :

قسمت العمل إلى قسمين :

الأول : دراسة المؤلف .

والثاني : تحقيق المخطوط

القسم الأول :

دراسة المؤلف :

فبدأت بنسبه ثم مولده ثم نشأته وتطرقت إلى ترجمة جده ووالده وعمه ، وعمه الآخر وخاله وابنه بحكم أنه من بيت علم ، ثم نشأته العلمية وصفاته ثم أعماله سواء التدريس منها أو القضاء أو الكتابة في مجلس الدولة وذكرت نموذجاً من كتابته ثم تطرقت إلى سماعه الحديث وترجمة مشائخه في الحديث ثم شيوخه في الفقه والنحو والأصول والكتابة ترجمت لهم ثم ترجمت لمن أطلعت عليه من تلاميذه الذين درسوا عليه ثم ذكرت كتبه ثم حققت في مخطوطه من جهة اسمه ومن جهة صحة نسبته إليه وأوردت من الشواهد والنقول ما يدل على صحة نسبة المخطوط إليه ثم وصفت المخطوط بعد ذلك بدأت بتحقيق المخطوط نفسه فخرجت الآيات فأشرت عند كل آية في الهامش ما يدل على موقعها في المصحف من اسم السورة ورقم الآية ثم بعد ذلك حققت الأحاديث وذلك بالإشارة إلى من خرج الحديث

(١) سورة الحجرات آية : ١٣

فإن كان البخاري ومسلم أو أحدهما اكتفيت بذكره ومكانه في الجزء والصفحة وإذا كان الحديث ليس فيهما ولا في أحدهما بل في غيرهما فإني أبحث في أقوال العلماء ما يبين به درجة الحديث قوة وضعفاً ما أمكن وأورد له من المراجع وتعدد الأسانيد ما تيسر .

ثم ما كان من الإعلام عرفته إلا المشهور منهم والصحابة ، ثم ما يحتاج في نظري إلى تعليق من المسائل علقت عليه وكذلك عزوت أبيات الشعر إلى قائلها وكذلك عرفت الأماكن والألفاظ الغريبة من مظانها تقريباً .

وفي الختام لا أنسى أن أقول إن الله عزَّ وجلَّ أبى أن يكون الكمال لكتاب إلا لكتابه – وهذه المقولة قد سبقت إليها – وأن ما فيه من صواب فهو من توفيق الله عزَّ وجلَّ وما فيه من خطأ فإني أستغفر الله من ذلك وأتوب إليه .

ولا يفوتني بعد شكر الله تعالى أن أتقدم شاكراً ومقدراً لكل من ساهم معي في هذا الجهد المتواضع أياً كانت مساهمته وأول من أبدأ به والديَّ وأسأل الله أن يجزل لهما المثوبة والأجر وأن يغفر لهما ذنوبهما... آمين .

كذلك أتقدم شاكراً ومقدراً لجامعة أم القرى إدارة ومدرسين وأخص جميع من درست عليه فيها كذلك أتقدم شاكراً ومقدراً لكلية الدعوة وأصول الدين وأخص منها قسم العقيدة ، وأتقدم شاكراً لعمادة الدراسات العليا كذلك أتقدم شاكراً ومقدراً للمشرف على هذه الرسالة فضيلة الدكتور عبد العزيز المرشدي الذي كان له دور مشكور في هذه الرسالة وقد أولاني من اهتمامه ورعايته وفتح لي صدره وبيته وأكرمني فجزاه الله عني خير ما جزى مشرفاً عن طالب .

كذلك أتقدم بالشكر والتقدير لكل من له عون لي فيها بالإشارة والتوجيه والمساعدة والتنبيه والطباعة وتهيئة الجو المناسب من أهل وأولاد وأقارب وأحباب كذلك أتقدم شاكراً ومقدراً للمناقشين الكريمين اللذين تفضلا واقتطعا جزءً مهما من وقتهما الثمين وقاما مشكورين برتق ما في هذه الأطروحة من

شقوق وتقويم ما فيها من أعوجاج وما هذا منهما إلا نصحاً وتوجيهاً يجري عـــادة مثله بين الأب وأبنه .

أسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناهما وأن يجعل هذا العمل خالصـــاً لوجهه الكريم وعوناً للجميع على الطاعة ، وصلى الله وسلم على عبده ورســـوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ترجمة المؤلف

نسبه :

هو : الشيخ / كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الزملكاني الأنصاري السماكي نسبة إلى أبو دجانة ﷺ : سماك بن خرشة والله أعلم .

والزملكاني لقب اشتهر به نسبة إلى زملكا ، وزملكاني بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام وآخره نون قريتان أحدهما ببلخ والأخرى بدمشق .

وأما أهل الشام فإنهم يقولون زَمَلكًا بفتح أوله وثانيه وضم لامه والقصر ، لا يلحقون به النون قرية بغوطة دمشق(١)

مولده :

ولد رحمه الله تعالى في دمشق ليلة الاثنين الثامن من شوال سنة ست وستين وستمائة وقيل سنة سبع وستين وستمائة من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

نشأته :

يتميز المؤلف رحمه الله تعالى بأنه من بيت علم في نسبه وبلده الذي ينتمي إليه وبلده الذي نشأ فيه فأبوه وجده وعمه وخاله وبعض أخوته علماء .

فجده هو : عبد الواحد بن خلف بن نبهان خطيب زملكا كان فاضلاً متميزاً في علوم متعددة تولى قضاء صرخد ودرس ببعلبك وناب بدمشق ومات بها في المحرم سنة خمسين وستمائة للهجرة(٢) .

---

(١) معجم البلدان ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار الفكر بيروت ٣/١٥٠ مادة زملكان

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٣/٢٥٤ وطبقات الشافعية الكبرى ، عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي ، تحقيق : د . عبدالفتاح محمد الحلو ، ود . محمود محمد الطناحي ، دار هجر الجيزة الطبعة الثانية ١٩٩٢م ٨/٣١٦.

أما والده فهو : علاء الدين بن العلامة البارع كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم مدرس الأمينية بعد والده توفي في ربيع الآخر سنة تسعين وستمائة وقد نيف على الخمسين[1] .

وعمه : أحمد بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الفقيه المؤرخ ، ولد سنة خمس وأربعين وستمائة للهجرة وشرع في تاريخ كبير على نمط تاريخ ابن خلكان وعمل فيه إلى حرف الجيم في نحو ثلاث مجلدات ، توفي في صفر سنة تسع وتسعين وستمائة للهجرة[2] .

وعمه أيضاً : علاء الدين ، علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري السماكي الدمشقي الشافعي توفي في ربيع الآخر سنة تسعين وستمائة للهجرة وقد نيف عام الخمسين[3] .

وخاله : زهير الدين العنبري كان من الكتاب الكبار توفي في المحرم سنة اثنتين وسبعمائة للهجرة ببعلبك[4] .

ومن أبنائه : تقي الدين عبد الرحمن ولد في شعبان سنة سبع وتسعين وستمائة للهجرة بدمشق ولازم والده وتخرج به توفي يوم الجمعة العاشر من صفر سنة تسع وثلاثين وسبعمائة للهجرة[5] .

---

(١) شذرات الذهب ٤١٧/٣ والبداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، مكتبة المعارف بيروت ، لبنان ، ٣٢٥/١٣

(٢) طبقات الشافعية أبو كبر أحمد بن محمد بن عمر قاضي شهبة ، تحقيق : د . الحافظ عبدالحليم خان عالم الكتب ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، ١٦٥/٢.

(٣) شذرات الذهب ٤١٧/٣

(٤) أعيان العصر وأعوان النصر ص١٢٥٨

(٥) كتاب الوفيات أحمد بن علي الخطيب ، تحقيق : عادل نويهض دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٨م ، ٢٤٧/١

نشأته العلمية وأخلاقه :

بعد سقوط بغداد بأيدي التتار سنة ست وخمسين وستمائة ٦٥٦هـ أصبحت كل من دمشق والقاهرة مركزاً للعلم والعلماء وحاضراً للعالم الإسلامي والمؤلف رحمه الله تعالى ولد ونشأ في دمشق ودرس العلوم الشرعية واللغوية وكان ذا فكر وقّاد وذكاء حاد فنبغ حتى صار إماماً علامة بصيراً على المذهب الشافعي أتقنه وضبط أصوله وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي تدريساً وإفتاء ومناظرة وكان ذا فصاحة وأدب له نظم ونثر ومن نبوغه وعلو شأنه أنه جلس للفتيا وله نيف وعشرون سنة وصنف وكتب الكتب والخطب وله مناظرات مع أقرانه في مسائل شتى وتخرج عليه غالب علماء العصر ، وكان كريم النفس عالي الهمة متجملاً في مأكله وملبسه ذا شيبة حسنة يكاد الورد يلقط من وجنتيه وكان خطه جميلاً وتدريسه مفهماً حسن العبارة له قدرة على توصيل العلم بعبارة حسنة حلوة فصيحة ممتعة .

أعماله :

ولي نظارة الخزانة ووكالة بيت المال ونظر المارستان وولي ديوان الأفرم .

وولي قضاء حلب ثم طلب إلى مصر ليشافهه السلطان بقضاء الشام لكنه مات قبل وصوله وكان رابع أربعة عند دخوله في ديوان الإنشاء ووقع في الدست مدة – ويعني ذلك الكتابة في ديوان الرسائل للحاكم

سماعه الحديث :

سمع من عدة علماء من أشهرهم :

١- ابن علان :

أبو الغنائم المسلم بن محمد بن المسلم بن مكي بن خلف بـــن عـــلان القيســـي الدمشقي .

ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة للهجرة اسمع مسند الإمام أحمد وحدث بصحيح مسلم وجامع الترمذي وغير ذلك – توفي يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ثمانين وستمائة للهجرة وله سبع أو ست وثمانون سنة[١]

٢- ابن البخاري :

أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي فخر الدين .

ولد في سنة خمس وتسعين وخمسمائة للهجرة وطال عمره ورُحل إليه لطلب العلم من البلاد وأَلْحق الأسباطَ بالأجداد في علو الإسناد حدث نحواً من ستين سنة . لم يحصل لأحد الحظوة في الرواية في زمانه مثل ما حصل إليه والله أعلم .

وبقيت طلبته إلى نيف وسبعين وسبعمائة للهجرة توفي رحمه الله تعالى ضحى يـــوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الآخر سنة تسعين وستمائة للهجرة[٢]

---

(١) المعين في طبقات المحدثين (طبقات المحدثين) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : د . همام بن عبد الرحيم سعيد دار الفرقان عمان الأردن الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ص٢١٧ .

والبداية والنهاية ٢٩٩/١٣ والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بـــن تغـــري بـــردي الأتابكي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر مصر ٣٥٣/٧ والعبر في خير من غبر ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومـــة الكويت الطبعة الثانية – مصورة – ١٩٤٨ ، (١) ٣٣٢/٥ وشذرات الذهب ٣٦٩/٣ .

(٢) طبقات المحدثين ص٢٢٠ ، والعبر (١) ٣٦٨/٥ والبداية والنهاية ٣٢٤/١٣ والنجـــوم الزاهـــرة ٣٢/٨ وشذرات الذهب ٤١٤/٣ والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، برهان الـــدين=

٣- ابن المجاور :

نجم الدين أبو الفتح : يوسف بن يعقوب بن المجاور الشيباني .

ولد سنة إحدى وستمائة للهجرة وتوفي في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة تسعين وستمائة للهجرة[١] .

٤- ابن الواسطي :

تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فضل بن الواسطي الحنبلي .

ولد سنة اثنتين وستمائة للهجرة ، له رحلات في طلب العلم وكان داعياً إلى عقيدة أهل السنة والسلف الصالح قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ذكر عنه أنه تفرد بعلو الإسناد وكثرة الرواية والعبادة – توفي آخر نهار الجمعة في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وستمائة للهجرة[٢] .

٥- أبو القواس :

ناصر الدين أبو حفص : عمر بن عبد المنعم بن عمر الطائي الدمشقي .

كان خيراً ديناً متواضعاً محباً للرواة – توفي في ثاني ذي القعدة من سنة ثمان وتسعين وستمائة للهجرة وله من العمر ثلاث وتسعون سنة[٣] والله أعلم

شيوخه :

١- بهاء الدين بن الزكي :

أبو الفضل يوسف بن يحيى بن محمد بن علي بن محمد القرشي الدمشقي الشافعي

=إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح تحقيق : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٩٩٠م ٢/ ٢١٠ .

(١) طبقات المحدثين ص٢٢٠، وشذرات الذهب ٣/ ٤١٧ ، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٣ والعبر(١) ٥/ ٣٧٠.

(٢) طبقات المحدثين ص٢٢٠ ، وشذرات الذهب ٣/ ٤١٩ والعبر(١) ٥/ ٣٧٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٣٣ .

(٣) شذرات الذهب ٣/ ٤٤٢ والعبر(١) ٥/ ٣٨٨

ولد سنة أربعين وستمائة للهجرة برع في العلم وكان ذا ذكاء مفرط وقدرة على المناظرة وحل المعضلات ، بارع في الأصول بصيراً في الفقه فصيحاً مفوهاً سريع الحفظ علامة كريم النفس كثير المحاسن .

توفي في الحادي عشر من ذي الحجة سنة خمس وثمانين وستمائة للهجرة وله خمس وأربعون سنة[1] والله أعلم

٢ – بدر الدين بن مالك :

محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الشافعي .

شيخ العربية وقدوة أرباب المعاني والبيان أخذ عن والده وكان إماماً ذكياً حاد الذهن تصدر للأشغال بعد موت والده تفرد بعلم العربية وشرح ألفية والده وهو شرح في غاية الحسن وشرح لامية والده التي في الصرف وغير ذلك .

توفي بدمشق في الثامن من المحرم سنة ست وثمانين وستمائة للهجرة عن نيف وأربعين سنة[2] والله أعلم .

٣ – تاج الدين بن الفركاح :

أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري الدمشقي الشافعي .

ولد في ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة للهجرة تفقه على ابن الصلاح وابن عبد السلام .

معظم قضاة الشام وما حولها وقضاة الأطراف تلامذته .

---

(١) شذرات الذهب ٣٩٤/٣ والبداية والنهاية ٣٠٨/١٣ والعبر في خبر من غبر (١) ٣٥٦/٥ والدارس في تاريخ المدارس ، عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، ١٦٦/١ .

(٢) شذرات الذهب ٣٩٨/٣ والعبر في خبر من غبر (٢) ٧/١ والدارس ١٢١/١

كان رحمه الله عنده من الكرم المفرط وحسن العشرة وكثرة الصبر والاحتمال والقناعة والإيثار والمبالغة في اللطف ولين الكلمة والأدب وعدم التكثر من الدنيا ما لا مزيد عليه وكان ملازماً لقيام الليل .

توفي في الخامس من جمادي الآخرة سنة تسعين وستمائة للهجرة[1] والله أعلم .

٤ – شهاب الدين الخوئي :

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى بن محمد الشافعي .

ولد بدمشق في شوال سنة ست وعشرين وستمائة للهجرة .

كان محباً للحديث وعلمه وعلمائه .

توفي يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة للهجرة[2] والله أعلم

٥ – شمس الدين الأيكي :

محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي الشافعي المعروف بالأيكي .

كان فقيها صوفيا رحل إلى بلدان عدة للتدريس .

توفي بقرية المزة يوم الجمعة قبيل العصر الثالث من شهر رمضان في سنة سبع وتسعين وستمائة للهجرة عن سبعين سنة[3] والله اعلم

٦ – صفي الدين الهندي :

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي ثم الهندي الشافعي .

---

(١) شذرات الذهب ٤١٣/٣ وطبقات الشافعية ١٧٤/٢ والعبر في خبر من غبر(١) ٣٦٧/٥ والبداية والنهاية ٣٢٥/١٣ .

(٢) البداية والنهاية ٣٣٧/١٣ والدارس ١٧٨/١ والنجوم الزاهرة ٥٤/٨ وشذرات الذهب ٤٢٣/٣

(٣) الدارس ٣٢٠/١ ، وشذرات الذهب ٤٣٩/٣ ، وطبقات الشافعية ١٩١/٢ ، والبداية والنهاية ٣٥٣/١٣

مولده بالهند في ربيع الأخر سنة أربع وأربعين وستمائة من الهجرة تفقه على جده لأمه رحل من الهند سنة سبع وستين وستمائة من الهجرة إلى اليمن وحج ثم قدم مصر وانتهى به الترحال إلى دمشق سنة خمس وثمانين وستمائة من الهجرة وانتصب للإفتاء والإقراء في الأصول .

له عدة مؤلفات في الأصول وغيره .

توفي بدمشق ليلة الثلاثاء سبع وعشرين من شهر صفر سنة خمس عشرة وسبعمائة من الهجرة عن إحدى وسبعين سنة[1] والله اعلم

٧ـ نجم الدين ابن البصيص :

موسى بن علي بن محمد المعروف بابن البصيص .

ولد بحماة سنة إحدى وخمسين وستمائة من الهجرة شيخ صناعة الكتابة في زمانه .

كتب الأقلام كلها ثم اخترع قلماً سماه المعجز.

وقد أقام يكتب للناس خمسين سنة .

توفي بدمشق يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة سنة ست عشرة وسبعمائة من الهجرة[2] والله اعلم

تدريسه :

درس بالعالية الصغرى وتربة أم الصالح وبالشامية وبالشامية البرانية والظاهرية الجوانية والعدراوية والرواحية والمسرورية .

ودرس في حلب في السلطانية والسيفية والعصرونيه والأسدية

---

(١) شذرات الذهب ٣٧/٦ ، وطبقات الشافعية ٢٢٧/٢ ، والدرر الكامنة ٢٦٢/٥ ، والبداية والنهاية ٧٤/١٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى ١٦٢/٩ والدارس ٩٨/١

(٢) البداية والنهاية ٧٩/١٤ ، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : تحقيق : د . محمد عبدالمعيد خان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ ، ١٤٠/٦ ، والعبر في خبر من غبر (١) ٨٩/٦ .

أما أشهر تلاميذه فهم كالتالي :

١ـ بهاء الدين :

أبو بكر بن صالح بن خضر المقدسي النابلسي ثم الدمشقي .

توفي ليلة الأربعاء الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة للهجرة[١] والله اعلم

٢ـ القاضي برهان الدين أبو إسحاق :

إبراهيم بن أحمد بن هلال بن بدوي الزرعي الدمشقي الحنبلي .

ولد سنة ثمان وثمانين وستمائة للهجرة ، سمع من عدّة ، وحدث وتفقه وبرع وأفتى ودرس وناب في الحكم بدمشق ، وكان من أذكياء الناس ذا إنصاف في البحث .

وكان بارعاً في أصول الفقه والفرائض والحساب قوي المناظرة حسن الخلق .

توفي بدمشق يوم الجمعة السادس عشر من رجب سنة إحدى وأربعين وسبعمائة للهجرة[٢] والله اعلم

٣ـ العلامة كمال الدين :

عمر بن محمد بن عثمان بن عبيد الله بن عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن العجمي .

ولد سنة نيف وسبعمائة للهجرة ، أخذ عن الزملكاني وسمع الحديث بمصر والشام وتميز وتفنن ، كان ذهنه وقادا وتقدم في عدة فنون وكان حسن المجالس والمذاكرة.

---

(١) كتاب الوفيات ، أبو العباس : أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ، تحقيق : عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٨ ١/٣٦٥ ، والدرر الكامنة ١/٣٥٠ .

(٢) الوفيات ١/٣٦٨ ، وشذرات الذهب ٣/١٢٩ ، والدرر الكامنة ١/١٥ ، والعبر في خبر من غبر(١) ٦/٢٢٢

مات بحلب في ذي الحجة سنة أربع وأربعين وسبعمائة للهجرة وعمره في حدود الأربعين[1] والله اعلم

٤- العلامة الحافظ المقرئ أبو عبد الله :

محمد بن أحمد بن عثمان قايماز التركماني الفارقي الدمشقي المعروف بالذهبي .

ولد في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة للهجرة .

سمع ببلاد كثيرة من خلائق يزيدون على ألف ومائتين ، وتفقه على ابن الزملكاني وغيره وقرأ القراءات وأتقنها وأقبل على صناعة الحديث فأتقنها وتخرج به حفاظ العصر وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة .

إمام أهل عصره حفظاً وإتقاناً وذهبي العصر معنى ولفظا .

توفى يوم الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة للهجرة[2] والله اعلم

٥- شهاب الدين أبو العباس :

أحمد بن يحي بن فضل الله بن مجلي بن دعجان بن خلف العمري القرشي الدمشقي الشافعي ينتهي نسبه إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ولد بدمشق في ثالث شوال سنة سبعمائة للهجرة .

سمع بالقاهرة ودمشق وأخذ الفقه والأصول عن ابن الزملكاني وغيره وتخرج في الأدب بوالده كان يتوقد ذكاء مع حافظة قوية وله اقتدار على النظم والنثر حسن الذاكرة سريع الاستحضار جيد الحفظ فصيح اللسان جميل الأخلاق بشر المحيا له : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في سبعة وعشرين مجلدا وفواصل السمر في فضائل عمر أربع مجلدات وغير ذلك ، وقد انتهت إليه رئاسة الإنشاء .

---

(١) العبر في خبر من غبر (١) ٢٤٢/٦ والدرر الكامنة ٢٢٠/٤

(٢) طبقات الشافعية ٩٨/٣ ، وطبقات الحفاظ : عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ، ص/٥٢٢ ، وشذرات الذهب ١٥٣/٣ ، والدارس ٥٩/١ ، وطبقات الشافعية الكبرى ١٠٠/٩

توفي بالطاعون بدمشق يوم السبت يوم عرفة سنة تسع وأربعين وسبعمائة للهجرة[1] والله اعلم

٦ـ شهاب الدين :

أحمد بن موسى بن خفاجا الصفدي الشافعي .

أخذ عن الزملكاني وغيره .

كان ماهراً في الفرائض والوصايا انقطع بقرية قرب صفد يفتي ويصنف ويتعبد ويعمل بيده في الزراعة لقوته وقوت أهله ، له مصنفات منها : شرح التنبيه في عشر مجلدات ومختصر في الفقه سماه العمدة ، وشرح الأربعين للنووي في مجلد ضخم وغير ذلك ، توفي بصفد سنة خمسين وسبعمائة للهجرة[2] والله اعلم

٧ـ فخر الدين :

محمد بن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم المعروف بالفخر المصري .

ولد بالقاهرة سنة اثنتين وقيل إحدى وتسعين وستمائة للهجرة .

سمع الحديث بدمشق وتفقه على ابن الزملكاني وتخرج به وأذن له بالإفتاء في سنة خمس عشرة وسبعمائة للهجرة وناب في القضاء مدة ثم تفرغ للعلم وتصدر للفتوى وأصبح عين الشافعية بالشام وكان من أذكياء زمانه .

توفي بدمشق صبح سادس عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة للهجرة[3] والله اعلم

---

(١) الوفيات ١١٢/٢ ، وشذرات الذهب ١٦٠/٣ ، والبداية والنهاية ٢٢٩/١٤ ، والدرر الكامنة ٣٩٣/١ ، وطبقات الشافعية ١٦/٣ ، والعبر في خبر من غبر ٢٧٥/٦

(٢) شذرات الذهب ١٦٧/٣ ، وطبقات الشافعية ١٦/٣ ، والدرر الكامنة ٣٨١/١

(٣) شذرات الذهب ١٧٠/٣ ، والدرر الكامنة ٣٠٢/٥ ، وطبقات الشافعية ٦٢/٣ ، والوفيات ١٣٨/٢ ، والنجوم الزاهرة ٢٥٠/١٠

٨ـ بهاء الدين أبو المعالي وأبو عبد الله :

محمد بن علي بن سعيد بن سالم الأنصاري الدمشقي الشافعي المعروف بابن إمام المشهد .

ولد في ذي الحجة سنة ست وتسعين وستمائة للهجرة .

سمع بدمشق ومصر وغيرهما وتفقه على ابن الزملكاني .

وغيره برع في الحديث والقراءات والعربية والفقه وأصوله وأفتى وناظر وألف ودرّس بعدة مدارس .

توفي بدمشق في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة للهجرة[1] والله اعلم

٩ـ محمد بن عمر بن محمد بن الخباز الدمشقي المعروف بالحلبي :

ولد سنة ثمان وتسعين وستمائة للهجرة .

كان أبوه خبازا فنشأ هو طالب علم قرأ على مجموعة علماء منهم كمال الدين بن الزملكاني وأذن له في الإفتاء .

توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة للهجرة[2] والله اعلم

١٠ـ الإمام العلامة الحافظ :

صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي الشافعي .

ولد بدمشق في ربيع الأول سنة أربع وتسعين وستمائة للهجرة ، لازم كمال الدين ابن الزملكاني وتخرج به وكان إماما محدثا حافظا متقنا جليلا فقيها أصوليا نحويا يستحضر الرجال والعلل علامة في المتون والأسانيد مع صحة الذهن وسرعة الفهم جمع بين العلم والدين والمروءة ذا حشمة بلغ عدد شيوخه بالسماع سبعمائة.

---

(١) شذرات الذهب ١٧٢/٤ ، وطبقات الشافعية ٦٤/٣ ، والدرر الكامنة ٣١٨/٥ ، والدارس ١٥٠/١

(٢) الدرر الكامنة ٣٧٢/٥

توفي رحمه الله تعالى بالقدس ليلة الاثنين ثالث المحرم سنة إحدى وستين وسبعمائة للهجرة[1] والله اعلم

١١- القاضي صدر الدين أبو عبد الله :

محمد بن أبي بكر بن عياش بن عسكر المعروف بابن الخابوري الشافعي .

أخذ عن ابن الزملكاني وغيره ، وسمع وحدث واشتغل وأفاد وولي القضاء بصفد مدة ، شيخ طرابلس وخطيبها وفقيهها ووالده كان قاضي بعلبك .

توفي بالمحرم سنة تسع وستين وسبعمائة للهجرة وقد جاوز السبعين سنة[2] والله اعلم .

١٢- عماد الدين أبو الفداء :

إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي القرشي البصروي الدمشقي .

ولد سنة سبعمائة للهجرة أو التي بعدها .

كان فقيها جيد الفهم صحيح الذهن انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير إمام بارع ومحدث متقن وفقيه متفنن .

له : التفسير والتاريخ وتخريج أدلة التنبيه ، رتب مسند أحمد على الحروف وضم إليه زوائد الطبراني وأبي يعلى .

توفي بدمشق في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة للهجرة[3] والله اعلم

---

(١) طبقات الحفاظ ٥٣٣/١ ، والوفيات ٢٢٦/٢ وشذرات الذهب ١٥/٤ ، وطبقات الشافعية ٩١/٣ ، والدارس ٤٨/١ ، والدرر الكامنة ٢١٢/٢ ، والنجوم الزاهرة ٣٣٧/١٠

(٢) شذرات الذهب ٢١٦/٣ ، وطبقات الشافعية ١١٠/٣ والدرر الكامنة ١٤٤/٥ ، وذيل تذكره الحفاظ ، أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسين ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ص٢٢٤

(٣) شذرات الذهب ٢٣١/٣ ، والدرر الكامنة ٤٤٥/١ ، والدارس ٢٧/١ ، وطبقات الحفاظ ٥٣٣/١ ، وطبقات المفسرين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ص٢٦٠

١٣ـ جمال الدين أبو عبد الله :

محمد بن الحسن بن محمد بن عمار بن متوج بن جرير الحارثي المعروف بابن قاضي الزبداني .

ولد في جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وستمائة للهجرة .

تفقه على ابن الزملكاني وغيره وأذن له في الفتوى وسمع الحديث ودرّس بعدة مدارس مفتي الشام ، اشتهر بدمشق في شأن الفتوى ولم يضبط عليه فتوى خطأ.

وانتهت إليه رئاسة الفتوى بالشام في زمانه له أدب وتواضع .

توفي بالطاعون بدمشق في مستهل المحرم سنة ست وسبعين وسبعمائة للهجرة(١) والله اعلم .

١٤ـ شمس الدين أبو عبد الله :

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن خطيب يبرود القرشي الجعبري الدمشقي الشافعي .

ولد في سنة سبعمائة أو في التي بعدها .

اشتغل بالعلم وعني بالفقه والأصول والعربية أخذ عن ابن الزملكاني وغيره وأفتى وولي التدريس وكان من أحسن الناس إلقاء للدرس يضرب بتواضعه المثل وكان من أئمة المسلمين مسدداً في فتاويه وولي القضاء والخطابة بالمدينة النبوية .

توفي بدمشق في شوال سنة سبع وسبعين وسبعمائة للهجرة(٢) والله اعلم

كتبه :

الذي أطلعت عليه من مؤلفاته هو :

١ـ شرح قطعة من المنهاج (أي منهاج الطالبين للنووي)

---

(١) شذرات الذهب ٣٤٤/٣ ، وطبقات الشافعية ١٢١/٣ ، والدرر الكامنة ١٦٣/٥ ، والنجوم الزاهرة ١٣١/١١

(٢) شذرات الذهب ٢٥٣/٣ ، وطبقات الشافعية ١١٣/٣ ، والدرر الكامنة ٥٠/٥ ، والدارس ١٨٠/١

٢ـ الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية[1] في مسألة الطلاق

٣ـ البرهان في إعجاز القرآن[2]

٤ـ الأبحاث الجلية في الرد على ابن تيمية ـ في مسألة حرمة شد الرحال إلى قبور الأنبياء[3]

٥ـ المنهاج في تعلقات الإيلاج[4]

٦ـ شرح فصوص الحكم لابن عربي[5]

٧ـ كتاب في التاريخ[6]

٨ـ عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب[7]

٩ـ تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى[8] وهو هذا الكتاب الذي أقوم بتحقيقه بحول من الله وقوة

---

(١) الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، اعتناء : ديد رينغ ، دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن ، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ٤/٢١٥ ، وشذرات الذهب ٣/٧٩ ، والدرر الكامنة ٥/٣٢٩ ، والنجوم الزاهرة ٩/٢٧٠ وغيرها

(٢) كشف الظنون ، عن أسامي الكتب والفنون : مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

(٣) كشف الظنون ١/٢٢٠ .

(٤) كشف الظنون ٢/١٨٧٧

(٥) كشف الظنون ٢/١٢٦٢

(٦) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الذركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ٦/٢٨٤.

(٧) الأعلام ٦/٢٨٤

(٨) طبقات الشافعية الكبرى ٩/١٨٨ ، وشذرات الذهب ٣/٧٩ وكشف الظنون ١/٣٧٧ والأعلام ٦/٢٨٤

وفـاتــه :

طُلب الشيخ إلى مصر ليشافهه السلطان بقضاء الشام فركب البريد فمات بمدينة بلبيس قبل وصوله القاهرة في ستة عشر من شهر رمضان سنة سـبع وعشـرين وسبعمائة وحمل إلى القاهرة ودفن بجوار قبة الإمام الشافعي[(١)]

التحقيق من المخطوط :

أولاً من اسمه :

أورد اسمه بعض العلماء بمضمونه وموضوعه ففي شذرات الذهب قال في ترجمته للمؤلف ((وله كتاب في فضل الملك على البشر)) [(٢)]

أما في طبقات الشافعية الكبرى فقال في ترجمته للمؤلف : ((صنف .. وكتابـا في فضل البشر على الملك)) [(٣)]

أما في كشف الظنون فسماه باسمه فقال : ((تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى للشيخ كمال الدين محمد بن علي بن الزملكاني)) [(٤)] وكذلك سماه في الأعلام[(٥)]

أما الورقة الخارجية للمخطوط نفسه فقد كتب عليها : كتاب تحقيق الأولى مـن أهل الرفيق الأعلى للعلامة شهاب الدين أحمد بن على بن حجر المكي رحمه الله ثم تحتها تصحيح هو :

---

(١) شذرات الذهب ٧٩/٣ ، وطبقات الشافعية الكـبرى ٨٨/٩ ، والبدايـة والنهايـة ٢٨/١٤ ، والدرر الكامنة ٣٢٨/٥ ، والنجوم الزاهرة ٢٧٠/٩ ، حسن المحاضرة في تاريخ مصـر والقـاهرة ، جلال الدين : عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربيـة ، عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ٣٢٠/١ ، الأعـلام ٢٨٤/٦ ، الوافي بالوفيات ٢١٤/٤

(٢) شذرات الذهب ٧٩/٣

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ١٨٨/٩

(٤) كشف الظنون ٣٧٧/١

(٥) الأعلام ٢٨٤/٦

قال في كشف الظنون : تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى للشيخ كمال الدين محمد بن علي بن الزملكاني المتوفى سنة ٦٥١ وأسفل منها مكتوب : قول الكاتب أن الكتاب لابن حجر سهو منه ، وعلى الورقة أختام مكتبة ابن تيمور وهو مسجل فيها برقم ١٩١ عقائد ، وقوله : المتوفى سنة ٦٥١هـ خطأ في كشف الظنون نقله المصحح كما هو وإلا فإن وفاة المؤلف سنة ٧٢٧هـ وهو كذلك مصحح في كشف الظنون في موضع آخر عند ذكر كتاب آخر للمؤلف وهو البرهان في إعجاز القرآن وذلك في ١/٢٤١

أما المؤلف نفسه فقد قال في مقدمته : " وسميته : تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى في تفاضل أهل العلم والعلوم والأعلام " .

والكتاب كله إنما لتحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى والله أعلم .

ثانيا : نسبة المخطوط للمؤلف كما تبين من مراجع كتب المؤلف نجد أن كتابه هذا كتاب تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى إنما هو لمؤلفه العلامة كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني ، وقد أشار إلى ذلك بعض من ترجم للمؤلف فنجده في ترجمة المؤلف في طبقات الشافعية الكبرى وفي شذرات الذهب ، وكذلك أشار إلى ذلك من اعتنى بالكتب والمؤلفين فنجده في كشف الظنون وفي الأعلام منسوب إليه ، وكذلك أشار إليه بعض من نقل منه أو وافقه مثل ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري عندما ناقش مسألة أيهما أفضل الملائكة أم البشر فبعد نهاية الكلام فيها قال : ((وهذا الجواب ظهر لي وظننت أنه مبتكر ثم رأيته في كلام القاضي كمال الدين بن الزملكاني في الجزء الذي فيه الرفيق الأعلى فقال : ثم أورد كلام المؤلف[1]

(١) فتح الباري شرح صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ ١٣/٣٨٧

وكذلك نقل منه عبد الرؤوف المناوي في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير نشر المكتبة التجارية الكبرى مصر الطبعة الأولى ١٣٥٦ صفحة ٥٣٦/١ عن كثرة الملائكة ، وكذلك في ٢٥/٢ و ٤٥/٢ و ٤٦/٢ و ٥/٤ عن أفضل الأعمال ، وكذلك في ٤٢٣/٢ عن الكلام عن الروح ، وكذلك في ١٨٣/٤ عن الشهيد وشروطه ، وكذلك في ٤٦٢/٦ و ٤٦٦/٦ في التفضيل بين العالم والشهيد .

وصف المخطوط :

قد بينت وصف الورقة العنوان قبل قليل

أما المخطوط نفسه فإنه يتكون من ٤٦٢ صفحة لكن كلام المؤلف ينتهي في الصفحة ٤٥٨ والباقي من الصفحات فيها أشعار وأدعية ليست بخط كاتب المخطوط

أما الصفحة الأولى أولها : " بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن بفضلك

الحمد لله الذي أعز دينه في مواقف الجدال والجلاد بنشر العلم ونصر العلم وأتم سابغ فضله إذ أظهره على الدين كله بانضاء السيف وإمضاء القلم " وتتكون الصفحة الواحدة من صفحاته من خمسة عشر سطراً وكل سطر متوسط كلماته عشر كلمات تقريباً تزيد في بعض السطور إلى اثنتي عشرة كلمة أو ثلاث عشرة وتنقص أحيانا إلى تسع أو ثمان كلمات .

وآخره : نجز يوم الأربعاء ومستهل شهر ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبعمائة على يد ناسخة غفر الله ذنوبه أمين حامدا الله تعالى ومصلياً على نبيه محمد وآله وعترته مسلما وحسبنا الله ونعم الوكيل

والكتابة جميلة واضحة يعتريها أحيانا قليلة طمس .

وكون المؤلف رحمه الله مشهور بحسن خطه وجماله والمخطوط كذلك والكاتب أشار إلى أنه فرغ منها قبل وفاة المؤلف يرجح عندي أنها بخط المؤلف نفسه والله أعلم خاصة وأنه على هامش المخطوط تعليقات مضافة تحمل إشارات إلى مواقعها

في سطور المخطوط علما أن التعليق في الحاشية والمخطوط نفسه خطهما واحد

والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن بفضلك .

الحمد لله الذي أعز دينه في مواقف الجدال والجلاد بنشر العلم ونصر العَلَم ، وأتم سابغ فضله إذ أظهره على الدين بإنضاء السيف وإمضاء القلم ، وجعل مداد العلماء كدم الشهداء إذ أقامها في نصر الإسلام من القِدم على أثبت قدم أحمده على ما ألهم من عليّ الهمم ، وقسم من جزيل المواهب والقسم ، حمد معترف بالتقصير عن الشكر الملتزم ، مغترف من شيب الفضل وسبيل الكرم واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو أن أكون يوم القيامة بها شهيدا ، وأجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً

وأشهد أن محمد عبده ورسوله المخصوص بالفضل المبين ، المنصوص على أنه خاتم النبيين المبعوث إلى خير أمة جعلت شهداء على الناس ، المنعوت بأن علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل[1] في القياس ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تؤمن قائلها يوم الفزع الأكبر وبال ذنبه[2] أما بعد / ٢أ – ٢ب

---

١) فيه إشارة إلى حديث لا أصل له وهو : ((علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)) كتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ، على بن سلطان محمد الهروي القاري ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدَّه ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ مكتبة الرشد الرياض ص١٢٣ رقمه ١٩٦

وأيضاً قال الألباني عنه : ((لا أصل له باتفاق العلماء))

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة ، تخريج : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، دمشق ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ١٣/١

(٢) الصلاة على النبي ﷺ التي تفيد قائلها هي الحاصلة بعد توفر الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ .

فإن طاعة ولاة الأمر من الأمر المحتوم ، وتلبية دعائهم من الأدب المعلوم ، لاسيما من خصه الله بعموم النفع للإسلام ، وأقامه بالعدل لإحكام الأحكام ونصر به ما يسر للدين من العلوم والأعلام ، ورفع به منار الحق وأظهره ودفع عنه أوضار الباطل وطهره ، وحمى بحزمه حوزة الدين وَحِمَاه ورمى بعزمه سواد الشرك فأصماه ، وجمع الشجاعة والكرم ، ونظم شمل السيف والقلم ، ومزق ببيض صفاحة وسمر رماحة سوداء الظُّلْم والظُّلَم فهوت إليه الأفئدة وأناخت ببابه الوفود ، وانطوت على محبته القلوب ، لَمَّا نشرت الألسن ذكر فضله الممدود ، وهو سيف أمير المؤمنين لازالت جيوش الإسلام بعزائمه منصورة ووفود الأنام بمكارمه مغمورة ، وعداة الدين بصوارمه منحورة ما محا الصبح آية الليل وأخفى سناه ما أثارت من العشي سنابك الخيل ، ولما ورد أمره[1] الكريم علي وانتهت إشارته العالية إلي بتضمن السؤال عن إيضاح مشكل عرض سددت سهام الفكر إليه رجاء أن يصيب الغرض ، فوجدته من الأسئلة التي / تحير عندها الألباب ، ولا ينتهض بأعباء جوابها إلا من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، وتحققت أنه سؤال امرئ عالم ، وقلت : على قدر أهل العزم تأتي العزائم[2] وكيف لا وحسن السؤال نصف

٢ب – ٣أ

(١) في كتاب : الدر الكامنة ترجم المؤلف لأحد الولاة واسمه : اسندمر كرجي نائب طرابلس فقال : (كان يحب الفضلاء ويسأل عن غوامض وهو الذي سأل أيما أفضل : الولي أو الشهيد أو الملك أو النبي فصنف في ذلك : ابن تيمية وابن الزملكاني وابن الوكيل وابن الفركاح) الدرر الكامنة ، ٤٦١/١ وبذلك يتضح الذي سأل من ولاة الأمر الذي أشار إليه المؤلف والله اعلم

(٢) هذا صدر بيت للشاعر المتنبي والبيت بتمامه :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم =

العلم كما قيل[١] وكفى بما أورده من هذه المسائل أقوى دليل وحين فهمت مضمون السؤال وقفت أقدم رجلاً وأُأخر أخرى وأرى السكوت عن الإجابة أولى بمثلي وأحرى ، ثم تذكرت ما أوجب الله تعالى لأولي الأمر من الطاعة ،

=ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العبكري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ضبطه وصحح فهارسه مصطفى السقا ؛ إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة بيروت لبنان ٣٧٨/٣

والمتنبي هو : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي أبو الطيب شاعر العصر ، ولد بالكوفة في سنة ثلاث وثلاثمائة في محله تسمى كنده وأرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله والله اعلم .

قتل يوم الأربعاء بين شيراز والعراق في قرية يقال لها بيوزى عند النعمانية لست بقين أو ليلتين بقيتا وقيل يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

شذرات الذهب ١٣/٢ معجم ما استعجم : عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ، ٨٢٣/٣

سير أعلم النبلاء ١٩٩/١٦ ، والبداية والنهاية ٢٥٦/١١ وبغية الطلب في تاريخ حلب: عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، تحقيق : د . سهيل ذكار ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م ، ٦٣٩/٢

(١)قال عنه ابن حجر رحمه الله تعالى : ((وقد ورد أن حسن السؤال نصف العلم وأورده ابن السني في كتاب رياضة المتعلمين حديثا مرفوعاً بسند ضعيف)) فتح الباري ، باب الاعتراف بالزنا حديث رقم ٦٤٤٠ ، ١٣٨/١٢

ويروي ابن الحسن قال : ((التقدير نصف الكسب والتودد نصف العقل وحسن طلب الحاجة نصف العلم)) البيان والتبيين : عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٨م ، ٢٦١/١

ويروي عن ميمون بن مهران أنه قال : ((التودد إلى الناس نصف العقل وحسن المسألة نصف العلم واقتصادك في معيشتك يلغي عنك نصف المئونة)) روضة العقلاء : محمد بن حبان البستي ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م ، ص٦٥

فبذلت في ذلك قدر الاستطاعة وكنت في هذه الأوراق مختصراً ، وكنت على ما تضمنه السؤال مقتصراً . ولئن أطلت الكلام فلم أتعدَّ المقصود . ولا خرجت في فصل عما إليه يعود ولابد من إعادة لفظ السؤال الكريم ؛ فعليه يبنى الكلام ومن معناه نتوصل إلى هذا المرام بالتمام ، ولفظه أنه قال :

وقع بين جماعة من الأصحاب منازعة في أفضل الناس بعد الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه . وأي الناس أعلى درجة يوم القيامة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأيما أفضل العلماء أم الشهداء وطال الحديث إلى أن تقسم الفكر / وتشعب الذهن واقتضى الحال تكليف خاطره في إيضاح هذا الأمر بوريقات لطيفة تتضمن ما وقع عليه الإجماع من الأفضل بعد الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وأيما أرفع درجة يوم القيامة وأيما أفضل العلماء أو الشهداء ؟ .

٣أ – ٣ب

وحاصل هذا الكلام فيما فهمت إلى السؤال عن ثلاثة أمور :

أحدها السؤال عن الأفضل بعد الأنبياء إما من الخلق[1] فيدخل فيه الملائكة وغيرهم . وإما من الناس بمعنى أي الناس أفضل بعينه وشخصه أو بمعنى أي الناس أفضل لا بعينه بل بوصفه ، وأي مقام أعلى بعد مقام النبوة وهو المقام الذي يتلو مقام الأنبياء .

والأمر الثاني : يتفرع على هذا وهو : أي الناس هو أعلا درجة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأي الخلق أرفع درجة يوم القيامة ؟

والأمر الثالث : أي الفريقين أفضل العلماء أو الشهداء ؟ .

---

(١) الذي في السؤال : " من الناس وليس لفظاً محتملاً يمكن أن يكون الملائكة أحد معانيه والله اعلم وأصل السؤال ص٤ من هذا البحث

والكلام في الجواب مرتب على فنين فيهما أبواب وفصول . وخاتم .

الفن الأول

في شرح معنى كل لفظ من الألفاظ التي تدخل في المفاضلة المسئول / عنها وبيان حقيقته . وذكر فضل المتصف به من جهة اتصافه به وفضل ذلك المقام وهذا الفن قاعدة الكلام في التفضيل المذكور في الفن الثاني بين هذه الرتب ويشتمل على أبواب :

٣ب – ٤أ

الباب الأول :

في الملك وحقيقة معناه وشرفه وفضله وفيه فصلان

الباب الثاني :

في النبي وحقيقة لفظه وفضله وشرفه ويشمل على عصمة الأنبياء وذلك في فصلين .

الباب الثالث :

في الصديق وتحقيق مقام الصديقية وفضله وفي فصلان .

الباب الرابع :

في الشهيد وفضل الشهادة والجهاد ومقام الصلاح وفضله وفيه ثلاث فصول .

الباب الخامس :

في العلم والعلماء وفضل العلم وأقسامه وهو فصلان .

فهذه أبواب الفن الأول وإنما رتبناها على هذا لنبين الدرجات التي في قوله تعالى : ﴿ فأولئك / مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

٤أ – ٤ب

والصالحين ﴾[١] وذكرنا الملك لدخوله في السؤال عن أفضل الخلق بعد الأنبياء[٢]

الفن الثاني

في المفاضلة بين هذه الرتب ويشمل على مقدمتين وفصول بحسب أقسام المسئول عنه وفيه الجواب عن المسائل الثلاث

خاتم الكتاب

وهو فصل يشمل على أخبار وآثار في فضل الجهاد والشهادة والإشارة إلى فضل السائل عن ذلك أعز الله تعالى نصره وسموت به نحو من آثار هذه الفوائد ووسمته بمحاسنه التي هي الدرر الفرائد وسميته تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى في تفاضل أهل العلوم والأعلام .

---

(١) سورة النساء آية : ٦٩

(٢) كما أسلفت فإن أصل السؤال عن أفضل الناس بعد الأنبياء ، والسؤال ص٤ من هذا البحث .

الفن الأول

في بيان كل لفظ من هذه الألفاظ وشرح معناه وحقيقته وذكر فضـــل ذلـــك المقام وفضل المتصف من جهة اتصافه به وفيه أبواب .

والله المسؤول أن يجعله مرضيا لديه . مقبولا عنده وموصولا إليه .

البـــاب الأول

في الملـــك

٤ب – ٥أ

وقد اختلف الناس في أن الكلام في الملائكة هل يقدم على / الكلام في الأنبياء أو يؤخر عنه وإن قلنا بتفضيل الأنبياء فقال قوم : ينبغي تقديم الكلام في الملائكة إتباعا لما في القرآن الكريم فإنه جاء ذكرهم مقدماً في قوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾[(١)] وكذلك قوله تعالى: ﴿ من كان عدواً لله وملائكته ورسله ﴾[(٢)] وقوله : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾[(٣)] وقوله تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴾[(٤)]

وقد قال النبي ﷺ : ((أبدأ بما بدأ الله به)) [(٥)] ولأن الملائكة وسائط بين الله تعالى وبين الرسل في تبليغ الوحي والشرائع فكان الكلام فيهم مقدماً على الكلام في الأنبياء .

وقال آخرون : بتقديم الكلام في الأنبياء على الكلام في الملائكة ووجه هذا الترتيب أن الطريق إلى معرفة الملائكة من السمع[(٦)]

وليس العقل مستقلا بإدراك ذلك فكان الكلام في النبوات وإثباتها أصلاً

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥

(٢) سورة البقرة آية : ٩٨

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٧

(٤) سورة النساء آية ١٣٦

(٥) رواه مسلم ، صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث بيروت ، ٤٢٠/٨ رقم ١٢١٨ كتاب الحجج باب حجة النبي ﷺ

(٦) المراد الدليل السمعي وهو ما كان يصل إلينا عن طريق أسماعنا وهو الوحي سواء القرآن أو السنة .

للكلام في الملائكة فوجب تقديم الكلام في النبوات قال فخر الدين الرازي[1] رحمه الله تعالى : الأولى أن يقال في هذا المقام : أن النبي قبل الملك بحسب عقولنا / والملك قبله بالشرف[2] ، وكأن هذا جنوح منه إلى تفضيل الملك واختياره في هذه المسألة مختلف على ما سنبنيه في الفن الثاني ، وليس هذا

٥أ — ٥ب

(١) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي البكري التيمي الطبري الرازي ابن خطيب الري من ذرية أبي بكر الصديق ﷺ ، ولد بالري في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٥٤٤هـ وقيل سنة ٥٤٣هـ ، وتفي بهراة يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة هـ بعد مرض اشتد عليه في نهاية المحرم من السنة نفسها وامتد إلى وفاته ودفن في جبل قريب من هرات ، وكان من أصحاب العلوم العقلية وله قصيدة في ذمها مطلعها :

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال

وروى عنه أنه قال : لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً ولا أصح من طريقة القرآن .. وله وصية مشهورة منها : ((ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقصات وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضائق العميقة والمناهج الخفية)) .

انظر طبقات الفقهاء ؛ إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي تحقيق خليل الميس دار القلم بيروت ص٢٦٣ ، شذرات الذهب ، ٢١/٣ . وسير أعلام النبلاء ، ٥٠٠/٢١ طبقات الشافعية ، ٦٥/٢ . وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ، تحقيق . د إحسان عباس دار الثقافة بيروت سنة الطبع ١٩٦٨م ٢٤٨/٤ . عيون الأنباء في طبقات الأطباء أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس ، تحقيق . د نزار رضا ، دار مكتبة الحياة بيروت ص٤٦٢ طبقات المفسرين ، ص٢١٣ القسم الثاني .

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين لفخر الدين محمد بن عمر الرازي تحقيق د. أحمد حجازي السقا ملتزم الطبع :مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة — الأزهر دار التضامن بالقاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، ١٩٠/٢ .

الاختلاف في تقديم الكلام مرتباً على أفضلية الملائكة أو الأنبياء على ما تقدم بل هو مناسبة للبداءة ، ونحن قد رأينا تقديم الكلام في الملائكة ، وليس ذلـــك لأنهم أفضل من الأنبياء بل ليقع الكلام في أجناس البشر وتفضيل بعضهم على بعض منسوقاً بعضه على بعض من غير فصل ، إذ المقصود الأعظـــم في هـــذا الكتاب تبيين الأفضل فالأفضل بعد الأنبياء ، ونسق الجنس بعضه على بعـــض أولى لتبيين الدرجات والرتب إذ كل رتبة تلتها أخرى على ما سنوضـــحه إن شاء الله تعالى . وفي الباب فصلان :

الفصل الأول .

في شرح اللفظ ، وذكر حقيقة معناه ، واختلاف الناس فيه وقد اختلف في اشتقاق لفظ المَلَك وكيفية تصريفه ، فقيل هو مشتق من الأَلُوْكَة وهي الرسالة ، وكذلك المَأْلَكَةُ[١] ومنه قولهم : ألكني إليه قال الشاعر[٢] /

٥ب – ٦أ

أبلغ النعمان عني مألَكاً   أنه قد طال حبسي وانتظاري[٣]

أي : رسالة .

ويقال فيها : ألوك أيضاً ، قال لبيد[٤] :

---

(١) انظر المحكم والمحيط الأعظم ، علي بن إسماعيل بن سيده تحقيق محمد علي النجار ط الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م ، ٦٨/٧ مادة أ ل ك مقلوبه أكل .

(٢) هو : عدي بن زيد بن الحمار العبادي التميمي قيل تنصر ثم تركها ، شاعر جاهلي مات في الفترة .

انظر : سير أعلام النبلاء ١١/٥ ، والأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٠٥/٢ .

(٣) جامع البيان من تأويل آي القرآن [تفسير الطبري]، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ ، ١٩٨/١ القول في قول الله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ البقرة آية ٣٠ .

والجامع لأحكام القرآن [تفسر القرطبي]، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي ، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني ، دار الشعب القاهرة الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ ، ٢٦٢/١ عند قوله تعالى :﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ البقرة آية ٣٠ .

والأغاني ١٠٥/٢ .

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الشاعر ويكنى أبا عقيل قدم على النبي ﷺ فأسلم قيل أنه لم يقل شعراً بعد إسلامه . ==

٦أ – ٦ب

وغلام أرسلته أمه / بألوك ... فبذلنا ما سأل[١]

وقيل في المألك : إنه جمع مألكة ، ولما كانت الملائكة رسلاً سميت بذلك ، قال الخليل بن أحمد[٢] : إنما سميت الرسالة مألكة لأنها تولك في الفم من قولهم : فرس تألك اللجام أي تعلكه[٣] ، وعلى هذا أصله مألك ، لكنهم قالوا في جمعه

== نزل الكوفة ومات بها ليلة نزل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه النخيلة لمصالحة الحسن بن علي رضي الله عنهما ودفن في صحراء بني جعفر بن كلاب وقيل مات في إمرة عثمان رضي الله عنه ، وقيل كان عمره مائة وسبع وخمسين سنة ، وقيل مائة وخمسين سنة والله أعلم .

انظر شذرات الذهب ٥٢/١ ، والعبر في خبر من غبر ٥٠/١

والطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري دار صادر بيروت ٣٣/٦ ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ، ١٧٩/٥ .

والكامل في التاريخ ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ٢٨٢/٣ .

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق د. إحسان عباس التراث العربي ، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ١٩٦٢ ص١٧٨ .

(٢) هو: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري صاحب العربية ومنشئ علم العروض وكان مفرط الذكاء . ولد سنة ١٠٠هـ ، ومات سنة بضع وستين ومائة وقيل بقي إلى سنة سبعين ومائة .

انظر: سير أعلام النبلاء ٤٢٩/٧ .

(٣) انظر: العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال ٤٠٩/٥

ملائكة ، فأتوا بالهمزة في موضع عين الكلمة ن فيكون واحدها : ملاكاً ، وقد جاء ذلك في الشعر ؛ أنشد سيبوية[(١)] :

فلستَ لإنْسيٍّ ولكن لِمَلْأكٍ تَنَزَّل من جوِّ السماءِ يصُوبُ[(٢)]

ووجه اشتقاقه من الألوكة يقتضي أن يكون مقلوباً ؛ قلبت فاؤه إلى موضع العين ، ووزن ملأك : مَفْعَل ، وإنما قُلبت لتخف بنقل حركة همزته فلما نقلت حركة همزته إلى الساكن قبلها حذفت تخفيفاً لها فقيل : مَلَك[(٣)] ، ولهذا ردت الهمزة في جمعه فقيل : ملائكة ووزن مفاعلة على هذا القول .

---

(١) هو : إمام النحو حجة العرب أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري ، قيل مات سنة ١٨٠ هـ وقيل سنة ١٨٨هـ وقد عاش ٣٢ سنة وقيل نحو ٤٠ سنة .

انظر سير أعلام النبلاء ٨/٣٥١ – ٣٥٢

(٢) في تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضي الزبيدي دراسة وتحقيق : علي شيري دار الفكر بيروت ط ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، مادة : ملك .

البيت لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك قيل إنه النعمان وقيل هو لأبي وجزه يمدح عبد الله بن الزبير .

وقيل إنه لعلقمة بن عبده يمدح الحارث بن جبلة بن أبي شمر تاج العروس ١٣/٦٥٠ .

وأورده مجموعة من المفسرين منهم الطبري في تفسيره : ١/١٤٨ عند قوله تعالى :﴿ أو كصيب من السماء ﴾ البقرة ١٩ ، وأورده سيبويه : كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ٤/٣٨٠ ، وتفسير القرطبي ٩/١٨٣ .

(٣) انظر: المحكم ٧/٦٨ .

قلت إذا قلبت فاؤه إلى موضع العين تكون ملأك على وزن مفعل ، فإذا حذفت الهمزة تكون : ملك على وزن فعل ، ثم يكون وزن جمعه كما قال المؤلف ملائكة على وزن مفاعله والله أعلم=

وقال ابن كيسان[١] : هو الملك فيكون فعألا[٢] ، وأصله ملأك أيضاً لورود الهمزة في / الجمع[٣] لكن لا قلب فيه على هذا القول .

٦أ – ٦ب

وقال أبو عبيدة[٤] : أصله ملأك ن لكنه من لأك إذا أرسَلَ[٥] .

قال ابن الحاجب[٦] رحمه الله تعالى الأوجه هو القول الأول ؛ إذ ليس

== انظر مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ٨٦/١ .

(١) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان البغدادي النحوي ، ولد سنة ٢٣٠هـ ، وتوفي في ذي القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين .

انظر : المنتظم ١١٤/٦ والعبر (١) ١١٩/٢ ، والنجوم الزاهرة ١٧٨/٣ والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، تحقيق : محمد المصري ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، ص١٨٣ وشذرات الذهب ٢٣٢/١ والفهرست محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م ، ص١٢٠ .

(٢) الشافية ، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمرو الدويني ، تحقيق : حسن أحمد العثمان ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٩٩٥م – ص٧٢ .

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن ٢٦٣/١ .

(٤) هو: معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري النحوي العلامة ، أبو عبيدة ولد في رجب سنة عشر ومائة في الليلة التي مات فيها الحسن البصري رحمه الله ، وقيل مات سنة ثمان ومائتين وقيل سنة أحدى عشرة ومائتين وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين وقيل سنة عشرة ومائتين وقيل سنة سبع ومائتين وقيل سنة تسع ومائتين .

انظر: الكامل ٤٧٤/٥ والمنتظم ٢٠٦/١٠ ووفيات الأعيان ٢٣٥/٥ وسير أعلام النبلاء ١٤٥/٩ وطبقات المفسرين ص٣٠ .

(٥) الشافية ٧٢ ، وانظر: تفسير القرطبي ٢٦٢/١ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ٢١٨/١ .

(٦) هو: جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الأسنائي . =

فيه إلا ارتكاب القلب ، ولابد من إرادة الهمزة في مفـــرده لورودهـــا في جمعه[(١)]

وقول ابن كيسان أنه فعأل بعيد لأن مثل ذلك نادر ومفعـــل كـــثير ، وحمله على الكثير أولى من حمله على النادر ؛ لاسيما مع مناســـبته للرســـالة بخلاف المَلْك .

وأما قول أبي عبيدة أنه مفعل من لأك إذا أرسل بعيد لأنه يكون مُرسِلاً لا مُرسَلاً فترجح القول الأول[(٢)] .

وأما حقيقة معناه : فقد اختلف العقلاء فيه وقول أكثر المسلمين أن الملائكة أجسام لطيفـــــة قـــــادرة علــــى التشــــكل بأشــــكال مختلفــــــة[(٣)]

=ولد بأسنا في صعيد مصر الأعلى آخر سنة سبعين وخمسمائة من الهجرة وكان محباً للشيخ عـــز الدين بن عبد السلام . له مقدمة في النحو: الكافية ومثلها في الصرف اسمها : الشافية .
توفي في الإسكندرية ضحى نهار الخميس السادس والعشرين من شوال ســـنة ســـت وأربعـــين وستمائة من الهجرة ، انظر : شذرات الذهب ٢٣٤/٣ ، ووفيات الأعيـــان ٢٤٨/٣ ، وســـير أعلام النبلاء ٢٤٦/٢٣ ، والبداية والنهاية ١٧٦/١٣ .

(١) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع لكن انظر رأيه في الشافية ص٧٢ .

(٢) في حاشية المخطوط كتب : وإذا كان من الألوكة كان مرسلاً ، لكن لم أجد أي إشـــارة لمكانها في الصفحة .

(٣) زاد بعضهم : "نورانية " ، ليخرج بذلك الجن
انظر: فيض القدير ، عبد الرؤوف المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى مصر الطبعة الأولى ١٣٥٦هـــ ٥١٤/٥ ، ومن التعاريف للملائكة : الملك ، بفتح الميم واللام جسم لطيف نوراني يتشكل بأشـــكال مختلفة .
التوقيف على مهمات التعاريف التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، دار الفكر دمشق سوريه الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ ١٩٩٠م ص ٦٧٥=

مسكنها السماوات[١]

وهذا المذهب هو الذي تقوم عليه الدلالة لأن النـــاس اختلفـــوا في أن العقل[٢] هل يستقل بإثبات الملائكة ؟ .

=وقال غيره : الملائكة أجسام علوية لطيفة تتشكل أي شكل أرادوا ، شرح السيوطي لسنن النسائي : عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ١٤٨/٢ .

(١) ورد في الحديث أن الملائكة خلقت من نور عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رســـول الله ﷺ : ((خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم)) صحيح مسلم : ٢٢٩٤/٤ حديث رقم ٢٩٩٦ كتاب التوبة باب أحاديث متفرقة .

لذلك زاد بعضهم في تعريف الملائكة لفظ : ((نورانية)) .

انظر : المطالب العالية ، من العلم الإلهي : محمد بن عمر الرازي ، ضبطه وخرج آياته : محمـــد عبدالسلام شاهين ، توزيع : مكتبة عباس أحمد الباز ، مكة المكرمـــة ، دار الكتـــب العلميـــة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ٢٣٤/٧ وروح المعاني ٢١٨/١ .

(٢) العقل لغة : المنع لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل ولأنه يعقل صاحبه عن التـــورط في المهالك أي يحبسه .

واصطلاحاً : غريزة يهيأ بها لدرك العلوم النظرية ، وعند ابن تيميه رحمه الله تعالى : العقل عرض قائم بغيره وإما قوة في النفس ، انظر : الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، زكريا بن محمد بـــن زكريا الأنصاري ، تحقيق د. مازن المبارك ، دار الفكر المعاصر بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ ص٦٧ . ومنهاج السنة النبوية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيميه تحقيق : محمـــد رشـــاد ســـالم ، مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ٨/١٧ . والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، أحمد بن عبد الحليم بن تيميه ، تحقيق : د. علي حسن ناصر ، د. عبد العزيز إبـــراهيم العســـكر ، د. حمدان محمد ، دار العاصمة الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ٥/٢٢ ولسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٥٨/١١ مادة عقل

وذكر الفلاسفة[1] على ذلك أدله لا تسلم ولا تقوم بها الحجة لمن تأملها ، ولسنا نطيل الكلام بذكرها وما عليها ، لكن من الواضح الجلي أنه ليس في العقل وجود ملائكة على الوجه الذي ذكروه / ومتى عارضوا بأدلتهم ذكرنا ما عليها من النقوض والمعارضات ، فبقي ترجيح ذلك عند التحقيق إلى الأدلة السمعية [مع أن المتكلمين أنكروا وجود موجود قائم بنفسه لا متحيز

٦ب – ٧أ

---

(١) الفلاسفة نسبة إلى الفلسفة وهي كلمة يونانية مركبة من مادتين ((فيلا)) بمعنى : محب ، و ((سوفيا)) أي الحكمة فيكون فيلسوف بمعنى : محب الحكمة لكن هل أصابها ؟ وهم من عدة أمم : فمنهم البراهمة : لا يقولون بالنبوات أصلاً ومنهم حكما الروم وهم الأصل وغيرهم يأخذ عنهم وهم أقسام : المشاؤون وأصحاب الرواق وغيرهم ، وأكثرهم ينكرون على الله تعالى وينكرون حشر الأجسام وبعضهم يعتقد أن النبوة تكتسب وأنها ليست منحة ربانية ، ويعتقد الفلاسفة أنهم أصحاب النهاية في العقول في العلم الإلهي وغيره لكن العقول إذا لم تستند على الشرع المنقول وقعت في الحيرة والضلالات وطرأت عليها الخيالات والبعد عما جاءت به الرسل وهم بأنفسهم يقولون : أن العلم الإلهي لا سبيل فيه بواسطة العقل إلى يقين لذلك اتفقوا أن غالب كلامهم إنما هو ظنون كاذبة وأقيسة فاسدة وأن العلم الصحيح والحق الصراح عندهم قليل وكما هو معلوم فإنه لا أحد أعلم بالله من الله تقدس وتعالى ولا أحد من الخلق أعلم بالله إلا رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم .

فعليك أخي الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه الصحابة الكرام رضوان عليهم ومن تبعهم بإحسان من أئمة الهدى الذين بهم يقتدون :

انظر : الملك والنحل ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني تحقيق محمد سعيد الكيلاني ، دار المعرفة بيروت ١٤٠٤هـ ١/٥٨ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، تحقيق علي ساطي النشار دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ ص٩١ ، وتأويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات { أقاويل الثقات } ، مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولي ١٤٠٦هـ ص١١١

ولا حال في المتحيز غير الله تعالى ولهم على ذلك أدله لا نطيل الكلام بذكرها وليس الغرض][1]

وأعلم أن الخلاف في حقيقة الملائكة يضبطه أن نقول اختلفوا في الملائكة هل هي ذوات متحيزة[2]أو غير متحيزة على قولين والقائلون أنها متحيزة منهم المتكلمون وقد نقلنا مذهبهم

وقال طوائف أخر : أن الملائكة في الحقيقة هي الكواكب[3] وما وصف منها[4] ملائكة الرحمة وما وصف منها بالإنحاس ملائكة العذاب ، وهذا قول مردود ، ليس من أقوال المسلمين والقائلون بالقول الآخر وهي : أنها ليست بأجسام ولا متحيزة فريقان :

---

(١) ما بين المعقوفتين من الحاشية مع إشارة إلى موضعه كما أثبته في الكتاب علماً أن أخره لم يتضح .

(٢) التحيز هو الوجود في الحيز ، والحيز لغة : الناحية ، والحيز هو كل منضم بعضه إلى بعض وعند المتكلمين : الفراغ الذي يشغله شيء ممتد ، وعند الفلاسفة : السطح الباطن من الحاوي المماس للسطح الظاهر من المحوي .

مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت طبعة جديدة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ص٦٨

والتعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولي ١٤٠٥هـ ص١٢٧

(٣)يشير بذلك إلى طوائف من عبدة الأصنام

انظر : المطالب العالية ٢٣٤/٧

(٤) فيه سقط كلمة : ((بالإسعاد)) من التفسير الكبير أو مفاتح الغيب (تفسير الفخر الرازي) ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، ١٤٧/٢ وبها يستقيم الكلام والله اعلم

أحدهما من يقول : إن الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانها على نعت الصفاء والخيرية ، وذلك لأن هؤلاء يقولون : النفس بعد مفارقتها للبدن إن كانت صافية خالصة من أكدار الجهل وظلمات الشقاوة فهي الملائكة ، وإن كانت بعد المفارقة خبيثة مظلمة مرتبكة في جهلها فهي الشياطين ، وقال بهذا القول طوائف من النصارى[(١)] .

والفريق الثاني : الفلاسفة وهم الذين يقولون : إن الملائكة جواهر قائمة بأنفسها ، ليست بمتحيزة ، وإنها تخالف النفوس البشرية بالماهية ، وتجري بها مجرى الشمس بالأضواء[(٢)] ثم إنهم قسموها إلى ما هو للأفلاك كالنفوس الناطقة وللأبدان كالنفوس البشرية وإلى ما هو مستغرق في المعرفة .

ومنهم من أثبت نوعاً آخر يدبر العالم السفلي وقسموه إلى خير وشر ؛ فالخير ملك والشرير شيطان .

وهذا القول يشبه قول المجوس[(٣)] من وجه فإنهم يقولون : أصل العالم النور والظلمة وهما جوهران حساسان مختاران قادران ، لكن جوهر النور خير

---

(١) انظر: المطالب العالية ٧/٢٣٤ .

(٢) انظر المطالب العالية ٧/٢٣٤ ، وانظر كتاب المواقف . عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م ٣/٣٣٦ .

(٣) المجوس هم الذين يقولون : بأن الخير له خالق وهو النور والشر له خالق وهو الظلمة ،
أحداهما : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة .
والثانية : بيان سبب خلاص النور من الظلمة .
وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معاداً وزعموا أن النور أزلي وأن الظلمة محدثة ثم اختلفوا في سبب حدوث الظلمة :

١- هل حدثت من النور ؟ والنور على مذهبهم لا يحدث شراً أبداً . ==

طيب الريح كريم ، يسر ولا يضر ، ينفع ولا يمنع ، وجوهر الظلمة بالعكس ، وجوهر النور لا يزال يولد الأولياء كما يتولد الضوء من المضيء والحكمة من الحكيم ، وهذه المتولدات هي الملائكة . وجوهر الظلمة عكس ذلك في توليد الشياطين ، ولا دليل على شيء من هذه المذاهب(١) .

وقد دلت الأدلة السمعية على وجود الملائكة وأثبتها أهل الإسلام على الوجه الذي بيناه ، واتفقت على وجودها الأنبياء صلوات / الله عليهم وسلامه والملل كلها مجمعة على ذلك . ٧ب - ٨أ

وإذا كان المرجع والاعتماد في إثباتها على الأدلة السمعية وما قاله الأنبياء صلوات الله عليهم وجب المصير في معرفة حقائقهم إلى ما دلت عليه الأدلة السمعية من الكتب الإلهية وأقوال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

وهم أكثر المخلوقات عدداً وأصنافهم كثيرة وقد ورد في القرآن العظيم من ذلك ما نوضحه ، ومعرفة قدر كثرتهم وأصنافهم موكول إلى الله سبحانه

٢- ==أم حدثت الظلمة من شيء آخر ولا شيء على مذهبهم يشارك النور في الأحداث والقِدَمْ وبهذا يظهر تخبط المجوس .

وهم فرق كثيرة منها : الزادشتية ، والكيومرتية ، والزروانية ، ومسخبة ، وفرمدينية وغيرها .

انظر الملل والنحل ٢٣٢/١ .

والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، عبد القاهر بن ظاهر بن محمد البغدادي أبو منصور ، دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ ، ص٣٤٧ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٦

(١) انظر تفسير الفخر الرازي ١٤٧/٢ - ١٤٨ .

وانظر أيضاً عن هذه التقسيمات السابقة ، المطالب العالية ٢٣٤/٧ - ٢٣٥ ، وكتاب المواقف ٣٣٦/٣

وتعالى ، ولا يعلم جنود ربك إلا هو[1] ، وقد قيل : إن المكلفين أربعة أجناس ؛ الإنسان والملك والجن والشياطين[2] وإن بني آدم عُشر الجن ، والجن وبنو آدم عُشر حيوانات البحر والطير ، والكل عُشر ملائكة السماء الدنيا ، والكل عُشر ملائكة السماء الثانية ، وهكذا إلى ملائكة الكرسي ثم ملائكة العرش)[3]

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : ((أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع قدم إلا وفيه مَلَك لله ساجداً أو راكعاً)) [4] وفي هذا كفاية .

---

(١) سيورد المؤلف عدة أحاديث تدل على كثرة الملائكة وسأذكر منها حديثاً يدل على كثرتهم لم يورده المؤلف وهو : عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ((يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)) رواه مسلم ٢١٨٤/٤ رقم ٢٨٤٢ . باب في شدة حر نار جهنم .

(٢) إلى هنا في الأربعين للفخر الرازي ١٩٤/٢

(٣) وإلى هنا ذكر نحوه الفخر الرازي في تفسيره ١٤٩/٢ والمطالب العالية ٢٣٥/٧ ، وقد ورد نحواً من ذلك في هذا الموضوع في إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بتفسير أبي السعود لمؤلفه : محمد بن محمد العماري أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي بيروت ٨٠/١ .

(٤) انظر : سنن ابن ماجه : محمد بن عبدالله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠٢/٢ رقم ٤١٩٠ ، ١٩ باب الحزن والبكاء قال الألباني في حديث ((أتسمعون ما اسمع ، قالوا : ما نسمع من شيء ، قال : إني أسمع أطيط السماء ، وما تلام أن تئط ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم))

ثم قال : هذا إسناد صحيح على شرط مسلم ، ثم قال : وله شاهد من حديث أنس مرفوعاً بلفظ أطت السماء وحق لها أن تئط)) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٦٩/٦ ، من طريق زائدة بن أبي الرقاد : ثنا زياد النحيري عنه . وهذا إسناد ضعيف ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، طبعة جديدة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ٦٥٠/٢ ،وسنن البيهقي الكبرى:أحمد بن الحسين بن علي بن موسى=

٨أ – ٨ب

ومن أظهر ما يدل على كثرتهم / حديث النبي ﷺ فيما أخبره جبريل عن البيت المعمور ((أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه)) [(١)] وهو حديث صحيح ، وفيه من بيان كثرتهم ما لا يعلمه إلا الله تعالى أو من عَلّمه ذلك والله اعلم

وقد بين الله تعالى في الكتاب العزيز منهم أنواعاً كثيرة سمى بعضهم كجبريل وميكال[(٢)] .

=البيهقي ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م ، ٥٢/٧ رقم ١٣١١٥ .

وسنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٥٥٦/٤ رقم ٢٣١٢ ، ٩ باب في قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وقال عنه : حسن غريب .

والمستدرك على الصحيحين : محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ -١٩٩٠م ، ٥٥٤/٢ رقم ٣٨٨٣ ،٧٧ تفسير سورة الأعلى وقال عنه صحيح الإستاد و لم يخرجاه وقال عنه عند حديث رقم ٨٧٢٦ صحيح الإسناد على شرط الشيخين و لم يخرجاه ٦٢٣/٤ .

ومسند الإمام أحمد : أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، ١٧٣/٥ رقم ٢١٥٥٥.

(١) الجامع الصحيح (صحيح البخاري) : محمد بن إسماعيل الجعفي ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ٣/ ١٤١٠ رقم ٣٦٧٤ ، ٧١ باب المعراج

ومسلم ١٤٥/١ رقم ١٦٢ ، ٧٤ باب الإسراء

(٢) قال تعالى : ﴿ وجبريل وميكال ﴾ سورة البقرة آية ٩٨

وذكر بعضهم بصفته كملك الموت[١] والروح[٢] وغير ذلك من الأصناف المذكورة في القرآن وليس هذا موضع تفصيلها

الفصل الثاني : فضلهم وشرفهم

لا نزاع بين العقلاء المثبتين للملائكة في شرفهم وفضلهم على أي صورة أثبتوها ، واتفق المسلمون على تعظيم الملائكة وذكر فضائلهم وشرفهم وعلو مرتبتهم وطهارتهم ، فهم الكرام البررة المطهرون العباد المكرمون ، وقد أشتمل القرآن العظيم من فضائلهم وذكر شرفهم وعز مقامهم على ما لا يخفى ، وجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان بهم تالياً للإيمان به في قوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾[٣] وفي هذا الترتيب سر لطيف وذلك لأن النور والكمال والرحمة والخير كله مضاف إلى الله تعالى ، ومنه الوسائط في ذلك الملائكة[٤] والقابل لتلك الرحمة هم الأنبياء والرسل فلابد أولاً : من أصل ، وثانياً : من وسائط وثالثاً : من حصول تلك الرحمة ، ورابعاً : من وصولها إلى القابل لها .

---

(١) قال تعالى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ سورة السجدة آية : ١١

(٢) قال تعالى : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ سورة القدر آية : ٤

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٥

(٤) المراد بقوله : ((الوسائط في ذلك)) أي أن الرسالة من الله إلى من تقسم له من الرسل بواسطة ملك من الملائكة والله اعلم .

فالأصل المفيض[١] للخيرات والرحمة[٢] هو الله تعالى ومن أعظم رحمة رحم بها عباده إنزال كتبه إليهم ، والموصل لها هم الملائكة والقابل لها المنزلة عليه هم الأنبياء وجاء الترتيب كذلك بحسب الواقع فقال : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾[٣] وعليه جاء الحديث النبوي في حديث السائل عن الإيمان فقال : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)) [٤] ومن شرف الملائكة أن الله سبحانه وتعالى جعل شهادتهم تلو شهادته فقال : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ﴾[٥] ومن شرفهم قوله : ﴿ وله من في السموات والأرض ومن عنده ﴾[٦] فخصهم بالعندية المقتضية لقرب التكريم

---

(١) لفظ الفيض هنا يوحى إلى مذهب الفلاسفة في قضية وصول الأمر من الخالق إلى الخلق فلو استخدم غير هذه اللفظة لكان أولى ، والله اعلم .

(٢) لأن الوحي المنزل على الرسل إنما هو رحمة ؛ من ذلك قوله تعالى : ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ سورة الزخرف آية : ٣٢ وذلك بعد قوله تعالى عن المشركين : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ سورة الزخرف آية ٣١

(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٤) رواه مسلم ٣٦/١ رقم ٨ ، كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان . البخاري ٢٧/١ رقم ٥٠ كتاب الإيمان باب سؤال جبريل .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٨

(٦) سورة الأنبياء آية : ١٩

والتشريف[١] وسيأتي الكلام على هذه الآية . وقوله : ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾[٢] وقوله : ﴿ وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون ﴾[٣] وقوله : ﴿ لا يمسه /إلا المطهرون ﴾[٤] وقوله : ﴿ بأيدي سفرة * كرام بررة ﴾[٥] وقوله : ﴿ وإن عليكم * لحافظين كراماً كاتبين ﴾[٦] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على فضل الملائكة وشرفهم وذلك مما لا نزاع فيه .

أ٩ – ٩ب

ولكن أختلف العلماء في مسألتين :

إحديهما : في العصمة[٧] لجميعهم .

والثانية : في أهم أفضل أم الأنبياء ؟ .

فأما مسألة تفضيل الأنبياء عليهم فنؤخرها إلى باب التفضيل .

---

(١) العندية : عندية التكريم والتفضيل والتشريف في المترلة أوردها الفخر في تفسيره : ١٩٨/٢ وفي الأربعين ١٨٣/٢ وانظر كتاب المواقف ٣١/٣ و ٤٦٣ وإتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، محمد بن محمد الغزي ، تحقيق : خليل محمد العربي ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ٢٠/٢ ، والجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) ، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ٥١/٣ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٠

(٣) سورة الصافات آية : ١٦٥ــ ١٦٦

(٤) سورة الواقعة آية : ٧٩

(٥) سورة عبس آية : ١٥ ــ ١٦

(٦) سورة الانفطار آية : ١٠ ــ ١١

(٧) سيأتي تعريف العصمة في ص٨٦ من هذا البحث إن شاء الله عندما يتكلم المؤلف عنها .

وأما مسألة العصمة فقد أختلف العلماء فيها وقد أطلق فخر الدين الرازي القول بأن الملائكة رسل الله واحتج عليه بقوله تعالى : ﴿ جاعل الملائكة رسلا ﴾[١][٢] واعترض عليه بقوله تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾[٣] وأجاب عنه بأن ((مِنْ)) للتبيين لا للتبعيض[٤] ولهذا أطلق ذكر الخلاف في عصمتهم فقال : ((الجمهور الأعظم من علماء الدين : اتفقوا على عصمة كل الملائكة عن جميع الذنوب .

ومن الحشوية[٥]

---

(١) سورة فاطر آية ١

(٢) انظر الأربعين للفخر الرازي ٢/١٨٧ وتفسير الفخر الرازي ١/١٥٠

(٣) سورة الحج آية : ٧٥

(٤) تفسير الفخر الرازي ٢/١٥٠

(٥) لفظ الحشوية : ((أول من ابتدعه المعتزلة فإنهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم : الحشو كما تسميهم الرافضة : الجمهور . وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم وهم غير الأعيان المتميزين ، يقولون : هذا من حشو الناس كما يقال : هذا من جمهورهم .
وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد وقال : كان عبد الله بن عمر حشوياً ، فالمعتزلة سمّوا الجماعة حشوا كما تسميهم الرافضة : الجمهور)) مجموع الفتاوى ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٣/١٨٥ .
والحشوية وصف يطلقه بعض أهل الكلام على طوائف منهم مجسمة وغيرهم ويطلق أيضاً عند بعض أهل الكلام على أهل السنة والجماعة وممن أشار إلى معنى الحشوية : ابن السبكي حيث يقول : ((المراد بالحشوية الطائفة الذين لا يريدون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم المعتقد بأن الظاهر غير مراد ولكنهم يفوضون التأويل إلى الله سبحانه وتعالى .

==

==وعلى هذا فإطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن لعدم مناسبته لمعتقدهم ولأن ذلك مذهب طوائف السلف من أهل السنة رضي الله عنهم)) أ . هـ .
الإبهاج ، على بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق : جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١/٣٦١
ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((أن الطائفة إنما تتميز باسم رجالها أو بنعت أحوالها فالأول كما يقال في النجدات والأزارقة والجهمية والنجارية والضرارية ونحو ذلك .
والثاني كما يقال : الرافضة والشيعة والقدرية والمرجئة والخوارج ونحو ذلك .
فأما لفظ الحشوية فليس فيه ما يدل على شخص معين ولا مقالة معينة فلا يدري من هؤلاء وقد قيل إن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد فقال : كان عبد الله بن عمر حشوياً وكان هذا اللفظ في اصطلاح من قاله يريد به العامة الذين هم حشو)) منهاج السنة النبوية ، ١٤٠٦هـ ٢/٥١٨ ـ ٥٢١
وأعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات إنما هو وصف الله وتسميته بما وصف وسمى به نفسه أو وصفه وسماه به رسله على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى من غير تشبيه ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ سورة الشورى آية ١١ وطريقتهم في الوصف طريقة الكتاب والسنة وهي الإثبات المفصل والنفي المجمل فلا أحد أعلم بالله من الله ولا بشر أعلم بالله من رسل الله صلى الله عليهم وسلم لكن كثير من أصحاب المقالات يسمون أهل السنة والجماعة بالحشوية ويقولون عنهم أنهم مشبهة وهذا غير صحيح وقد فند ذلك مجموعة من العلماء منهم ابن تيمية رحمه الله تعالى في كثير من كتبه منها منهاج السنة ٢/٢١١٧ وما بعدها ومنهم محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي ومن ذلك قوله : ((أعلم أن جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وإسحاق بن راهوية ويحي بن معين وهذا خطأ فإنهم منزهون في اعتقادهم عن التشبيه والتعطيل ... إلى قوله : مع أنهم كانوا يجزمون بأن الله تعالى لا شبيه له وليس كمثله شيء ومعلوم أن هذا الاعتقاد بعيد جداً عن التشبيه)) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . ص٦٦
ولا يفوت أن بعض من صنف في المقالات يسمون الأشاعرة حشوية ، انظر الملل والنحل ١/٨٦

من خالف في ذلك))[١] . وفي كلام غيره من العلماء منهم القاضي عياض[٢] وغيره ما يدل على أن منهم الرسل ومنهم من ليس برسول ، وجعل القاضي عياض الخلاف في عصمتهم مبيناً على ذلك فقال : ((اتفق أئمة المسلمين على أن حكم المرسلين من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة / مما ذكر عصمتهم منه ، وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم .

٩ب – ١٠أ

واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم))[٣] واختار هذا القول[٤] .

وأما الآمدي[٥] فقال في بعض كتبه : ((اختلف المتكلمون في عصمة الملائكة

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٥٢/٢

(٢) هو : عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي ويحصب قبيلة من حمير ولد بسبته في النصف من شعبان سنة ٤٧٦هـ له مؤلفات عدة وكان شديد التعصب للسنة والتمسك بها ، مات بمراكش ودفن بها في رمضان وقيل ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة من جمادى الآخرة وقيل قتل بالرماح لإنكاره عصمة ابن تومرت، وذلك سنة ٥٤٤هـ .

انظر : وفيات الأعيان ٤٨٣/٣

وسير أعلام النبلاء ٢١٢/٢٠ ، وشذرات الذهب ١٣٨/٢

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض اليحصبي ، تحقيق عبد السلام محمد أمين والحاشية المسماة : مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا ، أحمد بن محمد بن محمد الشمني ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م ١٠٩/٢ .

(٤) الشفا ١٠٩/٢ .

(٥) هو : سيف الدين أبو الحسن على بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي الحنبلي ثم الشافعي . ولد بآمد سنة نيف وخمسين وخمسمائة وقيل ستة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وتوفي في دمشق يوم الثلاثاء رابع صفر سنة إحدى وثلاثين وستمائة وله ثمانون سنة . ==

نفياً وإثباتاً)) [1]ولم يفصل ولم يرجح .

فمن الحجج على عصمتهم قول الله تعالى : ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[2] قال : فخر الدين : ((هذه الآية تتناول جميع الملائكة في فعل جميع المأمورات وترك جميع المنهيات ، لأن ما أمر بفعله فقد نهى عن ضده والدليل على العموم صحة الاستثناء))[3]

ومنها قوله تعالى : ﴿ ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [4]ومن هذه صفته لا يتصور منه صدور الذنب إذ لو صدر الذنب منه لفتر عن التسبيح وللمنع في هذا الوجه الذي قبله محال واضح .

==انظر : شذرات الذهب ٣/١٤٤ وطبقات الشافعية ٢/٧٩
وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٦٤ ررفيات الأعيان ٣/٢٩٣ .

(١) لم أجده فيها توفر لدي من مراجع والله اعلم

(٢) سورة التحريم آية : ٦ .

(٣) الفخر الرازي قد أشار في تفسيره أن هذه الآية مختصة بملائكة النار ، ثم قال : فإذا أردنا الدلالة العامة تمسكنا بقوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ سورة النحل آية : ٥٠ ثم أشار إلى أن هذه الآية تتناول جميع فعل المأمورات وترك المنهيات .
والمراد بالاستثناء هو أنه لا شيء من المأمورات إلا ويصح الاستثناء منه .
انظر تفسير الفخر الرازي ٢/١٥٣ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ١٩ ــ ٢٠ .

ومنها قوله تعالى:﴿ بل عباد مكرمون* لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾[١]
وهذا يقتضي توقفهم في كل الأمور على أمر الله تعالى ، ومن كان كذلك لم يصدر الذنب[٢] وقرره الآمدي بأن قال : ((المعصية أما بمخالفة الأمر أو النهي لا جائز أن تقع بمخالفة / الأمر إذ هو خلاف الآية ولا جائز أن يكون بمخالفة النهي لأن النهي عن الشيء أمر بأحد أضداده ومخالفة النهي إنما تكون بارتكاب المنهي ،وارتكاب المنهي يقتضي عدم التلبس بضدٍ من أضداده وذلك مخالفة للأمر وهو خلاف مدلول الآية))[٣] وهذا بناء على أن النهي عن الشيء أمر بضده ، وهي مسألة مشهورة .

١٠أ – ١٠ب

واحتج فخر الدين مع ما ذكرناه بوجهين آخرين :

أحدهما : أنهم طعنوا في البشر بالمعصية فلو كانوا عصاة لما حَسُنُ منهم هذا الطعن[٤] ولا يخفى ما فيه .

الثاني : أنهم رسل الله تعالى لقوله تعالى : ﴿ جاعل الملائكة رسلا ﴾[٥]
والرسول معصوم لقوله تعالى :

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٦ ــ ٢٧ .

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي ١٥٣/٢ .

(٣) لم أجدها فيما تيسر لي من مراجع .

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٥٣/٢ .

(٥) سورة فاطر آية : ١ .

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾[١][٢] وهو بناء على أن الكل رسل ، وقد تقدم الكلام فيه وعلى أن قوله تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يعلم رسالاته ﴾

من أدلة العصمة في غير الأنبياء[٣] .

ولمانع أن يمنع ذلك .

واحتج من لم ير عصمة الملائكة جميعهم بأمور :

قصة هاروت وماروت وهي قصة مشهورة تذكر في التفاسير[٤] وكتب القصص وخلاصتها أن هاروت وماروت[٥] كان ملكين وعجبا من عصيان بني

(١) سورة الأنعام آية ١٢٤

(٢) قراءة حفص : ((رسالته)) على التوحيد ــ أي الأفراد ــ وهي رسم المصحف وهي أيضاً قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وأهل الكوفة ، وقرأ نافع وأهل المدينة والباقون على الجمع بالألف وكسر التاء وهي ما أورده المؤلف . أنظر : النشر في القراءات العشر أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، تصحيح ومراجعة على محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢/٢٦٢ ، وانظر أيضاً زاد المسير في التقسير ، عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي المكتب الإسلامي ، بيروت ط٣ في ١٤٠٤ ، ٢/٣٩٧ وانظر أيضاً تفسير القرطبي ٢/٣٩٧ .

(٤) انظر تفسير الفخر الرازي ٢/١٩٧ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . . الآية ﴾ سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(٦) بالرجوع إلى تفسير الآية يتضح أن تفسير هاروت وماروت هو : ==

آدم وقالا لو ركبت فينا شهوة بني آدم وغضبهم لما عصينا فأنزلهما الله تعالى إلى الأرض وركب فيهم الشهوة واحتكمت / إليها الزهرة[١] وكانت من أجمل النساء في وقتها ، فأعجبتهما وحملتها على السجود للصنم وقتل النفس وشرب الخمر وتعلمت منها الإسم الأعظم[٢] وصعدت إلى السماء فمسخت إما كوكباً وإما سحاباً وأنهما استشفعا

١٠ب – ١١أ

==واتبع اليهود ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان و لم يترل السحر على الملكين جبريل وميكائيل ولكن الشياطين كفروا يعلم الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معنيا بالملكين جبريل وميكائيل لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان عليه السلام فأكذهم الله بذلك وأخبر نبيه محمد ﷺ أن جبريل وميكائيل لم يترلا بسحر قط وبرأ سليمان عليه السلام مما نحلوه من السحر ، وأن الشياطين هم الذين يعلمون الناس السحر بمكان اسمه بابل وأن الذي يتولى تعليم الناس السحر هم رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت .

فالشياطين كفروا فهم يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت

وتكون بابل مضاف وهاروت مضاف إليه وماروت معطوف .

انظر : تفسير ابن جرير الطبري ٤٥٢/١

وانظر : تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ ١٣٨/١ .

(١) الزهرة اسم كوكب ؛ انظر تفسير الطبري ٤٥٧/١ .

والعين ١٣/٤ باب الهاء والزاي والراء معهما

(٢)الاسم الأعظم لله سبحانه وتعالى إذا دعي به أجاب عز وجل ـ وهنا نكته وهي : أن الإجابة لا يلزم أن تكون حالاً ،فإن الإجابة قد تتأخر وقد يمتد التأخير وقد تعتلج مع قدر فترده وقد تدخر الدعوة إلى يوم القيامة ـ واختلف فيه إلى أقوال : منها : أن الله استأثر بعلم الاسم الأعظم و لم يطلع عليه أحد من خلقه ومنها : أنه : الله ، لأنه اسم لم يطلق على غيره ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى ومن ثمّ أضيفت إليه . ==

بإدريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فكبلا بحديد ونكسا في بئر ببابل[١] بينهما وبين الماء أربعة أصابع .

ويوجد في هذه القصة زيادة ونقصان واختلاف كبير وأئمة النقل لم يصححوا هذه القصة ، ولا أثبتوا روايتها عن علي وابن عباس رضي الله عنهما .

قال القاضي عياض : ((إن هذه الأخبار لم يرد منها شيء لا صحيح ولا سقيم عن النبي ﷺ[٢] قال : ((وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءاتهم)) [٣] فإن قيل : ففي كتاب الله تعالى : ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين

== ومنها : الرحمن الرحيم الحي القيوم

ومنها : الحي القيوم

ومنها : الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم

ومنها : الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحد

ومنها : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

انظر : فتح الباري ٢٢٤/١١

وتحفة الأحوذي ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحمن المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٣١٥/٩ .

(١) بابل : بكسر الباء اسم ناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر وله عدة اطلاقات : بابل العراق وبابل دنباوند وبابل الكوفة ، انظر " معجم البلدان ٣٠٩/١ ، والمقصود بابل العراق والله اعلم

(٢) الشفا ١٠٩/٢ .

(٣) الشفا ١٠٩/٢ .

المرء وزوجه ﴾(١) قلنا : للناس في ذلك أقوال كثيرة والمحققون ذهبوا في معناها إلى غير ما ذكر أولاً من قصة هاروت وماروت وقالوا في الآية قراءتان في ملكين(٢) أحدهما / بكسر اللام وهي شهادة ؛ والمشهورة بفتح اللام ، ولكن ذكروا في تأويل ذلك : أن الله تعالى كان قد امتحن الناس بالملكين فإن السحر(٣) كان قد ظهر وظهر قول أهله فأنزل الله تعالى ملكين يعرفان الناس

١١أ- ١١ب

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(٢) انظر : زاد المسير ١٢٢/١

(٣) السحر لغة : كل ما لطف مأخذه ودق ، واصطلاحاً : له عدة معان :

أحدهما : أنه خداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار لخفة يده

وقيل : هو تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته

وثانيها : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه

وقيل : أنه عزائم ورقي وعقد وكلام يتكلم به ـــ أي الساحر ـــ أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو عقله أو قلبه فبإذن الله يمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وقد يمنع الزوج من وطء زوجته أو يكره أحد الزوجين أو كلاهما للآخر وقد يحبب أحدهما أو كلاهما للآخر وهو نوع من أنواع الشرك فلا ينعقد السحر بدون شرك ، ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله ويكفر بذلك سواء اعتقد تحريمه أو إباحته والله اعلم ، انظر : لسان العرب ٣٤٨/٤ مادة سحر ، ومختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، طبعة جديدة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ص١٢٢ . وتفسير الطبري ٤٥٢/١ ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت لبنان توزيع مكتبة عباس أحمد الباز مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـــ ١٩٩٧م ص ٢٥٤ كلمة سحر وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة الرياض ص٣٣٣ ، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب . محمد بن=

حقيقة السحر ويوضحان أمره ليعلم الناس ذلك ويميزوا بينه وبين المعجزات(١)

=عبدالوهاب ، تحقيق : عبد العزيز زيد الرومي و د . محمد بلتاجي و د . سيد حجاب ، جامعة الإمام محمد بن مسعود ، الرياض الرسالة ١١ص٦٩

(١) المعجزات جمع معجزة فقيل في تعريفها أنها : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي التعاريف : محمد بن عبدالرؤوف المنادي ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، ٦٦٥/١ وهذا يشمل المعجزة والكرامة والاستدراج ، وقيل : المعجزة : فعل خارق للعادة مقترن بالتحدي سليم عن العارضة يتنزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة وهو منقسم إلى خرق المعتاد وإلى إثبات غير المعتاد ، الملك والنحل ١٠٢/١ ، وفي هذا التعريف لم يربطها بصاحب الوحي فيدخل فيها الكرامة والله اعلم .

وقيل : حقيقة المعجزة هي : كل ما قصد به إظهار صدق المتحدي بالنبوة المدعي للرسالة .

غاية المرام : ٣٣٣/١ وهذا التعريف شرط فيه اقتران النبوة بالرسالة وليس كل نبي رسول والمقصود بالمعجزة هو : الإنباء عن امتناع المعارضة لا الإنباء عن المعجزة عن الإتيان بمثل تلك المعجزة ، غاية المرام : ٣٣٣/١

والمعنى المختار للمعجزة أنها : آية وعلامة وبرهان قاطع يثبت بها صدق مدعي الوحي من الأنبياء والرسل .

انظر : النبوات ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٦هـ ص٣

ويقول ابن تيمية أيضاً في بيان كيفية إثبات صدق مدعي النبوة : ومن تأمل معارف الناس وجد أكثرها من هذا الضرب فقد يجيء المخبر إليهم بخبر فيعرف كثير منهم صدقه أو كذبه بالضرورة لأمور تقترن بخبره وآخرون يشكون في هذا ثم قد يتبين لبعضهم بأدلة وقد لا يتبين وكثير من الناس يعلم صدق المخبر بلا آية البتة بل إذا اخبره وهو خبير بحاله أو بحال كذلك المخبر به أو بهما علم بالضرورة إما صدقه وإما كذبه ، وموسى بن عمران لما جاء إلى مصر ، فقال لهارون وغيره إن الله أرسلني علموا صدقه قبل أن يظهر له الآيات ولما قال لهارون : إن الله قد أمرك أن تؤازرني صدقه هارون في هذا لما يعلم من حاله قديما ولما رأى من تغير حاله الدال على صدقه وكذلك النبي ﷺ لما ذكر حاله لخديجة وغيرها وذهبت به إلى ورقة بن نوفل وكان عالماً =

=بالكتاب الأول ذكر له النبي ﷺ ما يأتيه علم أنه صادق وقال هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى يا ليتني فيها جزعاً يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ، قال رسول الله ﷺ : ((أومخرجي هم)) قال : نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وأن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً وكذلك النجاشي لما سمع القرآن ، قال : عن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، وكذلك أبو بكر وزيد بن حارثة وغيرهما علموا صدقه علماً ضرورياً لما أخبرهم بما جاء به وقرأ عليهم ما أنزل عليه وبقي القرآن الذي قرأه آية وما يعرفون من صدقه وأمانته مع غير ذلك من القرائن يوجد علماً ضرورياً بأنه صادق وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس تقترن به القرائن ، يعرف بها صدقه بالضرورة .

فكيف بمن عرف صدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا من هو من أصدق الناس أو من أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني ، فإذا كان العلم بصدقه بلا آية قد يكون علماً ضرورياً فكيف بالعلم بكون الآية علامة على صدقه وجميع الأدلة لابد أن تعرف دلالتها بالضرورة ، فإن الأدلة النظرية لابد أن تنتهي إلى مقدمات ضرورية وأكثر الخلق إذا علموا ما جاء به موسى والمسيح ومحمد علموا صدقهم بالضرورة ولهذا لا يوجد أحد قدح في نبوتهم إلا أحد رجلين ، إما رجل جاهل لم يعرف أحوالهم ، وإما رجل معاند متبع لهواه وعامة من كذبهم في حياتهم كان معانداً فالرؤساء كذبوهم لئلا تزول رئاستهم أو مأكلتهم والإتباع طاعة لكبرائهم كما أخبر الله بمثل ذلك في غير موضع من القرآن ، لم يكن التكذيب لقيام حجة تدل على الكذب ، فإنه يمتنع قيام دليل يدل على الكذب ، فالمكذب مفتر متكلم بلا علم ولا دليل قطعاً ، وكذلك كل من كذب بشيء من الحق أو صدق بشيء من الباطل يمتنع أن يكون عليه دليل صحيح فإن الدليل الصحيح يستلزم مدلوله فإذا كان المدلول منتفياً أمتنع أن يكون عليه دليل صحيح ، وكثير من الناس قد يكون شاكاً لعدم طلبه العلم وإعراضه عنه ، فالمكذب متكلم بلا علم قطعاً ، والشاك معرض عن طلب العلم مقصر مفرط ولو طلب العلم تبين له الحق إذا كان متمكناً من معرفة أدلة الحق وأما من لم يصل إليه الدليل ولا يتمكن من الوصول إليه فهذا عاجز وأما الذين سلكوا طريق الحكمة فلهم أيضاً مسالك مثل أن يقال أن الله سبحانه وتعالى ، إذا بعث رسولاً أمر الناس بتصديقهم وطاعتهم فلابد أن ينصب لهم دليلاً ندلهم على صدقه فإن إرسال رسول بدون علامة وآية تعرف المرسل إليه أنه رسول قبح وسفه في صرائح العقول وهو نقص في جميع الفطر ، وهو سبحانه منزه عن النقائص والعيوب ولهذا يذكر =

=على المشركين أنهم يصفونه بما هو عندهم عيب ونقص لا يرضونه لأنفسهم مثل كون مملـوك أحدهم شريكه يساويه فإن هذا من النقائص والعيوب التي ينـزهون أنفسهم عنها ويعيبون ذلك على من فعله من الناس فإذا كان هذا عيباً ونقصاً لا يرضاه الخلق لأنفسهم لمنافاته الحكمة العدل فإن الحكمة والعدل تقتضي وضع كل شيء موضعه الذي يليق به ويصلح به فلا تكون العين . كالرجل ولا الإمام الذي يؤتم به في الدين والدنيا في آخر المراتب والسفلة من أتباعـه في أعلـى المراتب فكذلك المالك لا يكون مملوكه مساوياً له فإن ذلك يناقض كون أحدهما مالكاً والآخـر مملوكاً ولهذا جاءت الشريعة بأن المرأة لا تتزوج عبدها لتناقض الأحكام ، فإن الزوج سيد المرأة وحاكم عليها والمالك سيد المملوك وحاكم عليه ، فإذا جعل مملوكها زوجها الذي هو سـيدها تناقضت الأحكام فهذا وأمثاله مما يتبين أن هذه القضية مستقرة في فطر العقلاء ولهذا قال تعالى : ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾ أي كمـا يخـاف بعضكم بعضاً كذلك يفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمـن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين ﴾ وكذلك كل أحد يعلم بفطرته أن الذكر أفضل مـن الأنثى وكانت العرب أشد كراهية للبنات من غيرهم حتى كان منهم من يئد البنـات ويـدفن البنات وهي حية حتى قال تعالى ﴿ وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾ وقال تعـالى ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ﴾ وكانوا لا يورثون الإناث وقد قالت أم مريم ﴿ ولـيس الـذكر كالأنثى ﴾ وكان من الكفار من جعل له الإناث أولاداً وشركاء قال تعالى ﴿ أفـرأيتم الـلات والعزة ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضـيزى إن هـي إلا أسمـاء سميتموها أنتم وآباؤكم ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسـمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ وقال تعـالى ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهـو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا سـاء مـا يحكمون ﴾ يعني ساء الحكم ، حكمهم : أي بئس الحكم حكمهم كما يقـال بئسـما فعـل=

=، وبئسما حكما حيث حكموا بأن لله البنات ولهم ما يشتهون فهذا حكم جائر كما أن تلك القسمة ، قسمة جائرة عوجاء فهذا حكمهم بينهم وبين ربهم .
وهذا قسمهم يجعلون لأنفسهم أفضل النوعين ولربهم أدنى النوعين وهو مثل السوء ولله المثل الأعلى فالواجب أن يكون أفضل الأنواع وأكملها لله وما فيها نقص ، وعيب فالمخلوق أحق بها من الخالق إذ كان كل كمال في المخلوق فهو من خالقه ، فيمتنع أن يكون الأنقص خلق الأكمل والفلاسفة يقولون بعبارتهم كل كمال في المعلول فهو من العلة ، وأيضاً فالموجود الواجب أكمل من الممكن والقديم أكمل من المحدث والغني أكمل من الفقير فيمتنع اتصاف الأكمل بالنقائص واتصاف الأنقص بالكمالات ولهذا يوصف سبحانه بأنه الأكرم والأكبر والأعلى وأنه أرحم الراحمين وخير الحاكمين وخير الغافرين وأحسن الخالقين فلا يوصف قط إلا بما يوجب اختصاصاته بالكمالات والممادح والمحاسن التي لا يساويه فيها غيره فضلاً عن أن يكون لغيره النوع الفاضل وله النوع المفضول ولهذا عاب الله المشركين بأن جعلوا لله ما ذرا من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا : هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون فبئس الحكم حكمهم في هذا كما أنه بئس الحكم حكمهم في جعل الذكور لهم والإناث له وساء بمعنى بئس كقوله ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا أي بئس مثلاً مثلهم ولهذا قالوا في قوله ساء ما يحكمون بئسما يقضون ، وقال الله تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً ﴾ وقال تعالى :﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين * وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ فهذه الطريقة وهي أن ما يستحقه المخلوق من الكمال الذي لا نقص فيه فالخالق أولى به وما يتزه عنه المخلوق من العيوب المذمومة فالخالق تعالى أولى بتتريهه عن كل عيب وذم وهو سبحانه القدوس السلام الحميد المجيد من أبلغ الطرق البرهانية وهي مستعملة في القرآن في غير موضع فلذلك يقال الواحد من الناس قادر على إرسال رسول وعلى أن يرسل نشابة وعلامة يعرف المرسل إليهم بها صدقه فكيف لا يقدر الرب على ذلك ثم إذا أرسله إليهم وأمر بتصديقهم وطاعته ولم يعرفهم أنه رسوله كان هذا من أقبح الأمور فكيف يجوز مثل هذا على الله ولو بعثه بعلامة لا تدلهم على صدقه كان ذلك عيباً مذموماً فكل ما =

=ترك من لوازم الرسالة أما أن يكون لعدم القدرة وأما أن يكون للجهل والسفه وعدم الحكمة والرب أحق بالتتريه عن هذا وهذا من المخلوق فإذا أرسل رسولاً فلابد أن يعرفهم أنه رسوله ويبين ذلك وما جعله آية وعلامة ودليلاً على صدقه امتنع أن يوجد بدون الصدق فامتنع أن يكون للكاذب المتنبي فإن ذلك يقدح في الدلالة فهذا ونحوه مما تعرف بد دلالة الآيات من جهة حكمة الرب فكيف إذا انضم إلى ذلك أن هذه سنته وعادته وأن هذا مقتضى عدله وكل ذلك عند التصور التام يوجب علما ضرورياً بصدق الرسول الصادق وأنه لا يجوز أن يسوي بين الصادق والكاذب فيكون ما يظهره النبي من الآيات يظهر مثله على يد الكاذب إذ لو فعل هذا لتعذر على الخلق التمييز بين الصادق والكاذب وحينئذ فلا يجوز أن يؤمروا بتصديق الصادق ولا يذموا على ترك تصديقه وطاعته إذ الأمر بذلك بدون دليله تكليف ما لا يطاق وهذا لا يجوز في عدله وحكمته ولو قدر أنه جائز عقلاً فإنه غير واقع ، وقد دل القرآن على أنه سبحانه لا يؤيد الكذاب عليه بل لابد أن يظهر كذبه وأن ينتقم منه ، فقال تعالى ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ ذكر هذا بعد قوله : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تتريل من رب العالمين ﴾ ثم قال : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ هذا بتقدير أن يتقول بعض الأقاويل فكيف بمن يتقول الرسالة كلها ، وقوله : ﴿ لأخذنا منه باليمن ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ الوتين عرق في الباطن ، يقال هو نياط القلب ، إذا قطع مات الإنسان عاجلاً وذلك يتضمن هلاكه لو تقول على الله وقوله لأخذنا منه باليمين ، قيل لأخذنا بيمينه كما يفعل بمن يهان عند القتل فيقال خذ بيده فيجر بيده ثم يقتل فهذا هلاك بعزة ، وقدرة من الفاعل وإهانة وتعجيل هلاك للمقتول ، وقيل لأخذنا منها باليمين أي بالقوة والقدرة ، فإن الميامن أقوى ممن يأخذ بشماله كما قال : ﴿ فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾ وكما قال : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ لكنه قال : ﴿ أخذنا منه ﴾ ولم يقل لأخذناه فهذا يقوي القول الأول ، وقال تعالى : ﴿ أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ يختم على قلبك ﴾ ، ثم قال : ﴿ ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته ﴾ فقوله فيمحوا الباطل عطف جملة على جملة قالوا : وليس من جواب الشرط لأنه قال : ويحق الحق بالضم وهو معطوف على قوله : يمحو الله الباطل ، فمحوه للباطل وإحقاقه للحق خبر منه لابد أن يفعله ، فقد بين =

=أنه لابد أن يمحو الباطل ويحق الحق بكلماته فإنه إذا أنزل كلماته دل بها على أنه نبي صادق إذا كانت آية له وبين بها الحق من الباطل وهو أيضاً يحق الحق ويبطل الباطل بكلماته فإنه إذا أنزل كلماته دل بها على أنه نبي صادق إذا كانت آية له وبين بها الحق من الباطل وهو أيضاً يحق الحق ويبطل الباطل بكلماته التي تكون بها الأشياء فيحق الحق بما يظهره من الآيات وما ينصر به أهل الحق كما تقدمت كلمته بذلك كما قال : ﴿ ولقد سبقت كلماتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ وقال : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾ وقال : ﴿ وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ وقال تعالى : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ وأمره يتضمن ما يؤمر به وهو الكائن بكلماته ، وقال تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ ، وكلماته صدق وعدل ، والعدل وضع الأشياء مواضعها فمن عدله أن يجعل الصادق عليه المبلغ لرسالته حيث يصلح من كرامته ونصره وأن يجعل الكاذب عليه حيث يليق به من إهانته وذله ، قال تعالى : ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ﴾ ، قال أبو قلابة : هي لكل مفتر إلى يوم القيامة ، ومن أعظم الافتراء عليه دعوى النبوة الرسالة . كذبا كما قال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ أو قال : ﴿ أوحي إليّ ﴾ ولم يوح إليه شيء ، ومن قال : سأنزل مثل ما أنزل الله وذكر في هذا الكلام جميع الأصناف الكاذبين الذين يعارضون رسله ، الصادقين كما ذكر فيما قبله حال الكاذبين في قوله : ﴿ وما قدر الله حق قدره ﴾ إذا قالوا : ﴿ ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفونه كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهو على صلاتهم يحافظون﴾ ثم قال : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ أو قال : أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء الآية ، فإن الكاذب إما أن يقول أن غيري أنزله عليّ وإما أنا يقول أن أصنف مثل هذا القرآن وإذا قال غيري أنزل عليّ فأما أن يعنيه فيقول أن الله أنزله عليّ وأما أن يقول أوحيّ ولا يعين من أوحاه فذكر الأصناف الثلاثة فقال : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ أو قال : أوحيّ إليّ ولم يوح إليه شيء فهذان نوعان من جنس ، ثم قال : ومن لم يقل ، أو قال : إذ كان هذا معارضاً لا يدعي أنه رسول ، فقال : ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله وهؤلاء المعارضون قد تحداهم في غير موضع وقال : ﴿قل لئن اجتمعت=

والكرامات[1] فمن جاء يطلب ذلك منهما أنذراه وأعلماه أنا إنما أُنزلنا فتنة لتعليم السحر فمن تعلمه لتجنبه ، ويتحقق الفرق بينه وبين المعجزات والكرامة

=الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ والرسول أخبر بهذا خبراً تاماً في أول الأمر وهذا لا يمكن إلا مع قطعه ، أنه على الحق وإلى الآن لم يوجد أحد أنزل مثل ما أنزل الله قوله ، ومن قال سأنزل و لم يقل أقدر أن أنزل فإن قوله سأنزل هو وعد بالفعل وبه يحصل المقصود بخلاف قوله أقدر فإنه لا يحصل به غرض المعارض وإنما يحصل إذا فعل فمن وعد بإنزال مثل ما أنزل كان من أظلم الناس وأكذبهم إذا كان قد تبين عجز جميع الثقلين ، الأنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن وقوله : مثل ما أنزل الله ، يقتضي أن كل ما أنزله الله على أولياءه فهو معجزة لا يقدر عليه إلا الله فالتوراة والإنجيل والزابور وهذا حق فإن في ذلك من أنباء الغيب ما لا يعلمه إلا الله .

وفيه أيضاً من تأييد الرسل بذلك ما لا يقدر على أن يرسل بتلك الرسالة إلا الله ، فلا يقدر أحد أن يترل مثل ما أنزل الله على نبيه فيكون به مثل الرسول ولا أن يرسل به غيره)) النبوات ص٢٣٨ -٢٤٥

(١) الكرامات جمع كرامة فقيل هي : أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح فهو استدراج .

التعاريف ٦٠٢/١ والتعريفات ٢٣٥/١

والمعنى المختار هو أن الكرامة : أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد من عباده الصالحين حيا أو ميتا إكراما له فيدفع به عنه ضرا أو يحقق له نفعا أو ينصر به حقا وذلك الأمر لا يملك العبد الصالح أن يأتي به إذا أراد من عند نفسه بل هو إلى الله وحده))

انظر : فتاوى مهمة لعموم الأمة : عبدالعزيز بن باز ، ومحمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : إبراهيم الفارس ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، ص٣٣

فيكون الفرق بين المعجزة والكرامة في من تجري على يديه ، فالمعجزة على يد مدعي الوحي والكرامة على يد عبد صالح أما الاستدراج فعلى يد فاسق أو كافر والله اعلم

أما الإرهاص : فهو أحدث أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته ، التعريفات ص٣١ .

وما يظهره الله على يد عباده المؤمنين من ذلك هو المرضي[١] ومن تعلمه لغير ذلك أدى به إلى الكفر فلهذا كان الملكين[٢] يقدمان للمتعلم هذه المقالة[٣] ثم يقولان له إذا فعل الساحر كذا فرق بين المرء وزوجه فلا يتحيل بمثل هذه الحيلة ولا يفعل هذا الفعل فإنه من فعل السحرة ويؤدي إلى الكفر وعلى هذا يكون فعل الملكين طاعة أمر الله تعالى .

ومن الناس من ذكر فيه وجهاً آخر وهو أن الله تعالى لما بين أن الكفار واليهود ادّعوا على سليمان[٤] أنه كان ساحرا وقالوا : أن الجن[٥] دفنت كتب السحر تحت مصلاه ثم أظهرها بعد موته لتقول للناس كان ساحراً ، أو أن سليمان كان قد جمع / كتب السحر ودفنها لتضيع على الناس فأخرجها الجن لليهود بعد موته وصارت في أيديهم ، وفشا السحر فيما بينهم[٦] ولهذا أكثر ما يوجد

١١ب-١٢أ

---

(١) الصحيح أنه يحرم تعلمه لأي غرض كان وهو نوع من أنواع الشرك وسبق بيان ذلك عند تعريف السحر ص٣٤ .

(٢) الصحيح : الملكان فاللفظ اسم كان مرفوع وعلامة رفع الألف لأنه مثنى .

(٣) وكلامه هذا على افتراض أن هاروت وماروت ملكان والأظهر أنهما رجلان كما نبين مسبقا ص٣٢ والله اعلم .

(٤) عليه الصلاة والسلام .

(٥) الجن جماعة ولد الجان وسُمّوْ به لاستجنانهم واستتارهم عن الناس فلا يرون وكما ورد في الحديث السابق ص١٧ أنهم مخلوقون من مارج من نار ، وكما في القرآن ﴿ خلق الجان من مارج من نار ﴾ سورة الرحمن آية : ١٥

انظر لسان العرب ٩٥/١٣

(٦) انظر : تفسير الطبري ٤٤٥/١ وزاد الميسر ١٢٠/١ ــ ١٢١

السحر عند اليهود ، وكان اليهود يعزون ذلك إلى سليمان ، فقال الله تعالى :

﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾ [(١)]

ثم إن اليهود ادعت بعد ذلك أن السحر الذي بين أيديهم من ميراث سليمان وأن جبريل وميكال نزلا به فأكذبهم الله تعالى في الأمرين وقال : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ فتكون ((ما)) نافية على هذا القول عطفاً على قوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ ويكون قوله : ((ببابل)) متعلقاً بقوله : ﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ وعلى هذا قيل : هاروت وماروت رجلان تعلما السحر[(٢)] ، روي عن الحسن[(٣)] أنه قال :

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٢ .انظر تفسير الطبري ١/٤٤٥ .

(٢) انظر تفسير الطبري ١/٤٥٢ .

(٣) هو : الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد من كبار التابعين أبوه مولى زيد بن ثابت ﷺ وأمه أسها خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنهما وكان ربما أعطته أم سلمة رضي الله عنها ثديها في صغره تعلله به حتى تجيء فيدر عليه .

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ ، وتوفي عشية يوم الخميس مستهل رجب سنة عشر ومئة للهجرة بالبصرة وصل عليه بعد الجمعة ودفن بها وله نحو تسع وثمانين سنة

انظر : سير أعلام النبلاء ٤/٥٦٣ وطبقات المفسرين ٢٢ ، ١/١٣ ، ووفيات الأعيان ٢/٦٩ والطبقات الكبرى ٧/١٥٦ ، والكامل ٤/٣٨٩ ، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، وشعيب الأرناؤوط ، وصالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، ٦٥ والعبر ١/١٣٦

هاروت وماروت علجان[١] من أهل بابل وقرأ : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ بكسر اللام[٢] لكن ((ما)) على هذه القراءة إسمية ويكون الإنزال من الشياطين ، ويجوز أن تكون نافية ، وقرأ كذلك عبد الرحمن بن أبزي[٣] وفسر الملكين بداود وسليمان[٤] ولا تكون ((ما)) على هذا القول إلا نافية[٥] قال ابن الخطيب[٦] (ويدل على بطلان هذه القصة التي تروى في حديث هاروت وماروت أنهم ذكروا فيها أن الله تعالى قال لهما : ((لو / ابتليتكما بما ابتَلَيْتُ به بني آدم لعصيتماني)) فقالا : ((لو فعلت ذلك يا رب ما عصيناك)) وهذا لا يجوز نسبته إلى ملكين فإنه رد على الله تعالى .

١٢أ-١٢ب

قال : والحشوية تسلم عصمتها قبل هذا الذنب .

---

(١) علجان : مثنى علج والمعنى : الرجل من كفار العجم وقيل الرجل الكافر مطلقا انظر لسان العرب ٣٢٦/٢ مادة : علج

(٢) كلام الحسن رحمه الله وقراءته انظرها في : الفصل في الملل والأهواء والنحل : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٢٧/٤ وفي الشفا ١١٠/٢ وتجد قراءته في تفسير القرطبي ٥٢/٢ والقراءة بالكسر أشار إليها البيضاوي في تفسيره : تفسير البيضاوي ، البيضاوي ، تحقيق : عبد القادر عرفات العشا حسونة ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ٣٧٢/١

(٣) هو : عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي له صحبة وهو مولى نافع بن الحارث ويروى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : ابن أبزى ممن رفعه الله بالقرآن ، عاش إلى سنة نيف وسبعين للهجرة والله اعلم ، سير أعلم النبلاء ٢٠١/٣ وقراءته في تفسير القرطبي ٥٢/٢

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ١٣٨/١ ، وتفسير القرطبي ٥٢/٢

(٥) انظر تحقيق للمسألة في الشفا ١٠٩/٢ ــ ١١٠

(٦) هو الفخر الرازي .

قال : ومما يدل على بطلانها أيضاً أن التخير[1] وقع بين عذاب الدنيا والآخرة والله تعالى خيّر العصاة بل الكفار بين التوبة والعذاب .

وكذلك رووا أنهما يعلمان السحر الآن حال كونها معذبين وهذا من أعجب العجب .

ثم أنهم يروون أن المرأة التي فجرت صعدت إلى السماء ومسخت كوكباً مضيئا من السبعة السيارة وهذا مخالف للإقسام بالخنس الجوار الكنس[2] .

ومما احتج به من لم يوجب عصمة الملائكة : قصة آدم وأمرهم بالسجود له وما قالوه عند خلقه والاحتجاج بها من وجوه :

أحدها : اعتراضهم بقولهم :﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾[3] .

والثاني : غيبتهم لبني آدم بذلك .

والثالث : إعجابهم وافتخارهم على بني آدم بقولهم :﴿ **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾[4]

والرابع : مخالفة إبليس الأمر ، بالسجود مع أنه كان من الملائكة[5]

فهذه الوجوه الأربعة أشبه ما احتج به المخالف من هذه الآية وإن كان فيها / وجوه أخر من الاحتجاج لكن أعرضنا عنها لضعفها ووضوح الجواب عنها . ١٢ب- ١٣أ

---

(١) هكذا في المخطوط والأصوب : التخيير ، والله أعلم .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٥٧/٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٤) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٥٤/٢ .

والجواب عن هذه الوجوه :

أما الأول : وهو أنهم اعترضوا على الله تعالى فقد أجاب عنه أهل السنة بوجوه ثلاثة :

أحدها أنه ليس على سبيل الاعتراض وإنما هو على سبيل التعظيم لأمر الله تعالى ومعناه أنهم قالوا ذلك ليظهروا عظمة حكمة الله تعالى وأنه جعل في الأرض من هذه صفته وهذا الذي ظهر من حاله لِحِكْمه عَلِمهَا ومَصلحة قَدَّرَها هو أعلم بها فكأنهم قالوا : سبحانك ربنا وتعاليت ما أعظم حكمتك وأعلمك بخفايا الأمور حيث تجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء وأنت أعلم بموضع المصلحة في ذلك[1] ولهذا أجابهم بقوله : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [2] وكأنه تقرير لهم على ما اعتقدوه من خفي حكمة الله تعالى وعلمه

والثاني : أنهم لشدة محبتهم لله تعالى وحرصهم على الطاعة كرهوا المعصية فسألوا إعلامهم بما خفي عنهم من الحكمة في ذلك ليطمئنوا ويسكنوا إليه[3] وهو قول الأخفش[4]

---

(١) انظر : تفسير الرازي ٢/١٥٥ .

(٢) سورة البقرة آية : ٣٠ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢/١٥٥ .

(٤) هو : أبو الحسن سعيد بن مسعد البلخي الأخفش الأول مولى لبني مجاشع بن درام ، توفي سنة ٢٢١هـ وقيل سنة ٢١٥هـ وقيل سنة ٢٢٥هـ

شذرات الذهب ١/٣٦ وسير أعلام النبلاء ١٠/٢٠٦ والبداية والنهاية ١٠/٢٩٣ ، كشف الظنون ٢/١٣٩٢ الفهرست محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ١/٧٧ ، وأبجد العلوم ٣/٤٠ .

الثالث : وهو الذي اختاره القفال[1] : أن ذلك على سبيل الإثبات والإيجاب / ١٣أ- ١٣ب فهو استفهام تقرير وإيجاب ليس المراد به الاستفهام ولا الإنكار فكأنهم قالوا : نفعل ذلك ،

وهو كقول الشاعر[2]

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح[3]

أي : أنتم كذلك[4]

وقد قيل غير هذه الأجوبة[5] لكن هذه أقواها .

---

(١) هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي الشافعي ، ولد سنة أحدى وتسعين ومائتين للهجرة ، ومات بشاش سنة خمس وستين وثلثمائة للهجرة في شهر ذي الحجة

انظر : شذرات الذهب ٢/ ٥١ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٨٣ ، طبقات الشافعية ٢/ ١٤٨ والعبر ٢/ ٣٤٤ ، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٠ وطبقات المفسرين ١/ ١٠٩ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٠٠

وانظر اختيار القفال في تفسير الفخر الرازي ٢/ ١٥٥

(٢) هو جرير بن عطية بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع الخطفي التميمي البصري أبو حزر من فحول الشعراء ، قيل اسمه حذيفة والخطفي لقبه ، توفي باليمامة سنة عشرة ومائة للهجرة وعمره نيفا وثمانين سنة

انظر : سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٠ ، ووفيات الأعيان ١/ ٣٢١ ، والكامل ٤/ ٣٨٩ ، والمنتظم ١/ ١٤٤ .

(٣) شرح ديوان جرير ، مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ص٧٤ .

(٤) ذكر ذلك الفخر الرازي في تفسير ٥/ ١٥٥ .

(٥) منها مثلاً أن الله تعالى : ((أعلمهم أنه إذا جعل في الأرض خلقاً أفسدوا وسفكوا الدماء فسألوا حين قال تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ أهو الذي أعلمهم أم غيره .

تفسير القرطبي ١/ ٢٧٥ .

والمعتزلة[١] أجابوا على ما يناسب أصلهم بأن قالوا : إنما سأل الملائكة عن ذلك لأن الحكيم لا يجوز أن يفعل فعلا إلا لحكمة فكأنهم قالوا : أين وجه الحكمة في هذا حتى قالوا : إن الملائكة على مذهب أهل العدل[٢] .

والحكماء أجابوا على أصلهم بأن الفعل إذا اجتمع على مصلحة ومفسدة فلابد في إيقاعه من ترجح المصلحة على المفسدة ، فإن المفسدة لا تحتمل إلا لوجود مصلحة راجحة فسأل الملائكة عن المصلحة الراجحة التي اقتضت خلق الإنسان مع ما ظهر من مفسدته .

فإن قيل فكيف علم الملائكة أن بني آدم يسفكون الدماء ويفسدون في الأرض وكيف أضافوا ذلك إلى جمعهم مع أنه مضاف إلى البعض ؟ .

قلنا لعلهم كانوا قد اطلعوا على ذلك من اللوح المحفوظ أو أن الله تعالى أعلمهم بذلك ، أو علموه من جهة أنهم رأوا خلقه مركباً على الغضب والشهوة / ومن كان كذلك فالظاهر أنه يفسد ويسفك ، أو علموه لأنهم رأوا ١٣ب- ١٤أ

---

(١) المعتزلة : أصحاب واصل بن عطاء الغزال ، اعتزل عن مجلس الحسن البصري ، وأخذ يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت له المترلة بين المترلتين ، فقال الحسن : قد اعتزل عنا واصل ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد ، وإلى قدرهم ، وهي عدة فرق منها : الواصلية والعمرية والهذلية والنظامية والآمورية والإسكافية والبشرية والحابطية والعمرية والخياطية والجاحظية والكعبية والجبائية والبهشمية .

وابتداء أهم رد فعل لمذهب الخوارج والله أعلم . انظر : كتاب المواقف ٣/٦٥٢ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢/١٥٥ .

ما خلق للإنسان من العذاب في النار أو لتسمية الله تعالى له خليفة[١] فإنه أقيم لفصل الخصومات فعلموا أحواله
من جهة خلافته[٢] وكل هذه الوجوه منقولة[٣] .

---

(١) خليفة بمعنى مفعول أي مُخلَّف كما يقال : ذبيحة بمعنى مفعولة ، والخلف بالتحريك من الصالحين وبتسكينها من الطالحين ، تفسير القرطبي ٢٦٣/١
والاستعمال في الكتاب والسنة للفظ : ((خليفة)) هو : من خلف غيره عمن قبله سواه استخلف ذلك الغير أم لا قال تعالى : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ سورة الأعراف آية ٦٩ وقال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ سورة النور آية ٥٥
وخليفة على وزن فعيل بمعنى مفعول أي أن آدم خليفة استخلفه الله عمن قبله من الخلق
ولا يصلح أن يقال : أنه خليفة عن الله فإن الخلافة إنما تكون عن غائب أو ميت ، والله سبحانه وتعالى حي قيوم شهيد مدبر لخلقه لا يحتاج في تدبيره إلى غيره .
ولهذا لما قالوا لأبي بكر الصديق ﷺ : يا خليفة الله ، قال : لست خليفة الله بل خليفة رسول الله وحسبي ذلك .
وأيضاً لا يصلح أن يقال : إن الله يستخلف أحد عنه فإنه سبحانه وتعالى حي قيوم شهيد مدبر لعباده متره عن الموت والنوم والغيبة . والله سبحانه وتعالى يوصف بأنه يخلف العبد كما ورد في حديث الدجال : ((وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم)) رواه مسلم ٢٢٥١/٤ باب ذكر الدجال وما معه رقم ٢٩٣٧
كل من وصفه الله من خلقه بالخلافة في القرآن فهو خليفة عن مخلوق كان قبله
وسمي الخليفة ، خليفة لأنه يخلف من قبله والله تعالى جعله يخلفه كما جعل الله الليل يخلف النهار ، والنهار يخلف الليل والله اعلم
انظر : منهاج السنة النبوية ٥٠٨/١ ــ ٥١٠ و ٥ /٥٢٤ و ٣٥٢/٧ .
(٢) الفخر الرازي أورد هذه المسألة في تفسيره ١٥٣/٢ وأجاب عنها فيه ٢٥٦/٢ .
(٣) انظرها في تفسير الفخر الرازي ١٥٣/٢ .

وأما إضافتهم ذلك إلى جميع بني آدم فليس في الكلام صريح الإضافة إلى الجميع ولو صدر هذا من واحد صح أن يقال : إنه جعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء لأن ((من)) تقع على الواحد والجمع .

والجواب عن الوجه الثاني :

هو قولهم : إن هذا غيبة لبني آدم .. أن الغيبة قد تباح للمصلحة في مواضع منها نصيحة المسلم في عبد يشتريه أو في زوجة يتزوجها أو ما ناسب ذلك لحديث فاطمة بنت قيس لما خطبها معاوية وأبو جهم وقول النبي ﷺ لها : ((أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم فلا يضع عصاه على عاتقه)) [1] ومنها إعلامه ما يقال فيه ليتجنبه .

ومنها الإعلام بحال من لا يصلح لأمر من أمور المسلمين مثل ولي أمر يريد أن يولي رجلا على ما لا يصلح له ، مثل رجل يريد أن يستفتي فاسقاً أو يتعلم منه ومنها أن يكون ذلك للتعريف كالألقاب .

١٤أ – ١٤ب

ومنها ما يقع في الجرح والتعديل / عند الحاجة في الرواية والشهادة ومنها ما يقع في الفتوى والتعلم فيجوز للمتعلم والمستفتي أن يوضح الحال فيما أُريد السؤال عنه كقول المرأة للمفتي : زوجي كذا فما أفعل فقد صح في هذا حديث هند امرأة أبي سفيان وأنها قالت للنبي ﷺ إن أبا سفيان رجل شحيح وجاز لها ذلك لحاجتها إلى علم ما يجوز لها أن تتناول من ماله[2]

---

(١) بنحوه مسلم ١١١٤/٢ رقم ١٤٨٠ كتاب الطلاق ٦ باب المطلقة ثلاثا ، والبخاري ٢٠٥٢/٥ رقم ٥٠٤٩ باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه .

(٢) روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال=

وقصة الملائكة من هذا الباب لأن قصدهم إنما كان معرفة الحكم وإزالة الإشكال في ذلك والتعلم ، فكان ذلك من الغيبة الجائزة(١) .

والجواب عن الوجه الثالث :

وهو أن قولهم : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾(٢) جار مجرى الإعجاب من وجهين :

أحدهما : أنا لا نسلم أن ذلك من باب مدح النفس ؛ بل هو من التحدث بنعم الله تعالى ، والتحدث بالنعم شكر وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾(٣) .

والثاني : أن ذلك جار مجرى الاعتذار عما ذكروه ؛ لأن قولهم : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾(٤) في صورة الاعتراض ؛ فأراد الملائكة نفي توهم ذلك عنهم ؛ فأتبعوا

=خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف صحيح البخاري ٢٠٥٢/٥ رقم ٥٠٤٩ ، وانظر : صحيح مسلم ١٣٣٨/٣ حديث ١٧١٤ باب قضية هند .

(١) لو لم يكن قول الملائكة لله لصح ضرب هذه الأمثلة جميعاً فالله عالم الغيب والشهادة سبحانه وتعالى وعليه فكلام الملائكة لله عن أبي مخلوق لا يصلح أن يقال : أن غيبة الملائكة عن الله لذلك المخلوق ، والله أعلم .

(٢) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٣) سورة الضحى آية : ١١ .

(٤) سورة البقرة آية ٣٠ .

سؤالهم بقولهم : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾[١] يعنون والله أعلم : أن لسنا ممن يعترض عليك في أمرك / فإنا عندك المسبحون المقدسون))[٢] .

١٤ب – ١٥أ

والجواب عن الوجه الرابع :

وهو أن إبليس كان من الملائكة وعصى : أن الناس اختلفوا في هذه المسـألة وأكثر المتكلمين والعلماء على أن إبليس لم يكن من الملائكـة ، وهـذا هـو المختار[٣] .

وقال بعض الفقهاء : كان من الملائكة .

والدليل على أنه لم يكن من الملائكة أنه من الجن والجن ليسوا من الملائكة .

أما أنه من الجن فلقوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾[٤]

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٢) انظر ذلك في تفسير الفخر الرازي الاعتراض ٢/١٥٣ وجوابه ٢/١٥٦ .

(٣) وممن قال إن إبليس من الملائكة ابن مسعود ﷺ في رواية وابن عباس رضـي الله عنـهما ، وممن قال أنه من غير الملائكة ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود ﷺ والحسن والزهري . انظر : زاد المسير ١/٦٥ ، وتفسير التعالبي ١/٤٨ ، وتفسير ابن جرير الطبري ١/٢٢٤ .وانظر : مقالات الإسلاميين عن الخلاف في إبليس هل هو من الملائكـة أم لا : مقـالات الإسـلاميين واختلاف المصلين ، علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق : هلموت ريتر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ص٤٤١ .وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ...)) تفسير الطبري ١/٢٠١ .

(٤) سورة الكهف آية : ٥٠ .

وأما أن الجن ليسوا من الملائكة فلقوله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾(١)

الوجه الثاني : أن إبليس له ذرية لقوله تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾(٢) وليس للملائكة ذرية لأن الذرية إنما تكون من الأنثى ولا إناث في الملائكة لقوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناث أشهدوا خلقهم ﴾(٣)

الوجه الثالث : أن الملائكة خلقت من نور ، وقد احتج عليه بما روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ((خلقت الملائكة من نور)) (٤) وهذا/لا نزاع فيه . والجان خلق من نار قال الله سبحانه : ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾(٥) فليس أحد الجنسين من الآخر .

١٥أ – ١٥ب

فثبت بهذه الوجوه أن إبليس لم يكن من الملائكة .

---

(١) سورة سبأ آية : ٤٠ – ٤١

(٢) سورة الكهف آية ٥٠

(٣) سورة الزخرف آية : ١٩ .

(٤) رواه مسلم ٣٣٣/١٨ رقم ٢٩٩٦ كتاب الزهد باب في أحاديث متفرقة ، ورواه ابن حبان ٢٥/١٤ رقم ٦١٥٥ ذكر الأخبار عما خلق الله جلّ وعلا الملائكة والجان منه .

(٥) سورة الحجر آية : ٢٧ .

وقد أُورِدَ على هذا كونه مستثنى من الملائكة وأجيب بأنه مأمور بالسجود معهم[١] أو بأن طائفة من الجن كانت خزنة الجنة وهو رأسهم وكانوا ملحقين بالملائكة تكريماً لهم لكونهم خزنة الجنة ثم ألحقوا بجنسهم بسبب المعصية .

وأورد أيضاً تسمية الملائكة جناً في قوله تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ﴾ [٢]

وأجيب بأنه قد قيل في حق الجن كما قيل في الملائكة من النسبة إلى الله تعالى ولا يبعد أن يقول الكفار ذلك .

وأجيب أيضاً بأنه سماهم جناً باعتبار كونهم في الجنة أو باعتبار استتارهم كالجن استعمالاً لغوياً ثم فرق في الاستعمال الشرعي بين الجن والملك[٣] وهذا قول مختصر في عصمة الملائكة وفي المسألة من الحجج والأجوبة غير ذلك .

ومما يلحق بهذا الفصل القول في أن الملائكة هل يقدرون على الشرور والمعاصي ؟ وقد اختلف العقلاء في ذلك .

فذهب جمهور الفلاسفة وكثير من الجبريين[٤] علق : أن الملائكة خبر محض وأن ذلك مذهب إلى أن

---

(١) أجاب الفخر الرازي عن ذلك بقوله : ((إنه وإن لم يدخل في هذا الأمر ولكن الله أمره بالسجود بلفظ أخر ما حكاه في القرآن بدليل قوله : ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ سورة الأعراف آية : ١٢ ، تفسير الفخر الرازي ٢/١٩٧

(٢) سورة الصافات آية : ١٥٨

(٣) انظر : تفصيل هذه المسألة في تفسير الفخر الرازي ٢/١٩٥ .

(٤) هم الذين يقولون بالجبر أي إسناد فعل المخلوق إلى الله تعالى والجبرية اثنتان :

١-جبرية متوسطة تثبت للعبد كسباً في الفعل كالاشعرية .

٢-جبرية خالصة لا تثبت للعبد شيئاً كالجهمية فعندهم أنه ليس للعبد قدرة البته . ==

الملائكة خير محض[1] لا قدرة لهم على الشر والفساد بوجه .

وقال / جمهور المعتزلة وكثير من الفقهاء إنهم قادرون على الأمرين . ١٥ب-١٦أ

واحتجوا على ذلك بأن الله تعالى مدحهم على ترك المعاصي والمخالفة ودوام الطاعة ، ولولا تصور خلاف ذلك منهم لما استحقوا عليه المدح .

أما مدحهم ففي مواضع :

منها قوله تعالى : ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾[2]

=وإذا أطلق لفظ الجبرية فإنه يراد به الجبرية الخالصة في هذا التقسيم وهم في زعمهم أن الإنسان مع القدر كالرشة في مهب الريح وفي معتقدهم أن الفاعل لأفعالهم هو الله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا وهذا من جنس قول المشركين الذين قالوا : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ﴾ قال الله تعالى : ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ سورة الأنعام آية : ١٤٨ . ومذهبهم خلاف الحق الذي عليه السلف من أهل السنة والجماعة وهو أن الخالق هو الله والفاعل هو العبد وللعبد مشيئة تحت مشيئة الله .

انظر : الملل والنحل ٨٥/١ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٦٨ ، ومنهاج السنة ٣٩٧/١ ، والتعريفات ص١٠١ ، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ، جمع وتحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ، مكتبة ابن تيمية ، ٨ /٣٥٣ ، والإيمان بالقضاء والقدر ، د . محمد بن إبراهيم الحمد تقديم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى دار ابن خزيمة الرياض الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م ص١٦٦

(١) انظر : تفسير الرازي ٢٠٩/٢ ، ومحصل أفكار المتقدمين ص٢٠٢ وفصل أقوال الفلاسفة وأرائهم في المطالب العالية ٥/٧

(٢) سورة الأعراف آية : ٢٠٦

ومنها قوله تعالى : ﴿ ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾[١] وقوله تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾[٢] وغير ذلك مما تقدم من الآيات .

وأما أن الممدوح على ترك شيء لابد وأن يقدر عليه لأن من لا يتصور منه الفعل لا يحسن مدحه على تركه في العرف ولو فعل ذلك فاعل عد فعله مستقبحاً عرفاً .

ومما احتج به هؤلاء أن الله تعالى توعدهم على تقدير صدور الذنب ومن لا يتصور منه صدور الذنب لا يتوعد عليه .

أما الأول فلقوله تعالى : ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ﴾[٣]

وأما الثاني فظاهر[٤]

وأعلم أن الأدلة في هذه المسألة ليست سالمة عن المعارضة والمناقضة من الجانبين ،وليست كبيرة الجدوى بعد استقرار العصمة ، فلا نطيل الكلام في استقصائها .

ومع ذلك فسيأتي في باب عصمة الأنبياء أن / من الناس من قال : المعصوم هو الذي لا يمكنه الإتيان بالمعاصي ويجوز أن يكون في هذا الخلاف التفات إلى ذلك

١٦أ-١٦ب

(١) سورة الأنبياء آية : ١٩ ــ ٢٠

(٢) سورة النساء آية : ١٧٢

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٩

(٤) انظر هذا القول بتفصيله في تفسير الفخر الرازي ١٥٧/٢ ، وانظر الأربعين ١٨١/٢

الباب الثاني
في النبوة
وفيه فصلان

الفصل الأول

في شرح اللفظ وبيان حقيقته شرعاً

والنبي يقال بالهمز ، وبغير الهمز ، وهو بترك الهمز أكثر ، وقد قـرئ بهما في السبعة لكن الأكثر على ترك الهمز .

وأكثر النحاة ومن وافقهم من اللغويين يقولون : أصله الهمز وترك همزه تخفيفاً لكثرة دورانه في الكلام .

واستدل على أن أصله الهمز : بأنه مشتق من النبأ ، وبقولهم : مسيلمة نـبيء سوء ومن العلماء من قال : هو مشتق من النبْوَة وهي الرفعة فسمي النبي نبياً لرفعة محله عن سائر الناس كما قال تعالى في حق إدريس :﴿ ورفعناه مكاناً علياً﴾[1] .

وليس كل من أنبئ نبياً رفيع المحل وعلى هذا يحمل قول رسول الله ﷺ للـذي قال له يا نبيئ الله فقال : ((لست نبيئ الله ولكني نبيُّ الله))[2] . فإنـه قـد

---

(١) سورة مريم آية ٥٧

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال عبد الله بن عدي بن عبدالله بن محمد الجرجاني ، تحقيق : يحـيى مختار غزاوي ، دار الفكر العربي ، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، ٤٣٧/٢ رقم ٥٤٨ ، وقال : في سنده : حمدان بن أعين كوفي مولى لبني شيبان قال : حدثنا محمد بن علي ثنا عثمان بن سعيد سألت يحيى عن حراء بن أعين كيف هو ، قال ضعيف . ثنا ابن حماد وأبـن أبي بكر عن عباس قال : سمعت يحيى يقول : حمران بن أعين ليس بشيء ، ثم ساق الحديث .
والضعفاء ، (ضعفاء العقيلي) : محمد بن عم بن موسى العقيلي ، تحقيق : عبدالمعطي أمين فلعجي ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، الطبعة ألولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ٨١/٣ رقـم ١٠٥٠=

١٦ب-١٧أ

يفهم من عدول المتكلم إلى الهمز غض من المخاطب وحط له عن المفهوم من ترك الهمز وهو / رفعة المحل[١] .

وقد توسع في هذا المعنى حتى يقال لارتفاع السيف عن الضريبة نبا عنها ، ونبا بفلان مكانه أي ارتفع عنه[٢] .

وأما من يقول نبي ونبيء فإنه يجعل النبي من النبأ وأصله الخبر أو النبأة وهي الصوت الخفي ، وغلب استعماله في كل خبر ذي فائدة عظيمة يحصل به العلم أو الظن الغالب ، ولهذا يقال نبأته كذا فيتعدى إلى مفعولين كأعلمته .

والنبوة على هذا الأصل : ورود الأنباء العظيمة الإلهية على العبد ويصح أن يكون فعيلاً بمعنى فاعلاً لأنه ينبئ الخلق عن ربه عزَّ وجلَّ ، وأن يكون بمعنى مفعول لأنه مُنبأ .

هذا الكلام في لفظ النبي لغة واشتقاقاً[٣] .

=ولسان الميزان : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية ، الهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ٥/٤ رقم ٥

وقال ابن حجر : لا أصل له وروى بإسناد آخر لين والآخر جاء بإسناد جيد مرسل وعن سنده عنده قال ، فيه عبد الرحيم يقول عنه : قلت : عبد الرحيم هذا شيخ واه لم أر لهم فيه كلام .

السيرة النبوية : عبدالملك بن هشام ، دار الفكر القاهرة ، مكتبة الفيصلية مكة المكرمة ، ٢٢٦/٠ رقم ٢٨٥ .

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٣٤ ، ٥٣٦ مادة نبي ، مادة نبأ ونبي

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت ، لبنان مادة نبي ص٤٨٢ .

(٣) انظر تفصيل ذلك : لسان العرب مادة نبأ ١٦٢/١ ومادة نبا ٣٠١/١٥ ، ومعجم مفردات القرآن مادة نبأ ص٥٣٤ ومادة نبي ص٥٣٦ ، والحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالوية ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١هـ=

وأما معناه الحقيقي : فهو الذي حصلت له النبوة .
قال أهل الحق : النبوة ليست أمراً راجعاً إلى جسم النبي ولا إلى عرض من أعراضه القائمة به ولا يمكن تفسير النبوة بعرض من أعراض النبي حتى ولا علمه بكونه نبياً لتقدم نبوته على علمه بكونه نبياً ؛ بل ترجع إلى قول الله تعالى لمن اصطفاه نبأتك . أو حُكمهُ له بالنبوة .
وكذلك الرسول يصير رسولاً بقوله تعالى له أرسلتك فبلغ عني(١) .
كما يصير الشيء مذكوراً بالذكر ومعلوماً بالعلم ونبياً أو رسولاً بهذا الأمر الخالص .
فالنبوة رحمة / من الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده لا يبلغها أحد بعلمه وكسبه ولا يستحقها لاستعداد نفسه كما قال الله تعالى مخبراً عن الرسل :﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾(٢) مع إننا لا ننفي عن ذات النبي استعداداً يخلقه الله تعالى فيه وكمالاً في ذاته وسلاماً في فطرته وحسناً في أخلاقه ، وصدقاً في أقواله ، وأمانة في أفعاله ، وأن ذلك

١٧أ – ١٧ب

=ص٨٠ ، وتفسير الطبري ٣١٦/١ وحجة القراءات ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ص٩٨ ، والقاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي . مادة نبأ ص ٦٧ ، والمصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العلمية بيروت الطبعة الثانية مادة نبا ٥٩١/٢ .

(١) انظر : غاية المرام في علم الكلام ، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي ، تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٩١هـ ص ٣١٧ .
ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : النبوة الحق هي : إنباء الله لعبده ؛ ونبي الله : من كان هو الذي ينبئه ووحيه من الله . النبوات ١/١ ، أو الفتاوى ١٨٤/٨ .

(٢) سورة إبراهيم آية ١١ .

يحصل له قبل البعثة ، بل نقول أن هذه الأمور تحصل للنبي بفضل الله ورحمته ، ويهيئه الله تعالى لقبول النبوة والرسالة تخصيصاً منه واصطفاء ورفعاً لدرجته وإعلاء :﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير ﴾[١] فالنبي يأتي الخلق لطفاً ورحمة لهم ، قال الله تعالى :﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[٢] والأنبياء خيرة الله في خلقه ووسائل عباده[٣] إليه وأسباب للوصول إلى ثوابه

---

(١) سورة الحج آية ٧٥ .

(٢) سورة النساء آية ١٦٥

(٣) الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير ، التعريفات للجرجاني ٣٢٦ أو هي : ما يتوصل إلى التحصيل : التعاريف للمناوي ص ٧٢٦ .

والوسيلة : هي أعلى درجة في الجنة ولا تنبغي إلا له ﷺ ، معارج القبول ١٠٨٩/٣ ، ومراد المؤلف أن الأنبياء عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم هم الذين من خلالهم يتعرف البشر على مراد الله سبحانه وتعالى فيعبدون الله على ما يريده الله من خلال إتباعهم للأنبياء ويحصلون بإتباعهم مرضات الله ونعيمه في الدنيا والآخرة فبذلك يتقرب العباد إلى مرضات الله ، ويتحصلون على جناته .

والوسيلة أقسام :

القسم الأول : وسيلة محرمة وهي بدعة وشرك مثل توسل المشركين بالأصنام أو الأوثان أو الصالحين أو أصحاب القبور أو الملائكة أو الجن أو التماثيل المصورة لهؤلاء ويقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فإن ذلك هو الشرك الذي حاربه الرسل وأجمعوا على دعوة أُممهم إلى الابتعاد عنه وحثوا أممهم على إفراد الله بالعبادة ومن أخص ذلك الدعاء فلا يدعون مع الله أحدا فالله سبحانه وتعالى أرسل رسله تنهى أن يدعى أحد من دون الله لا دعاء عباده ولا دعاء استغاثة ، قال تعالى :﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ سورة الجن آية ١٨ ، وقال تعالى :﴿ يومئذ لا تنفع الشافعة إلا من أذن له الرحمن ﴾ سورة طه آية ١٠٩ وقال تعالى :﴿ ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ﴾=

=سورة الروم آية ١٣ ، وقال تعالى :﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ سورة سبأ آية ٢٢ — ٢٣ .

فأخبر سبحانه وتعالى أن ما يدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في هذا الكون بل هذا الكون كله ملك لله وليس له شريك في ذلك وأنه ليس له من الخلق عون يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه .

فعبادة الله وحده هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالى :﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ سورة النحل آية ٣٦ وقال تعالى :﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ سورة الأنبياء آية ٢٥ ، وقال سبحانه وتعالى:﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ سورة الإسراء آية ٥٦ — ٥٧ .

ومعنى الآية أن الله عزّ وجلّ يقول لنبيه محمد ﷺ : ((قل لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه : ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عندما يترل بكم ضر فانظروا هل يقدرون على رفع الضر عنكم أو تحويله عنكم فإنهم لا يقدرون على ذلك ولا يملكونه وإنما يملكه ويقدر على دفعه وتحويله خالقكم وخالقهم وهو الله سبحانه وتعالى وقد كان هؤلاء يعبدون الملائكة وعزيز والمسيح وبعضهم كانوا يعبدون نفراً من الجن وأن أولئك الجن قد اسلموا وأن هؤلاء المعبودون من دون الله سواء كانوا الملائكة أو عزيز أو المسيح عليه السلام أو نفر من الجن قد أسلموا فإنهم جميعهم في واقع أمرهم يبتغون الوصول إلى الله بالقربة والزلفى لما يرضيه سبحانه وتعالى بالإيمان بالرسول وبطاعة الرسول .

فالإيمان بالرسول وطاعته هو وسيلة الخلق إلى الله ليس لهم وسيلة يتوسلون بها البتة سوى ذلك.
والإيمان بالرسول ﷺ وطاعته يؤمر بها الإنسان حيث كان من الأمكنة وفي كل زمان من الأزمنة ثم إن المشركين يعبدون أولئك وهؤلاء المعبودون هذه حالهم من الإيمان بالرسول والطاعة له .=

وأبواب لرحمته وهداة إلى جنته وحجة لله تعالى على عباده كما قال تعالى :﴿لئلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل ﴾[(١)] وكما يصطفيهم الله تعالى قولاً بالرسالة والنبوة كذلك يصطفيهم فعلاً لكمال الفطرة ونقاء الجوهر وطيب /

١٧ب -١٨أ

=أما حال المعبود من دون الله فإن كان صالحاً غير راضٍ بتلك العبادة فلا يضره ذلك ، قال تعالى :﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ سورة الأنبياء آية ١٠١ أي عيسى وعزير ومن عُبد من الذين مضوا على أمر الله فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلال آلهة فلا يضرهم ذلك .

وإن كان راضياً بتلك العبادة فإنه يكون طاغوت فإن من عُبد من دون الله وهو راض فهو أحد الطواغيت الخمسة .

القسم الثاني : وسيلة مشروعة ولها ثلاث حالات .

الأولى : دعاء الله مباشرة والتقرب إليه بالأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها مثل أداء الواجبات والأركان والابتعاد عن المحرمات .

الثانية : التوسل بالعمل الصالح : كأن يقول العبد : اللهم إيماناً بكتابك وإتباعا لشرعك أسألك أن تغفر لي ذنوبي ، ومثله قصة الثلاثة أصحاب الغار فإنهم توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة .

الثالثة : أن يأتي إلى أحد الصالحين فيطلب منهم الدعاء له ، مثل استسقاء عمر ابن الخطاب ﷺ بدعاء العباس بن عبد المطلب وقت خلافة عمر بن الخطاب ﷺ .

انظر تفسير الطبري ١٠٤/١٥ — ١٠٥ ودقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيميه ، أحمد بن عبد الحليم بن تيميه الحراني ، تحقيق وجمع : محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ٤٧/٢ ومنهاج السنة ٣٣١/٣ .

وزيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ، أحمد بن عبد الحليم الحراني ، الإدارة العامة للطبع والترجمة الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ص٥ ، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه في العقيدة ١٢٤/١ ، ١٥٨ ، ١٩٩ و٣١٠ و٣٣٧ .

وشرح كتاب التوحيد ص٢٤٣ ، وفتاوى مهمة لعموم الأمة ،ص١٠٠ .

(١) سورة مريم آية ٥٧

العنصر وحسن الأخلاق وكريم الأعراق ويرقيهم مرتبة مرتبة في مقامات القرب إلى درجة الكمال التي ليس بعدها درجة وهي النبوة والرسالة فهذا كلام وجيز وإشارة لطيفة تقرب إلى الفهم المخصوص بالنور القدسي معنى النبوة على الوجه الذي ارتضاه أئمة الإسلام وأهل الحق من الأنام(١) .

وقد قيل في معنى النبوة غير ذلك فنقل عن الفلاسفة أنها تدرك بالاكتساب وأنها عبارة عن التخلي عن الأخلاق المذمومة(٢) .

وحكى الآمدي أنهم يقولون : النبي من كان مختصاً بخواص ثلاث :

الأولى : أن يكون مطلعاً على الغائبات لصفاء جوهر نفسه وشدة اتصالها بالمبادئ الأول من غير تعلم وتعليم وهذه القوة عندهم هي المسماة بالعقل القدسي .

---

(١) انظر أيضاً منهاج السنة النبوية ٢١٦/٢

(٢) يقول ابن تيميه عنهم في هذا الموطن : ((وأما المتفلسفة القائلون بقدم العالم وصدوره عن علة موجبة مع إنكارهم أن الله تعالى يفعل بقدرته ومشيئته وأنه يعلم الجزئيات فالنبوة عندهم فيض يفيض على الإنسان بحسب استعداده وهي مكتسبة عندهم ومن كان متميزاً في قوته العلمية بحيث يستغني عن التعليم وشكل في نفسه خطاب يسمعه كما يسمع النائم وشخص يخاطبه كما يخاطب النائم وفي العملية رأى القوة العملية – بحيث يؤثر في العنصريات تأثيراً غريباً كان نبيا عندهم وهم لا يثبتون ملكاً مفضلاً يأتي بالوحي من الله تعالى ولا ملائكة بل ولا جناً يخرق الله بهم العادات للأنبياء إلا قوى النفس .

وقول هؤلاء وإن كان شراً من أقوال اليهود والنصارى وهو أبعد الأقوال عما جاءت به الرسل فقد وقع فيه كثير من المتأخرين الذين لم يشرق عليهم نور النبوة من المدعين للنظر العقلي والكشف الخيالي الصوفي وإن كان غاية هؤلاء الأقيسة الفاسدة والشك وغاية هؤلاء الخيالات الفاسدة والشطح ، منهاج السنة النبوية ٢١٥/٢ .

الثانية : أن يكون بحيث تطيعه الهيولي[١] القابلة للصور الداخلة في عالم الكون والفساد الخاصة .

الثالثة : أن يكون ممن يرى ملائكة الله تعالى على صور متخيلة ويسمع كلام الله تعالى بالوحي[٢] .

وهذا المذهب فاسد وذلك لأن قولهم : هو المطلع على الغائبات إما أن يريدوا به الإطلاع على جميع الغائبات أو على بعضها ولا / يجوز أن يراد الكل إذ هو غير شرط في النبي بالاتفاق منا ومنهم ولا يجوز أن يراد البعض إذ يجوز أن يقع ذلك لكل واحد عندهم فلا يكون ذلك من خصوصيات الأنبياء ثم إنهم قالوا : إن إطلاعه على الغائبات لصفاء جوهر نفسه وذلك يقتضي أن لا يختص النبي بهذه الصفة لأن النفوس الإنسانية على قول أكثرهم من نوع واحد فما ثبت لبعضها جاز ثبوته للباقي لاسيما إذا اعتبرت النفوس من حيث بساطتها فما ثبت لبعضها لذاته وجب أن يثبت لكلها ؛ ثم إنهم سلموا وجود ذلك في حق من قلت شواغله بسبب نوم أو مرض فخرج عن كونه خاصية للنبي .

١٨أ-١٨ب

---

(١) الهيولي : لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة وتعني : جوهر في الجسم قابل لما يعرض في ذلك الجسم من الاتصال والانفصال مثل الصورتين الجسمية والنوعية .

انظر التعريفات ص٣٢١ ، ويقول ابن تيميه : والجواهر في اصطلاح الفلاسفة تسمى الهيولي .

درء تعارض العقل والنقل : احمد بن عبد الحليم بن تيميه الحراني ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، دار الكنوز الأدبية الرياض طبع ١٣٩١هـ ٢/١٨٩ .

(٢) وقد أشار ابن تيميه رحمه الله تعالى إلى مذهبهم هذا في النبوات ١٧٩ ، وأما قول الآمدي فلم أجده فيما تيسر لي من مراجع لكن يمكن النظر حول هذه المسألة في غاية المرام ص٣١٨ وما بعدها .

وأما الخاصية الثانية : وهي طاعة الهيولي فمبني على تأثير النفس في الأجسام وذلك باطل بالأدلة الدالة على الفاعل المختار ثم تردد الكلام في أن ذلك هل يختص به لنفسه أو لأمرٍ آخر وممنوع أن يكون لغير نفسه إذ لا دليل عليه وممنوع أن يكون لنفسه وإلا لحصل لغيره لإتحاد نوع النفوس على آرائهم ثم إنهم يعترفون في كلامهم بحصول هذه الخاصية لأهل الخلوص والصفاء .

وأما الخاصية الثالثة : فهم في الحقيقة لا يقولون بشيء منها فإن الملائكة لا يثبتونها على وجه يمكن فيها / الرؤية ولا يثبتون كلاماً يلقيه الملك على البشر إلا أن يرجعوا بحاصل ذلك إلى الخيالات وهو باطل وإحالة لصورة النبوة ولا يخفى ما في ذلك من الخبط . ١٨ب-١٩أ

وقالت الكرامية[1] : إن النبوة صفة ذاتية للنبي[2] وهو باطل لاستواء النبي وغيره في البشرية والإنسانية فكيف هذا الاختصاص الذاتي .

---

(١) الكرامية : هم أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام ، وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة وأصولها ستة ، وفي الجملة فهم يعتقدون أن الله تعالى وتقدس جسم وجوهر ومحل للحوادث ويزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين على الحقيقة ولهم في الفروع أقوال عجيبة ومدار أمرهم على المخرقة والتزوير وإظهار التزهد ولابن كرام تصانيف كثيرة إلا أن كلامه في غاية الركاكة والسقوط .

ومن فرقهم : الاسحاقية ، الحماقية ، العابدية ، اليونانية ، السورمية الهيصمية ، الزرينية ، ولكل منهم رأي .

انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٦٧ والملل والنحل ١٠٨/١ ومقالات الإسلاميين ص١٤١ .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق ٢٠٩/١ .

ومنهم من قال : النبوة علم النبي بكونه نبياً والنبي هو العالم بنبوته وهـذا في غاية الضعف إذ يلزم منه اتحاد العلوم والمعلوم .

ومنهم من قال : النبي هو العالم بربه . والنبوة علم الإنسان بربه وهو ضـعيف إذ يلزم منه أن يكون كل من علم وجود ربه وما يجوز عليه وما لا يجوز نبيـاً فيكون المتبحر في علم الكلام نبياً[١] وهو ظاهر الفساد .

---

(١) هل يكون المتبحر في علم الكلام عالماً بربه وما يجوز عليه وما لا يجوز ؟ بل الذي يعرف ما يجوز على ربه وما لا يجوز بأخذه من قول الله تعالى وقول رسله صلوات الله علـيهم أجمعـين ، ويفهم قولهم كما فهمه الصحابة فهم أعرف الناس بمراد رسول الله ﷺ فيما وصف به الله عـز وجل فكلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ بلغتهم وعليهم نزل ؛ علماً أن أقصى ما يصل إليـه المتبحر عندهم هو إثبات توحيد الربوبية خلاف طريقة القرآن غالباً وهذا التوحيد قد آمـن بـه أغلب البشر ولم يشذ إلا الدهرية فالمشركون وإبليس يقرون به ، قال تعالى ﴿ ولئن سألتهم مـن خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولون الله ﴾ سورة العنكبوت آية ٦١ .

وقال عن إبليس : ﴿ قال ربي فانظرني إلى يوم يبعثون ﴾ سورة الحجر آية ١٤ .

أما توحيد الألوهية ومن يستحق أن يوحد بأفعال العباد من ناحية القصد ومن ناحيـة سـلوك المنهج فهو نادر عندهم مما أوجد عندهم فراغاً روحياً كبيراً جعل كثير منهم يميلون إلى التصرف فمن خلال علم الكلام عندهم يردون أخبار الآحاد ويحرفون المتواتر ومن التصـوف عنـدهم يعملون بالحديث الضعيف والمتروك وبالمنامات أحياناً .

علماً أن كثيراً من علماء الكلام لم يجدوا في علم الكلام ما يشفي الصدور من العلم بالله لا من ناحية الإثبات ولا من ناحية الصفات ، وقد صرح بذلك مشاهيرهم أمثال الفخر الرازي فقـد قال في آخر أمره :

نهاية إقـدام العقـول عقـال	وأكثر سعي العالمين ضـلال
وأرواحنا في وحشة من حبونـا	وحاصل دنيانا أذى ووبـال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقال=

وقال بعضهم : النبوة سفارة بين الله تعالى وبين خلقه وممن ذكر ذلك الراغب[1] وهو باطل إذ لا تتحقق السفارة إلا بتحقيق النبوة وقد تتحقق النبوة بظهور المعجز المقرون بالتحدي وإن لم تكن السفارة بعد موجودة ، فإذا الحق ما قدمنا ذكره من أن النبوة والرسالة ترجع إلى قوله تعالى لمن اصطفاه نبأتك أو أرسلتك فبلغ عني فإن قيل يلزم علي ذلك قدم النبوة ضرورة قدم الكلام الإلهي قلنا لا يلزم من قدم الكلام/قدم متعلقة فإنه كلام الله تعالى قديم ويتعلق بأفعال المكلفين ولا يلزم من حدوث التعلق حدوث الكلام[2] والله أعلم

١٩أ- ١٩ب

=لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي غليلاً ولا تروي عليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن الكريم أقر أني الاثبات :﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ واقرأ في النفي :﴿ ليس كمثله شيء ﴾ و ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)) انظر النبوات ص١١٧ .

(١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٣٥ مادة نبأ .

هو : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني الملقب بالراغب ، توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة للهجرة .

انظر : طبقات المفسرين (٢) ١/١٦٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/١٢٠ .

(٢) القول الحق في صفة الكلام أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء على وجه يليق بجلاله وعظمته :﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ سورة الشورى آية ١١ .

وأن كلام الله عزّ وجل قديم النوع وأن حادث الآحاد كلمات الله لا نهاية لها بل لم يزل متكلماً بمشيئته وقدرته و لم يزل يتكلم كيف شاء إذا شاء .

انظر : فتاوى ابن تيميه ١٢/٣٧٢ وَ ٥٧٧ ، ومنهاج السنة النبوية ١/١٦٦ . =

فإن قيل : فإذا لم تكن النبوة راجعة إلى ذات النبي بل أمر تعلق به لتعلق الخطاب به فكيف تقولون فيها بعد الموت ؟

قلنا إذا لم تكن راجعة إلى جسم النبي ولا عرض من أعراضه لا يلزم بطلانها بالموت لفناء العرض بل هي راجعة إلى حكم الله تعالى بنبوته وحكم الله تعالى باقٍ ، ولو بطلت بالموت لوجب بطلانها بالنوم والغفلة كما نقول في الإيمان إنه لا يبطل حكمه بنوم ولا غفلة ولا موت ولا بُعد في ذلك : فإن حقيقة بقاء هذه الأحكام وارتفاعها راجع إلى الشرع فمتى لم يحكم الشرع بارتفاع حكم أثبته لم نحكم بارتفاعه والنبوة أمر ثبت شرعاً بحكم شرعي فلا يرفع إلا بحكم شرعي فالنبي نبي قبل الموت وبعده ، والحكم بالنبوة باق إلى الأبد ولا التفات إلى ما ألزمنا به بعض الكرامية وشنع به ابن حزم[1] في النصائح على الأشاعرة

=ويقول شارح الطحاوية : أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم بصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة . شرح العقيدة الطحاوية ١٧٤/١ .

(١) هو : علي بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب .

ولد بقرطبة قبل طلوع الشمس آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة جده خلف بن معدان دخل الأندلس مصاحب لعبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل له تصانيف كثيرة في مواضيع مختلفة ، عاش اثنتين وسبعين سنة إلا شهراً .

توفي عشية الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة للهجرة في منت ليشم من بادية لبلة .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨ ووفيات الأعيان ٣٢٥/٣ والعبر ٢٤١/٣

من القول بخلاف ذلك فإن ذلك من باب التشنيع والإلزام بما لا يلزم[١] وقد قال النبي ﷺ : ((كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)) [٢] وقال : ((الأنبياء أحياء في قبورهم)) [٣] / وقال : ((تعرض عليَّ أعمال أمتي في يوم الاثنين

١٩ب- ٢٠أ

(١) لم أجد كتاب النصائح الذي أشار إليه المؤلف لكن انظر كلام ابن حزم رحمه الله تعالى في الفصل في الملل والأهوال والنحل ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، مكتبة الخانجي القاهرة ٧٥/١

(٢) هذا الحديث بهذا اللفظ لا أصل له .

انظر : المصنوع : علي بن لسطان محمد الهروي القاري ، المحقق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ ، ص١٤٢ رقم ٢٣٣ وكشف الخفاء ، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي تحقيق : أحمد القلانس مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ١٦٩/٢ رقم ٢٠٠٧ ، وتحفة الأحوذي : محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركافوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٥٦/١٠ .

لكن ورد حديث صحيح نصه : عن ميسرة الفخر قال : قلت لرسول الله ﷺ متى كنت نبياً ؟ قال : ((وآدم بين الروح والجسد)) ويوضحه : عن أبي هريرة ﷺ قال : قيل للنبي ﷺ : متى وجبت لك النبوة ؟ قال : ((بين خلق آدم ونفخ الروح فيه)) الحديث كلاهما في المستدرك على الصحيحين ، ٦٦٥/٢ رقم الأول ٤٢٠٩ والثاني ٤٢١٠ .

وبنحو الحديث الأول : انظر مصنف ابن أبي شيبة ٣٢٩/٧ رقم ٣٦٥٥٣ ، ٤ باب ما جاء في باب مبعث النبي ﷺ ، والترمذي ٥٨٥/٥ رقم ٣٦٠٩ وصححه من حديث أبي هريرة . ومسند الإمام أحمد ٦٦/٤ ورقمه ١٦٦٧٤ .

فيكون المعنى : أن رسول الله ﷺ مكتوب أنه خاتم النبيين قبل تعلق روح آدم في جسده والله أعلم .

انظر: تحفة الأحوذي ٥٦/١٠ .

(٣) وتمامه :((يصلون)) مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلي الموصلي التميمي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ ميلادية ١٤٧/٦ رقم ٣٤٢٥ عن أنس .

==

والخميس[1] ومن تأمل مذاهب أصحابنا في إثبات عذاب القبر وأحوال المنعمين والمعذبين في قبورهم وضح له بطلان ما شنع به الخصم وألزم به .

=ورجاله ثقات انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، علي ابن أبي بكر الهيثمي دار الريان للتراث ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت طبعة ١٤٠٧هـ ٢١١/٨ باب ذكر الأنبياء ﷺ ، والفوائد تمام بن محمد الرازي تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ٣٣/١ ، والفوائد ، عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن منده ، تحقيق : مسعد عبد الحميد ، دار الصحابة للتراث طنطا الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ص٧٤ . = وصححه ابن حجر انظر : فتح الباري شرح صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٧٩هـ ، ٤٨٧/٦ عند حديث رقم ٣٢٥٧ ، ويؤيده حديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((أتيت – وفي رواية هداب – مررت على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره)) صحيح مسلم ١٨٤٥/٤ رقم الحديث ٢٣٧٥ ، ٤٢ باب من فضائل موسى ﷺ

(١) لم أجده بنصه ولكن وجدت ما يشير إلى عرض العمل عليه عليه الصلاة والسلام بدون تحديد يومي الاثنين والخميس أو أحدهما فعن زاذان عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : ((إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام)) قال : وقال رسول الله ﷺ : ((حياتي خير لكم تحدثون ونحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض عليَّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم)) مسند البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، تحقيق : د . محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن بيروت ومكتبة العلوم والحكمة المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ٤- ٣٠٨/٥ . وقال الهيثمي عنهما : رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٢٤/٩ . وانظر بسند آخر بنحوه من قوله : ((حياتي ... الخ)) مسند الحارث ، الحارث بن أبي أسامة ، الحافظ نور الدين الهيثمي ، تحقيق : د . حسين أحمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ، المدينة النبوية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م ٨٨٤/٢ .

تنبيه :اعلم أن بعثة الأنبياء لا تجب على الله تعالى كما قال به من أوجب اللطف[1] ولكن الله تعالى بعث الرسل تفضلاً منه وإحسانا ورحمة للخلق وفي مقدوره أن يوصل إلى الناس ما أرسل به الرسل من غير واسطة رسول

---

(١) معنى اللطف : بالضم : لغة : الرأفة والرفق وعبر عنه بما يقع عنده صلاح العبد آخره ، وبالفتح قرب المنزلة .

التعاريف ص٦٢٠ .

ويتضح معنى اللطف أكثر من كلام بعض المعتزلة : ((عند الله لطف لو فعله بمن يعلم أنه لا يؤمن لآمن)) مقالات الإسلاميين ص٢٤٦ وأيضاً أن ((الإضلال هو ترك أحداث اللطف)) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين .

بقول إمام الحرمين في الإرشاد في فصل القول في اللطف : ((اللطف عند المعتزلة هو الفعل الذي علم الرب تعالى أن العبد يطيعه عنده ، ولا يتخصص ذلك بجنس ، ورب شيء هو لطف في إيمان زيد وليس بلطف في إيمان عمرو)) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ، تحقيق : د . محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد مكتبة الخانجي مصر ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ص٣٠٠.

فالذين يقولون باللطف هم المعتزلة ، انظر مقالات الإسلاميين ص٢٦١ .

وعند المعتزلة القول بوجوب اللطف على الله تعالى .

انظر : المواقف ٢٨٦/٣ عضد الدين عبد الرحيم بن أحمد الإيجي ، تحقيق / عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل بيروت ط١ ١٩٩٧

وفسر المعتزلة اللطف : ((بأنه الفعل الذي يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية ولا ينتهى إلى حد الإلجاء))، المواقف ٢٦٨/٣ .

واللطف كما نقله الفخر الرازي عن الشريف المرتضى هو : ((الأمر الذي علم الله تعالى من حال المكلف أنه متى وجد ذلك الأمر كان حاله إلى قبول الطاعات والاحتراز عن المعاصي أقرب مما إذا لم يوجد ذلك الأمر بشرط أن لا ينتهى إلى حد الإلجاء)) ٢٥٩/٢ . ==

وكذلك في مقدوره أن يمنعهم فهم ما أرسل به الرسل إلا بواسطة الرسل ، ومن ألطافه إرسال الرسل لأن أكثر الناس يقصر عن معرفة منافعه ومضاره الأخروية بل في الغالب لا يتنبه لها وأكثر ما يستقل العقل بإدراكه إنما هو الأمور الكلية النافعة في الآخرة فأما جزئيات ذلك وتفاصيل الواجبات وأوقاتها وكيفياتها فلا سبيل للعقل في إدراكه فمنّ الله على عباده بإرسال الرسل من أنفسهم كما قال تعالى : ﴿ لقد مَنّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾[1]

وقد ذكر في فوائد البعثة وما يحصل بها من النفع للخلق وما يتعلق بها من الأمور / التي لابد للمكلفين منها وانقطاع حجج الناس بها ما يضيق هذا المختصر عن ذكره وهو مفصل في بابه من كتب أصول الدين والغرض هنا التنبيه على شرف مقام النبوة وشدة احتياج الخلق إلى إرسال الرسل . ٢٠أ-٢٠ب

واعلم أن لكل نبي آيتان[2] تعرف بها نبوته أحدهما للخصوص والأخرى للعموم فأما التي للخصوص فهي التي يشهدها العقل السليم والفطرة الصحيحة الزكية والنفس المطهرة ورثها الله لمن اختصه بهدايته وهي التي

= الأربعين في أصول الدين ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، تحقيق : د . أحمد حجازي السقا ، ملتزم الطبعة مكتبة الكلياني الأزهرية القاهرة ، طبع دار التضامن بالقاهرة ط١ ١٤٠٦ .

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٤

(٢) هكذا في المخطوط فإذا كانت اسم أن فلابد أن تكون منصوبة : ((آيتين)) ويمكن أن تكون على الرفع بتقدير : ((وُجِدَ)) قبلها .

أدركها الصديق ﷺ في أول الأمر فإنه لم يتوقف حين عرض عليه النبي ﷺ الإيمان وأذعن بالتصديق وسارع إليه وأخلص قلبه ، ووقر الله تعالى في صدره السّر الذي وقر حتى سبق به مَنْ دون النبيين .

وهذه الآية التي أشار إليها عبد الله بن سلام في قوله : ((فلما رأيت وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب)) (1) مع أنه كان يعرف نبوته من التوارة

ومما يلحق بها : الأمور التي سأل عنها هرقل أبا سفيان حين جاءه كتاب النبي ﷺ(2) فإن الله إذا اصطفى نبياً اصطفاه من بيت طيب وعنصر كريم وأنشأه نشأة

---

(1) المستدرك على الصحيحين ١٤/٣ برقم ٤٢٨٣ وقال : أنه على شرط الشيخين و لم يخرجاه وسنن ابن ماجة ، ٤٢٣/١ رقم ١٣٣٤ ، وسنن الترمذي ، ٦٥٢/٤ رقم ٢٤٨٥ باب رقم ٤٢ ، ومسند أحمد ، ٤٥١/٥ رقم ٢٣٩٤١ ـــ ٢٣٨٣٥ وغيرهم

(2) عند البخاري فيما رواه ابن عباس ﷺ أن أبا سفيان بن حرب أخبره : ثم أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسبا فقال : أدنوه وقربوا أصحابه فاجعلوهم ثمّ ظهره ثم قال لترجمانه : قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت عنه ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو فينا ذو نسب قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا قال : فهل كان من آبائه ملك ؟ قلت : لا قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون قال : فهل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا . ونحن في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها قال : و لم تمكني كلمة أُدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه . قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً=

حسنة في صدق وأمانة وحسن سيرة وطيب مولد ومرباً ثم يفيض الله تعـالى / ٢٠ب- ٢١أ عليه من العلوم وأنواع المعارف والمهابة والجلالة ما لا يشهده إلا من اختصه الله تعالى بالهداية والعناية فيدركه أولياء البصائر والألباب ويحققه أهل المعارف ويعقله العالمون فهذه الآيات الخاصة التي يدركها الخواص وتقوم عندهم مقام النظر في المعجز وسيأتي إشباع القول في ذلك في فصل عقيب هذا .

=واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة . فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا قلت : فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت : أن لا . فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك : أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل . وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك : أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه . فذكرت : أن لا . وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر ؟ . فذكرت : أن لا وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ... الحديث))

رواه البخاري ١/٧ حديث رقم ٧

وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ١/٢٨٢ .

وقد أشار ابن فورك[١] فيما نقل عن أبي الحسن الأشعري[٢] رحمه الله تعالى أنه كان يقول : تارة تعرف نبوة النبي بالمعجز ، وتارة يخلق الله للشخص علماً ضرورياً بأن هذا نبي أو ما هذا معناه[٣]

والآية الثانية : العامة : وهو المعجز الذي يظهر على يد النبي عند التحدي وهذا الطريق هو الذي تقوم به الحجة على من لم يدرك تلك الطريقة الأولى من عموم الناس ومن لم يختص بتلك المزايا ومن فقد نظره عن إدراك الفرق من كلام الله تعالى وكلام البشر فيطلب المعجز الظاهر لحسه ليدله عقله على صدق الرسول ، وتقوم الحجة على المعاند الذي عرف صدق الرسول بما تقدم عنده من العلم ومن الكتب المتقدمة لكن أضله الله تعالى على علم فعاند حسداً وبغياً فتظهر المعجزة على يد النبي حجةَ عليه لاسيما إذا طلبها دلالة على الصدق واقترحها فجاءت على وفق اقتراحه ومن / كانت هذه صفته لم تزده ٢١أ – ٢١ب

---

(١) هو : محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني أبو بكر ، قيل مات مسموماً قريبا من بست ونقل إلى نيسابور ودفن بالحيرة وذلك سنة ٤٠٦هـ

انظر : سير أعلام النبلاء ٢١٤/١٧ وطبقات الشافعية ١٩٠/٢ ووفيات الأعيان ٢٧٢/٤

(٢) هو : أبو الحسن الأشعري : علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل وينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ ، بصري سكن بغداد

ولد سنة ستين ومائتين وقيل سبعين ومائتين وقيل غير ذلك

وكانت وفاته ببغداد ، انظر : سير أعلام النبلاء ٨٥/١٥ وشذرات الذهب ٣٠٣/١ وطبقات الشافعية ٢١٣/٢ ووفيات الأعيان ٢٨٤/٣ .

(٣) لم أجد قوله فيما تيسر لي من مراجع والله اعلم

الدلالة إلا بعداً وعناداً كالمريض الممتلئ أخلاطاً لا يزيده الغذاء إلا شراً قال الله تعالى : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ﴾ [(١)] والمؤمن به أعلى رتبة وكلما ازداد قرباً من النبي وتأملاً له ومخالطة وصحبة معه ازداد إيماناً وكلما تجدد إنزال أو تكليف زاده خيراً قال تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴾[(٢)] الآية قال ابن الخطيب رحمه الله تعالى في بعض كتبه : ((الطريق إلى معرفة كون النبي نبياً وتقرير نبوته شيئان :

الأول : المعجزات[(٣)] ، وهو الطريق الذي عليه أرباب الملل والنحل .

الثاني : أن تعرف أولاً الصواب في الاعتقادات ما هو .

والصواب في الأعمال ما هو ، فإذا عرف ذلك ورأينا إنساناً يدعو الخلق إلى الدين الحق ورأينا لقوله أثراً قوياً في صرف الخلق عن الباطل إلى الحق علمنا أنه نبي صادق واجب الإتباع قال وهذا الطريق أقرب إلى العقل والشبهات فيه أقل ولابد / من سبق مقدمات : ٢١ب -٢٢أ

الأولى : أن كمال حال الإنسان في كمال نور قوته النظرية بحيث تتجلى فيها حقائق الأشياء مصونة عن الخطأ ، وفي كمال قوته العملية بحيث تكون له ملكه يقدر بها على الإتيان بالأعمال الصالحة وهي الأحوال التي تقتضي الرغبة

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٨

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٤ .

(٣) جمع معجزة وسبق تعريفها ص٣٥ .

في السعادات الأخروية والروحانيات والرغبة عن السعادات البدنية وهذه مقدمة أطبق الأنبياء والإلاهيون على صحتها[١] .

المقدمة الثانية : أن الناس ثلاثة أقسام .

أ _ ناقص في هذه المعارف والأعمال وهم العامة

ب _ وكامل فيها غير قادر على علاج الناقص وهم الأولياء

ج _ وكامل فيهما قادر على علاج الناقصين ورفعهم إلى أوج الكمال وهم الأنبياء .

المقدمة الثالثة : تفاوت درجات الكمال والنقصان في القوتين المذكورتين

الرابعة[٢] : أنه لابد من وجود طرفي الكمال والنقصان في القوتين المذكورتين ، وبسط القول في إثبات ذلك ثم قال : ((وفي القرآن العظيم ما يدل على أن هذا الطريق هو الأفضل فمن ذلك في سورة سبح اسم ربك الأعلى وذلك أن الإلهيات أصل والنبوات فرع بالنسبة إليها فبدأ بالإلهيات فقال : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾[٣] فأثبت له العلو المطلق[٤] / المبرأ عن مناسبة الممكنات ومشابهة المحدثات وقوله : ﴿ خلق فسوى ﴾[٥] إشارة إلى إتمام الحكمة في خلق الأجسام

٢٢أ-٢٢ب

---

(١) إذا كان يقصد بتجلي الحقائق وضوحها وزوال اللبس عنها فهذا حق وإذا كان يقصد بتجلي الحقائق أن للألفاظ الشرعية معان ظاهرة وأخرى باطنة كما تقول غلاة الصوفية والباطنية والفلاسفة فهذا باطل خلاف هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وخلاف سبيل المؤمنين

(٢)أي المقدمة الرابعة .

(٣) سورة الأعلى آية ١

(٤) الوصف المطلق لا يوجد إلا في الذهن .

(٥) سورة الأعلى آية : ٢

وقوله : ﴿ قدر فهدى ﴾ [١] إشارة إلى إتمام الإحكام في خلق النفوس فنبه بهذين الأمرين على ما لانهاية له من { العجائب }[٢] في الأبدان والنفوس وهذان في الحيوان ، ثم نبه بما في النبات من الحكم فقال : ﴿ والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ﴾[٣] فلما قرر الإلهيات شرع في تقرير النبوات ، وقد علمت أن النبي هو الكامل في القوتين النظرية والعملية والقادر على تكميلها لغيره والنظرية أشرف من العملية فاقتضى الحال هذا الترتيب فبدأ بالقوة النظرية فقال : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ [٤] يعني أن قوتك النظرية كاملة فإذا أورد عليها العلم والحكمة الحاصل بالإقراء الإلهي فلا تنسى نفسك القدسية إلا ما شاء الله تقتضيه الجبلة البشرية ثم ذكر كما حاله في القوة العملية فقال : ﴿ونيسرك لليسرى﴾[٥] وهي الأعمال التي تفيد سعادتي الدنيا والآخرة فلما تم ذلك أتبعه بتكميل القوتين لغيره فقال : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾[٦] فأمره بإرشاد الناقصين ونبهه بقوله : ﴿ إن نفعت الذكرى ﴾ على أن ذلك قد لا يحصل لكل أحد فإن النفوس مختلفة بعضها ينتفع / بالذكرى فتثور[٧] عندها دواعي الحسد فتهلك بجهلها ٢٢ب-٢٣أ

---

(١) سورة الأعلى آية ٣

(٢) ما بين المعقوفتين غير واضح في الأصل واتضح من كتاب المطالب العالية ٨/٦٥ الذي نقل منه المؤلف .

(٣) سورة الأعلى آية : ٤ — ٥

(٤) سورة الأعلى آية : ٦.

(٥) سورة الأعلى آية : ٨ .

(٦)سورة الأعلى آية : ٩ .

(٧) النفوس التي تنتفع بالذكرى ليست هي التي تثور عندها دواعي الحسد ==

فلما بين أمر هذين القسمين بين ما يحصل لكل منهما وينشأ له عما قدر له من الإنتفاع أو عدمه فقال : ﴿ ويتجنبها الأشقى ﴾[١] إلى أخره ثم قال : ﴿ قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى ﴾[٢] وذكر التزكية قبل الصلاة والذكر لأن الأول لإزالة المذموم ، والثاني للتخلق بالمحمود فأولاً يطهر نفسه عن الخلائق الذميمة ثم يكملها بالخلائق المحمودة وختم السورة بأن هذا طريق الأنبياء فقال : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى ﴾[٣] قال : وفي سورة العصر إشارة إلى هذا المعنى فإنه بدأها بقوله : ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر ﴾[٤] لما فيه من الموانع والعوائق عن الخير والقوى المختلفة ثم استثنى الذين آمنوا وهو من كمال القوة النظرية ثم قال : ﴿ وعملوا

=لكن في حاشية المخطوط كلام غير واضح ، وفي المرجع الذي استند إليه المؤلف في هذا التقسيم العبارة كالتالي :

((وقوله : ((إن نفعت الذكرى)) تنبه على أنه ليس كل من سمع ذلك التذكير : انتفع به فإن النفوس الناطقة مختلفة فبعضها ينتفع بذلك التذكير وبعضها لا ينتفع به وبعضها يضره سماع ذلك التذكير لأن سماعه يثير في قلبه دواعي الحسد والغيظ والغضب والإصرار على الجهل ثم لما نبه تعالى على أن المستمع لذلك التذكير قد ينتفع به وقد لا ينتفع به أتبعه ببيان خاصية كل واحد من هذين القسمين ...))

المطالب العالية ٦٦/٨

(١) سورة الأعلى آية ١١

(٢) سورة الأعلى آية : ١٤ — ١٥ .

(٣) سورة الأعلى آية : ١٨ — ١٩

(٤) سورة العصر آية ١ — ٢ .

الصالحات ﴾[١] وهو من كمال القوة العملية ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ وهو الهداية إلى إكمال القوة النظرية ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ وهو الهداية إلى إكمال القوة العملية ثم قال : وفي قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾[٢] إلى قوله : ﴿ سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا ﴾[٣] إشارة إلى أنه قد حصّل كمال القوتين بشريته ورسالته فلا / حاجة إلى إظهار هذه الآيات بعد كمال صفات النبوة[٤] فهذا فصل ينبه على فضل الأنبياء وشرف مرتبتهم وعليّ مترلتهم وما فيهم من المنافع للناس وحاجة الخلق إليهم مع أن ذلك لا يقدره حق قدره إلا من خصه الله تعالى بالمعارف القدسية والأنوار الإلهية وجعله من المقربين وهداه بالهداية الربانية وخصه بالألطاف الأزلية[٥] ﴿ والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾[٦]

٢٣أ-٢٣ب

واختار فخر الدين الرازي هذه الطريقة على طريق إثبات النبوة بالمعجز[٧] والأولى هي التي عول عليها المحققون والأكثرون ولكن هذه الطريقة فيها

---

(١)سورة العصر آية : ٣

(٢) سورة الإسراء آية ٩٠

(٣) سورة الإسراء آية ٩٣

(٤) انظر : المطالب العالية للفخر ٦١/٨ - ٦٨

(٥) الأزلية نسبة إلى الأزل وهو : استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في الماضي . التعاريف ص٢٩

وهو أيضاً : القدم الذي ليس له ابتداء ويطلق على من طال عمره ، التعاريف ص٥٣

(٦) سورة البقرة آية : ١٠٥

(٧) انظر اختيار الفخر في المطالب العالية ٧٤/٨

إيضاح لبعض مقام الأنبياء وشرفه وما ذكره من انتزاع ذلك من القرآن العظيم وهو مما يدل على شرف نبينا ﷺ وفضله على الأنبياء كلهم كما سنذكره في باب التفضيل ولهذا ذكرناها فإنها تدخل في غرضنا من وجه وتفيد فيه عند ذكر الأفضلية وإلا فلسنا في مقام إثبات النبوات إذ ذلك من وظائف المتكلم في أصول الدين فلا نخرج عما يتعلق بمسألتنا .

فروع : النبوة لا تستحق لأحد على اله تعالى بل هي تفضل منه[1] وزعم جماهير المعتزلة أن من يبعثه الله تعالى نبياً يجب أن يكون قد صدر منه من الأعمال قبل النبوة ما يقتضي حصول النبوة / له على سبيل الثواب[2] وهذه المسألة مبنية على أصلهم[3] ٢٣ب -٢٤أ

(١) واصطفاء واختيار قال تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ سورة الأنعام آية : ١٢٤ وقال تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ سورة آل عمران آية : ٣٣ ، فهي لا تدرك بالكسب البته .

انظر العقيدة الإصفهانية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق إبراهيم سعيداي ، مكتبة الرشد الرياض الأولى ١٤١٥هـ ص١٦٣

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ١/٢٢٧ ، ١/٤٤٨ والعقيدة الاصفهانية ص١٦٣

وفي منهاج السنة النبوية ٢/٤١٥ تفصيل الأقوال والقول الحق في ذلك وهي أنها اصطفاء واختيار من الله عز وجل مع ذكره للأدلة

(٣) انظر : المغنى في أبواب التوحيد والعدل : أبو الحسين : عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسد أبادي ، تحقيق : د . محمود الخضري ، د . محمود محمد قاسم ، مراجعة د . إبراهيم مدكور ، المؤسسة العربية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م . ١٦/١٥ و٧٣

وعندنا : لا يجب على الله تعالى شيء بل جميع ما يفعله تفضل منه وإحسان فمن أحكم أصولنا وأصولهم عرف تحقيق هذه المسألة وأمثالها وهي مما يُتم الكلام وليس مقصوداً في نفسه .

والرسالة أخص من النبوة[١] فلا يجب أن يكون كل نبي رسولاً فإن الرسول هو من أرسل إلى الناس ووجب عليه تبليغ ما أرسل به وعلى من أرسل إليه الإيمان به .

والمنقول عن أبي الحسن الأشعري أن الرسل لا يكونون إلا رجالاً لقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً ﴾[٢]

وأنه كان في النساء أربع نبيات هكذا نقله ابن فورك عنه ، وفيما نقله نظر[٣] وسيأتي الكلام في نبوة مريم وغيرها في الفن الثاني إن شاء الله تعالى .

ونقل عنه أنه قال : لا يجوز أن يكون الرسول امرأة ولا عبداً ولا ناقص الحس أما المرأة فلنقصان عقلها ويحتاج الرسول إلى قوة يهدي بها الخلق والعبد متعلق بملك السيد ، وناقص الحس يضعف بنقص حسه عن أداء الرسالة .

والرسالة أشرف منزلة من النبوة بلا رسالة وليس بعدها عند الله منزلة ويجب أن يكون الرسول أكمل ممن أرسل إليه عقلاً وفضلاً وفطنة ومعرفة

---

(١) اختلف في تعريف النبوة والرسالة هل كل رسول نبي وليس كل نبي رسول وهو رأي المؤلف، أم أن الرسول من أرسل إلى قوم بشرع جديد والنبي من أرسل إلى قوم بشرع رسول سابق

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/١٥٥

(٢) سورة يوسف آية : ١٠٩ .

(٣) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع.

وصلاحاً وعفة وشجاعة وزهادة[١]

والنبوة لا تورث ولا يجب / أن يكون ولد النبي نبياً والله اعلم ٢٤أ -٢٤ب

(١) هذا الكلام من المؤلف ينقض عليه تفضيله الرسول ﷺ على جبريل كما سيأتي إذ أن جبريل مرسل إلى محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام

الفصل الثاني

عصمة الأنبياء عليهم السلام

وهذه المسألة[1] مما كثر الاختلاف فيها وفي تفاصيل أحكامها وهي عظيمة الجدوى في أحكام الأنبياء وتبليغهم عن الله تعالى ووجوب الإقتداء بهم والأخذ بأقوالهم والتأسي بأفعالهم وقبل الخوض في الاحتجاج لابد من تلخيص محل النزاع فيها وبيان المذهب المختار الذي عليه أهل السنة وجماعة الأئمة .

---

(١) أي العصمة وهي لغة : المنع . عصمة يعصمه عصما : منعه ووقاه والعصمة : المنعة . والعاصم المانع الحامي . والاعتصام الامتساك بالشيء . وعصم إليه : اعتصم به . وأعصمه : هيأ له شيئاً يعتصم به والعصمة القلادة ، لسان العرب ٤٠٣/١٢ ـــ ٤٠٥ مادة عصم ، العصمة : أن يعصمك الله من الشر أي يدفع عنك

واعتصمت بالله أي : امتنعت به من الشر ، واستعصمت أي : أبيت ، وأعصمت أي : لجأت إلى شيء اعتصمت به ، وأعصمت فلانا : هيأت له ما يعتصم به ، والغريق يعتصم بما تناله يده أي : يلجأ إليه ، والعصمة القلادة وتجمع على أعصام

العين ٣١٣/١ ـــ ٣١٤ باب العين والصاد والميم

والعصمة من العصام وهو الخيط الذي يشد به فم القربة ليمنع سيلان الماء ، فتح الباري ٧٧/١

وعرفت العصمة اصطلاحاً بأنها : ((ملكت اجتناب المعاصي))

وقيل أيضاً أنها : ((عدم خلق الله الذنب في العبد))

والعصمة المؤثمة هي التي تجعل من هتكها آثما ، والعصمة المقومة هي التي يثبت بها للإنسان قيمة بحيث من هتكها فعليه القصاص والدية . قواعد الفقه محمد عميم الإحسان المجدوي البركتي ، الصدف ، بيلشرز . كراتشي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـــ ١٩٨٦م ص٣٨١ .

وقيل : ((هو أن لا يمكن المعصوم من الإتيان بالمعصية ، وقيل هو أن يختص في نفسه أو بدنه بخاصية تقتضي امتناع إقدامه عليه ، وقيل أنها القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية))

إرشاد الفحول ٧٠/١

ويقول الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن عصمة الرسل : (قد اتفق المسلمون على أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله فلا يجوز أن يقرهم على الخطأ في شيء مما يبلغونه عنه وبهذا يحصل المقصود من البعثة)) منهاج السنة النبوية ٣٩٦/٢

قال فخر الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى في المحصل : ((القائلون بالعصمة منهم من زعم أن المعصوم هو الذي لا يمكنه الإتيان بالمعاصي ، ومنهم من زعم أنه يكون متمكناً منه)) .

والأولون : منهم من زعم أنه المختص في بدنه أو نفسه بخاصية تقتضي امتناع إقدامه على المعاصي

ومنهم من ساعد على كونه مساوياً لغيره في الخواص البدنية لكن فسر العصمة بالقدرة على الطاعة أو بعدم القدرة على المعصية[١] وهو قول أبي الحسن الإشعري

والذين لم يسلبوا الاختيار فسروه بأنه الأمر الذي يفعله الله تعالى بالعبد وعَلم أنه لا يقدم مع ذلك الأمر على المعصية بشرط أن لا ينتهي فعل ذلك الأمر إلى حد الإلجاء /

٢٤ب- ٢٥أ

وهؤلاء احتجوا على فساد قول الأولين من العقل بأن الأمر لو كان كذلك لما استحق المعصوم على عصمتة مدحاً ولبطل الأمر والنهى والثواب والعقاب ومن النقل قوله تعالى : ﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي ﴾[٢] ﴿ ولا تجعل مع الله إلها آخر ﴾[٣]

﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم ﴾[٤] ﴿ وما أبرئ نفسي ﴾[٥]

---

(١) قوله هنا : أو بعدم القدرة على المعصية ، ثم نسبة ذلك لأبي الحسن الأشعري ليست من كلام ابن الخطيب في المحصل

(٢) سورة الكهف آية : ١١٠ وسورة فصلت آية : ٦

(٣) سورة الإسراء آية : ٣٩

(٤) سورة الإسراء آية : ٧٤

(٥) سورة يوسف آية : ٥٣

ثم إن هؤلاء زعموا أن أسباب العصمة أموراً أربعة :

أحدها : أن يكون لبدنه أو لنفسه خاصية تقتضي ملكة مانعة من الفجور ، والفرق بين الفعل والملكة معلوم .

وثانيها : أن يحصل له العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات .

وثالثها : تأكيد تلك العلوم بتتابع الوحي والبيان من الله تعالى .

ورابعها : أنه متى صدر عنه أمر من باب ترك الأولى أو النسيان لم يُترك مهملاً بل يعاتب عليه وينبه ويضيق الأمر فيه عليه .

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان الشخص معصوماً عن المعاصي لا محالة لأن ملكة العفة إذا حصلت في جوهر النفس وانضاف إليها العلم التام بما في الطاعة من السعادة وفي المعصية من الشقاوة صار ذلك العلم معيناً له على مقتضي الملكة النفسانية ، ثم الوحي يصير متمماً له ثم خوف / المؤاخذة على القدر اليسير يكون مؤكداً لذلك الاحتراز فيحصل من اجتماع هذه الأمور تأكيد حقيقة العصمة)) [١]

٢٥أ -٢٥ب

قال التلمساني[٢] في شرح المعالم :

((المعنى بالعصمة عند الأشعرية تهيئة العبد للموافقة مطلقاً وذلك يرجع إلى خلق القدرة على كل طاعة أمروا بها ، والقدرة تقارن وقوع المقدور ؛ كما

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي . مراجعه وتقديم : طه عبد الرؤوف عد ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، الأزهر القاهرة ص٢١٨

(٢) هو : عبد الله بن محمد بن علي شرف الدين أبو محمد الفهري المصري المعروف بأبي التلمساني توفي في صفر سنة ثماني وخمسين وستمائة ، انظر : طبقات الشافعية ١٠٧/٢

قالوا أن التوفيق خلق القدرة على الطاعة المعينة فإذن : العصمة : توفيق عام)) [١]

وردت المعتزلة العصمة : إلى خلق ألطاف تقرب فعل الطاعة[٢] ولم يردوها إلى القدرة لأن القدرة عندهم على الشيء صالحة لضده[٣] فالقدرة على الإيمان بعينها قدرة على الكفر .

إذا تقرر هذا فالعصمة واجبة للرسل في الجملة وهي اسم مدح وتعظيم قال القاضي أبو بكر[٤] : ((ولا تطلق العصمة في غير الأنبياء والملائكة على وجه التعظيم لهم في التحمل عما يؤدونه عن الله تعالى)) [٥]

---

(١) لم أجده في كتاب شرح المعالم في أصول الفقه ، عبد الله بن محمد بن على شرف الدين الفهري المصري المعروف بأبي التلمساني ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ على محمد معوض ، عالم الكتب بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـــ ١٩٩٩م

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ٢٦٣/١ وانظر أيضاً كتاب المواقف ٤١٥/٣ و ٤٢٦

(٣) الفرق بين الفرق ١١٦/١

(٤) هو : القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي قيل أنه شافعي وقيل أنه مالكي ، مات آخر يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة للهجرة .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٩٠/١٧ ، ووفيات الأعيان ٢٦٩/٤ ، والبداية والنهاية ، ٣٥٠/١١

(٥) لم أجده فيما توفر لدي من مراجع ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((أجمع أهل الملل قاطبه على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تبارك وتعالى و لم يقل أحد قط أن من أرسله الله يكذب عليه))

الجواب الصحيح ٤٤٦/١ ، وانظر منهاج السنة النبوية ٣٩٦/٢ ولمن أراد الزيادة في تحقيق ذلك عليه بأواخر الجزء الأول وأوائل الجزء الثاني من كتاب الجواب الصحيح .

قال الإمام : ((وذهبت طوائف من الإمامية[1] إلى أن الإمام يجب أن يكـون معصوماً وأن منصب الإمامة يقتضي العصمة كالنبوة . قال : وهو بناء على أن الإمامة تثبت بالنص وأن النبي لا ينص على غير معصوم ، وبناء على الحاجـة الداعية إلى العصمة[2] ، وتفصيل القول في الرد عليهم مستقصي / في بـاب الإمامة[3] وإذا بطل القول بالنص والقول بإيجاب اللطف بطل هذا المـذهب ، وسنشير إلى ذلك في باب الفضائل إن شاء الله تعالى .

٢٥ب-٢٦أ

(١) الإمامية ويسمون الجعفرية ويسمون الرافضة ويرى بعض الباحثين أن لفظ (الشـيعة) إذا أطلق فلا ينصرف إلا إليهم وغيرهم إما إسماعيلية أو زيدية .

وتسميتهم بالرافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب لما خرج بالكوفـة أيـام هشام بن عبد الملك بن مروان .

ويسمون بالإمامية لأنهم قالوا بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان .

ومن مظاهر الغلو المركزة عند الشيعة غلوهم في أئمتهم واعتبار الإمامة ركن الدين الأعظم فهم يعتبرون الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء مـن عبـاده للنبـوة والرسالة ويؤيده بالبراهين التي هي كنص من الله فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويـأمر نبيـه بالنص عليه وأن ينصبه إماماً للناس من بعده .

انظر : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، د : ناصر بن عبدالله القفاري ، دار طيبة للنشر ، الرياض الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ، ١/١٧١ – ١٧٢ .

(٢) وهذا أحد نصوص الشيعة في إدعائهم عصمة الأئمة : ((إعلم أن إجماع علماء الإمامية قد انعقد على أن الإمام معصوم من جميع الذنوب صغيرة كانت أم كبيرة من أول العمر إلى آخـره فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا سهواً ولا غير ذلك)) .

دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ((الشيعة والخوارج)) أحمد بن أحمد جلي ، مركز الملـك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ص١٣٧ ، نقـلاً عـن كتاب : حياة القلوب للمجلسي ٧/٢٧ .

(٣) انظر في الرد عليهم في موضوع الإمامة كتاب: منهاج السنة النبوية لابن تيمية .

ثم قال : ((وذهبت غلاة الإمامية إلى وجوب عصمة كل من يتعلق به طرف من مصالح الإمامة حتى طردوا ذلك في ساسة الدواب والمستخدمين في المستحقرات والعبيد)) ، قال : ((ومن وصل إلى هذا فقد كشف جلباب الحياء عن وجهه ويلزمه عصمة رواة الأخبار والشهود والمفتين ومع ذلك فقد جوزوا الكذب عليهم تقية فلا ثقة بأقوالهم ويلزم جواز الزلل في أفعالهم تقية)) قال : ((وأقدار هؤلاء تقل عن الزيادة على هذا في ذكر قبائحهم وفضائحهم))[١] ولقد صدق ﷺ فإن البحث مع هؤلاء مع وضوح فساد مذهبهم مما يضيع الزمان ويفوت المقصود .

إذا تقرر ذلك من تفسير العصمة واختصاصها بالرسل والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فقد اختلفت الأمة فيما يجوز على الأنبياء اعتقاداً وقولاً وفعلاً وفي الزمن الذي تجب لهم العصمة فيه ونحن نرتب الكلام في ذلك على طرفين : أحدهما قبل النبوة ، والثاني فيما بعدها :

الطرف الأول فيما قبل النبوة : قال القاضي أبو بكر : لا يمتنع عقلا/ ولا سمعاً أن يصدر من النبي قبل نبوته معصية سواء كانت صغيرة أو كبيرة ، ووافقه على ذلك أكثر أصحابنا))[٢] . ٢٦أ -٢٦ب

ومنعت المعتزلة من إرسال من صدرت منه كبيرة[٣] وإن تاب منها لئلا يكون

---

(١) لم أجد كلام الإمام الفخر الرازي عن الشيعة فيما توفر لدي من مراجع وأشار إليه إشارة خفيفة في المحصل ص٢٢٠ وإشارة أقوى في المحصل أيضاً ص٢٤٧ والله اعلم

(٢) انظر المحصل للفخر ص٢٢٠ وانظر الأربعين ١١٧/٢ بناء على نفي الحكم والأسباب في أفعال الله وجعلها معلقة بمحض المشيئة وجواز فعل كل ممكن ، انظر منهاج السنة النبوية ٤١٤/٢

(٣) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ٣٠٤/١٥ ، وانظر مقالات الإسلاميين ص٢٢٦

محتقراً ولئلا تنفر النفوس عن إتباعه وهو مبني على أصولهم في رعاية الصـــلاح والأصلح[١] .

وأما جواز صدور الشرك والكفر والشك في أصول الاعتقاد قبل البعثة عقـــلا فقد أجازه القاضي أبو بكر ومن تابعه لكنه قال : قد صح عند أهل الأخبار أن الله تعالى ما ابتعث من كفر به طرفة عين وهذا من قضية الســـمع وموجـــب العقل التجويز[٢]

قال القاضي عياض : ((أن الصواب أن الأنبياء معصومون قبل النبـــوة مـــن الجهل بالله تعالى وصفاته والتشكك في شيء من ذلك

وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء عليهم السلام بتنـــــزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأهم على التوحيد والإيمان بل على أشـــرف أنواع المعارف ونفحات ألطاف السعادة ، ولم يقل أحد من أهل الأخبـــار أن أحداً نبئ واصطُفِي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هـــذا البـــاب النقل))[٣] انتهى كلامه .

وقد نقل غيره أن من الناس من يقول بوقوع ذلك ويحتج عليه بأمور / نذكرها في معرض الجواب عنها والحجة على ما قلناه من وجوه :

٢٦ب-٢٧أ

منها : أنه لم ينقل عن أمة من الأمم أنها احتجت على نبيها بذلك ولا ذكـــرت له حالاً يقتضي ملابسته ما هم عليه ولا خلاف ما يدعوهم إليه مـــن الإيمـــان والتوحيد ولو كان ذلك لقالوا له : كيف خالفت دينك أو ناقضـــت قولـــك

---

(١) المغني في أبواب التوحيد ٣٠٢/١٥

(٢) انظر المحصل للفخر ص٢٢٠ ، وانظر الإحكام : علي بن محمد الآمدي ، تحقيق : د. ســـيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـــ ، ٢٢٤/١

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٦٩/٢

فإنهم كانوا يحتجون عليه بأسلافهم وبأنه لا ينبغي له أن يغير دين آبائه وأمثال ذلك فلو كان نبي وقع منه مثل ذلك لاحتج عليه به ولم ينقل ذلك عن أحـــد منهم .

ونقل القاضي عياض عن القشيري[١] أنه احتج على ذلك في حـــق الـــنبي ﷺ بقوله تعالى :

﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم ﴾[٢] وبقوله :﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾[٣] قال : وبعد أن يأخذ الله منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه إلا ملحد[٤] قال[٥] : ((وكيف يكون ذلـــك وقد أتاه جبريل وشق قلبه صغيراً واستخرج منه علقة وقـــال : هـــذا حـــظ

---

(١) الذي يظهر لي والله اعلم أنه : الأستاذ أبو القاسم : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن محمد القشيري النيسابوري ، ولد في ربيع الأول سنة ستة وسبعين وثلاثمائة ، وتوفي بنيسابور في ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة للهجرة والله اعلم .

انظر : طبقات المحدثين ١٣٤/١ ، وطبقات الشافعية ٢٥٤/٢ ، وطبقات المفســرين (١) ٧٣/١ والنجوم الزاهرة ٩١/٥ ، والعبر في خبر من غبر (١) ٢٦١/٣

(٢) سورة الأحزاب آية ٧

(٣) سورة آل عمران آية ٨١

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٧٠/٢ وإلى هنا انتهى كلام القشيري الذي نقله القاضـــي عياض .

(٥) أي القاضي عياض رحمه الله .

الشيطان منك))[١] ثم غسله / وملأه حكمة وإيماناً[٢].[٣] ، قلت : وأما ما ذكر ٢٧/أ – ٢٧ ب في فقه إبراهيم وقوله في الكوكب :﴿ هذا ربي ﴾[٤] فإما أن يحمل أنه على [ما] [٥] كان قبل التكليف أو على أنه قال ذلك محتجاً على قومه فسماه بما كانوا يسمونه ليبين لهم أنه لا يجوز اتخاذه رباً بما حصل له من الأفول والتغير ويكون ذلك مثل قوله تعالى :﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾[٦] يعني والله أعلم : أين شركائي في زعمكم ، وكذلك قوله تعالى في تمام الآيات :﴿ لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾[٧] إنما قال إبراهيم ذلك وقت النظر والاستدلال على سبيل الحذر والإشفاق وليس فيه وقوع ضلال .

---

(١) انظر صحيح مسلم وفيه : عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله .. الحديث)) ١٤٧/١ حديث رقم ١٦٢ .

(٢) انظر صحيح مسلم وفيه : ((... فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه .. الحديث)) ١٤٨/١ حديث رقم ١٦٣ ، والشق في الحديث في الهامش السابق غير الشق في هذا الحديث فالأول في الصبا والثاني بعد البعثة فليتأمل .

(٣) الشفا في حقوق المصطفى ٧٠/٢

(٤) سورة الأنعام آية ٧٧

(٥) ما بين المعقوفتين من عندي ويستقيم بها الكلام ويمكن أن يستقيم الكلام بدونها إذا حذفت ((على)) التي قبلها والله أعلم لكن ((على)) موجودة في المخطوطة والله أعلم .

(٦) سورة القصص آية ٦٢ .

(٧) سورة الأنعام آية ٧٧

وأما قوله تعالى حكاية عن شعيب :﴿ قال أولو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾[1] فليس فيه ما يدل على التلبس بالملة لأن غايته الاستدلال بلفظة ((عدنا)) بقوله :﴿ إذ نجانا الله منها ﴾[2] أما ((عدنا)) فلا تقتضي الكون فيها قبل ذلك لأن العود تارة يطلق على الرجوع إلى الشيء بعد الخروج منه وتارة يطلق على الصيرورة في الشيء بعد أن / لم يكن فيه[3] . قال النبي ﷺ في حديث الذي يدخلون النار من عصاة هذه الأمة: ((حتى عادوا حمماً))[4].[5] ولم يكونوا حمماً قبل ذلك .

٢٧ب – ٢٨أ

وقال الشاعر[6] :

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعاد بعد أبوالا[7]

---

(١) سورة الأعراف آية ٨٨ – ٨٩

(٢) سورة الأعراف آية ٨٩

(٣) انظر لسان العرب ٣١٧/٣ – ٣١٨ مادة عود ،وأشار إلى أن من ذلك يوم الميعاد والله أعلم

(٤) رواه صحيح مسلم ١٧٠/١ كتاب الإيمان باب رقم ٨٠ حديث رقم ١٨٣ ، وشعب الإيمان للبيهقي ٢٩٠/١ رقم ٣١٧

(٥) حمماً : أي فحماً انظر لسان العرب ٣٤٥/٦ مادة حمم

(٦) هو: أمية بن أبي الصلت ،ربيعة بن عوف توفي في السنة الثانية للهجرة انظر المنتظم حتى ٢٥٧هـ ١٤٢/٣ ، انظر القرطبي في تفسيره ٤٠٣/٧ وابن هشام في السيرة النبوية ١٨٦/١ .

(٧) طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المديني جدة ، ٥٩/١ ، والأغاني ٣١٣/١٧ .

والمزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ١٤٥/١ ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م ، ١٤٥/١. ==

أي فصارا .

وقيل في تأويله أيضاً لعل ملتهم كانت حقاً ثم نسخت ولم يتحولوا عنها وفيه نظر ، وأما قوله : ((إذا نجانا)) فلا يعني أنه كان قد وقع فيه كما [...][١] فمن سلم من الطاعون نجا منه لوقوع غيره وذلك ظاهر .

وأما قوله تعالى :﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾[٢] فقال الطبري[٣] : وجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها[٤] .

وقيل وجدك بين أهل الضلال فهداهم بك[٥] . وقد روي عن الحسن أنه قرأ

=والبيت في تفسير القرطبي : تلك المكارم لأقعبن من لبن   شيباً بماء فعادوا بعد أبوالاً))
٤٦٣/٧ ومعجم البلدان نفسه ٢١١/٤ لم ينسبه ، وسير أعلام النبلاء ٣٧٦/٢ ولم ينسبه والإصابة لابن حجر ٤١٧/٥ ولم ينسبه والطبقات لابن سعد ٣٩٢/٥ ولم ينسبه وحلية الأولياء ٣٢٢/٥ ولم ينسبه ، والسيرة النبوية لابن هشام ١٨٧/١٧ ،

(١) ما بين المعقوفتين كلمة لم تتبين .

(٢) سورة الضحى آية ٧

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير – وقيل خالد – ابن غالب الطبري إمام المفسرين ورأسهم ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين تقريباً وكان مولده بطبر سنان ومات رحمه الله تعالى عشية الأحد في أواخر شوال وذلك سنة عشر وثلاثمائة وقيل تسعة وثلاثمائة ببغداد والله أعلم .
انظر : السير ٢٦٧/١٤ وشذرات الذهب ٢٦٠/١ والعبر ١٥٢/٢ ووفيات الأعيان ١٩١/٤ ومعرفة القراء ١٦٤/١ وطبقات المفسرين (١) ١٩٥/١ وطبقات الشافعية ١٢٠/٣

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٧١/٢

(٥) انظر تفسير القرطبي ٩٧/٢٠ ونسب هذا التفسير إلى الكلبي والفراء

:﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾[١] أي : اهتدى[٢] وقيل : ووجدك ضالاً عن هذه الشريعة الخاصة[٣] فإنه كان يطلب حقائق الشريعة وطرائق العبادة على سبيل التفصيل فهو كقوله تعالى :﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾[٤] ومنهم من ذكر فيه وجهاً آخر وهو أنه في قوة التقديم والتأخير فكأنه قال : فوجدك فهدى ضالاً بك وقيل هو ضلال في الطريق بين مكة والمدينة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن للنبي ﷺ ضلالة معصية وإما /قوله تعالى حكاية عن موسى :﴿ فعلتها إذن وأنا من الضالين﴾[٥] فالمراد بالضلال هنا الخطأ أو النسيان يعني لم أقصد قتله[٦]

٢٨أ – ٢٨ب

(١) سورة الضحى آية ٧

(٢) انظر تفسير القرطبي ٢٠/٩٩

(٣) انظر تفسير القرطبي ٢٠/٩٦

(٤) سورة النساء آية ١١٣

(٥) سورة الشعراء آية ٢٠

(٦) ومنه قوله تعالى : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ سورة البقرة آية :٢٨٢ويأتي الضلال بمعنى الغفلة ومنه قوله تعالى :﴿ في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ سورة طه آية : ٥٢ ، ويأتي الضلال بمعنى المحبة ومنه قوله تعالى :﴿ تالله إنك لفي ضلالك القديم ﴾ سورة يوسف آية٩٥، ويأتي الضلال بمعنى الهلاك يقوله تعالى :﴿ أإذا ضللنا في الأرض ﴾ سورة السجدة آية١٠ ويأتي الضلال بمعنى الخفاء وعند تأمل قوله تعالى : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ سورة الشرح آية ٤ يتبين بها معنى قوله تعالى :﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ الضحى آية ٧ والله أعلم ، وأصل الضلال الغيبوبة ، يقال ضل الماء في اللبن إذا غاب والضلة يعني الغيبوبة في خير أو شر ، ويكون الضلال بمعاني أخر كالطلب والتحيُّر والضياع ، انظر تفسير القرطبي ٢٠/٩٧ ، ولسان العرب ١١/٣٩٠ مادة ضلل .

وأما قوله تعالى :﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾[١] فمعناه ما كنت تدري كيف تدعو الخلق إلى الإيمان .

وقيل المراد بالإيمان : الفرائض والأحكام وسماها إيماناً إما على قول من يرى دخولها في مسمى الإيمان[٢] أو المراد : ما كنت تدري ما الإيمان بها لأنها لم تكن نزلت بعد[٣]

هذا هو القول في عدم جواز الكفر قبل النبوة .

أما غيره ففي كلام القاضي عياض ما يقتضي المنع من صدور [الكذب] [٤] والخلف في القول أيضاً[٥] وقد قدَّمنا قول القاضي أبي بكر في تجويز الكبيرة[٦] حتى قال : ((لا يبعد أن يكون ما صدر من آدم كبيرة وأنه كان قبل البعثة))

---

(١) سورة الشورى آية ٥٢

(٢) إذا أطلق لفظ الإيمان منفرداً فإنه يرادف الإسلام في المعنى والدلالة فيشمل الدين كله عقائد وعبادات وأخلاق ويحوي أركان الإيمان وأركان الإسلام ولذلك تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو : قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان. لمعة الاعتقاد ٤/٨٨ص٢٣ ، ويقول ابن تيميه رحمه الله تعالى : ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . العقيدة الواسطية ص٣٩ ودليل دخول الأعمال في مسمى الإيمان قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ سورة البقرة آية : ١٤٣ ، أي صلاتكم وذلك عند تحويل القبلة بمعنى أن الله لن يضيع عليكم صلاتكم جهة القبلة الأولى إلى بيت المقدس .

(٣) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/٧٠

(٤) ما بين المعقوفتين تصحيح من المؤلف نفسه في الحاشية لكلمة الكذب لكنه لم يشر إلى ذلك أو أن الإشارة منطمسة لكن يستقيم بها الكلام والله أعلم .

(٥) انظر الشفا في تعريف حقوق المصطفى ٢/٧٨

(٦) تقدم آنفاً .

هكذا نقله إمام الحرمين[١] رحمه الله تعالى وسياتي الكلام على قصة آدم فيما بعد .

وأما بعد النبوة فقد اتفق أهل الملل والشرائع على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام عن الكذب عمداً[٢] فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه وذلك مما طريقه التبليغ عن الله تعالى من دعوى الرسالة وما نزل عليهم من الكتب الإلهية إذ لو جاز ذلك لأدى إلى إبطال دلالة المعجزة[٣] وهو محال وهل يجوز عليهم النسيان / فقد قال الآمدي : ((اختلف الناس فيه ؛ فذهب الأستاذ أبو إسحاق[٤] وكثير من الأئمة إلى امتناعه .

وذهب القاضي أبو بكر إلى جوازه))[٥] .

٢٨ب – ٢٩أ

---

(١) هو : عبد الملك بن عبد الله يوسف بن حيوة الجويني النيسابوري أبو المعالي إمام الحرمين مولده في الثامن عشر من محرم سنة تسع عشر وأربعمائة للهجرة وتوفي ليلة الأربعاء بعد العشاء في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة للهجرة .

انظر طبقات الشافعية ١٦٥/٥ والسير ٤٦٨/١٨ ، وطبقات الفقهاء ٢٣٨/١ ومذهب القاضي في ذلك ذكره إمام الحرمين في البرهان في أصول الفقه ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني تحقيق : د . عبد العظيم محمود الديب ، مكتبة الوفاء المنصورة ، مصر الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ ٣١٩/١ ولكن لم أجد ما نقله عنه من النص فيما اطلعت عليه من كتب إمام الحرمين والله أعلم

(٢) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في الجواب الصحيح ٤٤٦/١ ومنهاج السنة النبوية ٣٩٦/٢ وقد ذكرته في حاشية رقم ٥ ص٨٩ من هذا البحث .

(٣) وذلك أن الغرض من المعجزة إثبات صدقه عند المؤلف .

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الاسفراييني توفي في نيسابور يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة وأربعمائة ثم نقل إلى بلده أسفرايين ودفن بها وقد نيف على الثمانين ، انظر طبقات المحدثين ١٢٣/١ وشذرات الذهب ٢٠٩/٢ والسير ٣٥٣/١٧ وطبقات الشافعية الكبرى ٢٥٦/٤ ووفيات الأعيان ٢٨/١ والعبر (١) ١٣٠/٣

(٥) انظر الإحكام في أصول الأحكام ٢٤٣/١

وادعى فخر الدين الإجماع على امتناعه في بعض كتبه وذكر الخلافة فيه في بعض كتبه[1] وهذا الخلاف راجع إلى أن ذلك هل هو داخل تحت دلالة المعجزة على التصديق ؟ فمن جعله داخلاً منعه وقال : لو جاز لانتقضت دلالة المعجزة على التصديق ؟ فمن جعله داخل منعه ومن جعله غير داخل فيها جوز لعدم انتقاض الدلالة وفي كلام إمام الحرمين رحمه الله تعالى أن ذلك فيما يتعلق ببيان الشرائع وكان قولاً ، أو فعلاً نازلاً مترلة قول في اقتضاء البيان[2] ولما ذكر جواز ذلك ذكر منه قصة تحلله ﷺ عن اليمين وقوله : ((إنما أُنسَّى لأَسنَّ)) [3]

---

(١) أشار الفخر الرازي إلى هذا الإجماع في تفسيره ٧/٣ ونقل الخلاف في المحصول ٣٤١/٣ ، والأربعين ١١٦/٢ ، ولم يشر إلى الخلاف ولا إلى الإجماع في معالم أصول الدين ص١٠٢

(٢) انظر مذهبه في البرهان في أصول الفقه ٣٢٠/١ ، لكن لم أجد قوله فيما توفر لدي من مراجع .

(٣) رواه الإمام مالك بنحوه ، الموطأ (موطأ مالك) : مالك بن أنس أبو عبد الله الاصبحي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي مصر ، ١٠٠/١ ، ٤ كتاب السهو ، باب العمل في السهو رقم ٢٢٥ ، وقال عنه ابن عبد البر : أما هذا الحديث بهذا اللفظ — إني لأنسى أو أنسى لأسن — فلا أعلمه يروى عن النبي ﷺ بوجه من الوجوه مسنداً ولا مقطوعاً من غير هذا الوجه والله أعلم وهو أحد الأحاديث الأربعة في الموطأ التي لا توجد في غيره مسنده ولا مرسله والله أعلم ومعناه صحيح .

التمهيد ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية المغرب ١٣٨٧هـ ٣٧٥/٢٤ .

وقال عنه السيوطي وفيه انقطاع : لا يعرف ، تدريب الراوي ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف مكتبة الرياض الحديثة الرياض ٢١٢/٢ .

فيظهر من ذلك والله أعلم أن ما طريقه التبليغ فيه ما يقطع بدخوله تحت دلالة المعجزة على الصدق فهذا لا نزاع في أنه لا يجوز التحريف ولا الخيانة ولا الكذب .

وما لا يكون كذلك وهو ما طريقه التبليغ والبيان للشرائع فهل يجوز فيه النسيان هذا محل الخلاف ؛ ويحمل إطلاق فخر الدين الرازي نقل الإجماع في بعض كتبه على القسم الأول وذكره للخلاف في بعض كتبه على القسم الثاني فإنه والآمدي نقلا الخلاف مطلقاً[1] وهو محمول على / التفصيل الذي أشار إليه إمام الحرمين رحمه الله تعالى قال إمام الحرمين رحمه الله تعالى : قال القاضي في كتاب الانتصار : المعجزة تدل على صدق النبي فيما هو متذكر فيه عامد له ، وذهول النفس وطرأن النسيان وبوادر اللسان لا تدخل تحت الصدق المعهود الذي هو مدلول المعجزة ، قال : وأما من قال في تجويز ذلك القدح في الثقة بتبليغ الأنبياء فهو قول عري عن التحصيل وإنما يلزم لو جُوِّز تقريرهم عليهم السلام عليه[2] ، وأما الحديث المشهور في تحلله من اليمين فالنسيان فيه ظاهر

٢٩أ – ٢٩ب

(١) يقول الآمدي : وأما بعد النبوة فالاتفاق من أهل الشرائع قاطبة على عصمتهم عن تعمد كل ما يخل بصدقهم فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه من دعوى الرسالة والتبليغ عن الله تعالى واختلفوا في جواز ذلك عليهم بطريق الغلط والنسيان ...)) الأحكام ٢٢٤/١ .

انظر عن الآمدي : الإحكام ٢٢٤/١ ، وعن الفخر : ذكر الخلاف في التفسير الكبير ٧/٣ وذكر الإجماع على أنه لا يجوز على الأنبياء النسيان فيما يتعلق بالشرائع والأحكام ، انظر : عصمة الأنبياء ، فخر الدين الرازي مطبعة المدينة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ص٣٩

(٢) حول الموضوع عن الباقلاني انظر : نكت الانتصار لنقل القرآن ، أبو بكر الباقلاني تلخيص أبو عبد الله الصيرفي ترتيب ونسخ : عبد الجليل الصابوني ، تحقيق د. محمد زغلول سلام منشأة المعارف الإسكندرية ص٣١٢ – ٣١٤ .

وهو حكمة من الله تعالى لظهور السنة فيه ، ثم ساق الكلام إلى أن ذكر ما سمع عند قراءة سورة النجم وهو : تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهم ترتجى قال القاضي : فنحن وإن جوزنا نسيان الأنبياء فلسنا نجوز ندور كلمة الشرك منهم ، وإنما الذي يصح في ذلك : أن الشيطان تكلم به وشبه صوته[1] وعليه يدل ظاهر قوله :﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾[2] انتهى كلامه[3] .

فهذا كما تراه يبين أن المراد من النسيان في التبليغ كما ذكر إمام الحرمين فيما كان من الأقوال والأفعال نازلاً منزلة قول في اقتضاء وبيان الشرائع كقصة التحلل / من الصلاة وأما ما كان من قبيل أصل الدين الذي لو جوز النسيان فيه لكان تلفظاً بكلمة كفر فإنه لا يجوز النسيان فيه عند القاضي أبي بكر أيضاً لقطعه بدخول ذلك تحت دلالة المعجزة على الصدق ، فإطلاق جواز النسيان في تبليغ الشرائع ونقله عن القاضي ومن تبعه غير سديد على أن إمام الحرمين قال في ادعاء الإجماع على ما ذكره القاضي من عدم جواز صدور ذلك سهواً نظر ، ونحن نستخير الله تعالى فيه وإنما الإجماع : في العظائم والفواحش المتعمدة .

٢٩ب-٣٠أ

---

(١) هكذا في المخطوط والأصوب إضافة كلمة : ((بصوته)) ليستقيم الكلام والله أعلم .

(٢) سورة الحج آية ٥٢ .

(٣) انظر : نكت الانتصار ص٣٠٧

وقد نقل القاضي عياض الإجماع على عدم جواز السهو والنسيان في الأقوال البلاغية ونص الخلاف بالأفعال[١] .

(١) انظر الشفا ٢/٧٨ و٨٥ و٨٧ ، ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذا الموضوع : لا يمكن أن يقر رسول الله ﷺ بأنه رسول الله في بعض الأحيان ما أنبأ به عن الله دون بعض ولا يمكن اتباع بعض كتابه الذي ذكر أنه منزل من عند الله دون بعض فإنه إن كان صادقاً في قوله أنه رسول الله كان معصوماً في ما يخبر به عن الله ولا يجوز أن يكذب في شيء منه لا عمداً ولا خطأ ووجب اتباع الكتاب الذي جاء به من عند الله ولم يكن رد شيء مما ذكر أنه جاء به من الله وإن كان كاذباً في كلمة واحدة مما أخبر به عن الله فهو من الكاذبين المفترين ...

والواحد من المسلمين وإن كان الله لا يؤاخذه بالنسيان والخطأ بل والرسول أيضاً وإن لم يكن يؤاخذ بالنسيان والخطأ في غير ما يبلغه عن الله عند السلف والأئمة وجمهور المسلمين لكن ما يبلغه عن الله لا يجوز أن يستقر فيه خطأ فإنه لو جاز أن يبلغ عن الله ما لم يقله الله كان هذا مناقضاً لمقصود الرسالة ولم يكن رسولاً لله في ذلك بل كان كاذباً في ذلك وإن لم يتعمده وإذا بلغ عن الله ما لم يقله وصدق في ذلك كان قد صدق من قال على الله غير الحق ومن تقول عليه ما لم يقله وإن لم يكن متعمداً ويمتنع في مثل هذا أن يصدقه الله في كل ما يخبر به عنه أو أن يقيم له من الآيات والبراهين ما يدل على صدقه في كل ما يخبر به عنه مع أن الأمر ليس كذلك ومن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقاً في كل ما يخبر به عن الله لا يجوز أن يكون في خبره عن الله شيء من الكذب لا عمداً ولا خطأ وهذا مما اتفق عليه جميع الناس من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم لم يتنازعوا أنه لا يجوز أن يستقر في خبره عن الله خطأ وإنما تنازعوا هل يجوز أن يقع الغلط ما يستدركه ويبينه فلا ينافي مقصود الرسالة كما نقل من ذكر تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتها لترتجى هذا فيه قولان للناس :

منهم من يمنع ذلك أيضاً وطعن في وقوع ذلك من هؤلاء من قال إنهم سمعوا ما لم يقله فكان الخطأ في سمعهم والشيطان ألقى في سمعهم .

ومن جوز ذلك قال : إذا حصل البيان ونسخ ما ألقى الشيطان لم يكن في ذلك محذور وكان ذلك دليلاً على صدقه وأمانته وديانته وأنه غير متبع هواه ولا مصر على غير الحق كفعل طالب الرياسة المصر على خطئه وإذا كان نسخ ما جزم بأن الله أنزله لا محذور فيه فنسخ مثل هذا =

وحاصله يرجع إلى اندراجها تحت دلالة المعجزة على ما ذكرناه وأما الحديث الذي ذكر فيه قراءة النجم فسيأتي الكلام عليه مستقصي إن شاء الله تعالى .

وأما ما لا يتعلق بالتبليغ فمنه الاعتقاد وقد اتفقت الأمة على أنه لا يجوز صدور الكفر من الأنبياء ، ونقل فخر الدين عن الفضيلية من الخوارج تجويز

=أولى أن لا يكون فيه محذور واستدل على ذلك بقوله ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد * وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ وعلى كل قول فالناس متفقون على أن من أرسله الله وأقام الآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله لم يكن ما يبلغه عن الله إلا حقاً ، وإلا كانت الآيات الدالة على صدقه دلت على صدق من ليس بصادق وبطلان مدلول الأدلة اليقينية ممتنع ، والصدق الذي هو مدلول آيات الأنبياء وبراهينهم هو أن يكون خبره عن الله مطابقاً لمخبره لا يخالفه عمداً ولا خطأ ولو قال قائل أنا لا أسمي الخطأ كذباً أو قال إن المخطئ لا إثم عليه في خطئه ـ قيل له : هذا لا ينفع هنا فإن الآيات دلت على أن الله أرسله ليبلغ عنه رسالاته والله لا يرسل من يعلم أنه يخبر عنه بخلاف ما قال له كما لا يجوز إرسال من يتعمد عليه الكذب بل الواحد من الناس لا يرسل من يعلم أنه يبلغ خلاف ما أرسله به ولو علم أنه يقول عليه ما لم يقل وأرسله مع ذلك لكان جاهلاً سفيهاً ليس بعليم حكيم فكيف يجوز ذلك على أعلم العالمين وأحكم الحاكمين وأيضاً فإن الآيات والبراهين دلت على صدقه في كل ما يبلغه عن الله وأن الله مصدقه في كل ما يبلغه عنه فيمتنع أن لا يكون صادقاً في شيء من ذلك ويمتنع أن يصدق الله في كل ذلك من لا يصدق في كل ذلك فإن تصديق من لا يصدق كذب ، والكذب ممتنع على الله وإذا تبين أن من ذكر أنه رسول الله إما أن يكون رسولاً صادقاً في جميع ما يبلغه فيمتنع مع هذا تناقض أخباره لأنها كلها صادقة ، وإما أن يكون غير صادق ولو في كلمة فلا يكون رسولاً لله فلا يحتج بشيء مما يخبر به عن الله . بتصرف يسير : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ٣٣/٢ .

الكفر على الأنبياء[١] وهو إلزام لهم بمذهبهم في الذنب فإنهم جوزوا صدور الذنب عن الأنبياء ، وعندهم كل ذنب كفر فيلزمهم جواز الكفر منهم / ٣٠أ - ٣٠ب
وفخر الدين نقله عنهم مذهباً وغيره جعله إلزاماً
ونُقل عن الأزارقة أنهم قالوا بجواز بعثة من علم الله تعالى منه أنه يكفر فيلزمهم تجويز الكفر أيضاً[٢] .
وهذه الأقوال مسبوقة بالإجماع من الأمة .
قال فخر الدين في محصلة : " اتفقت الأمة على كون الأنبياء معصومين من الكفر إلا الفضيلية من الخوارج[٣] فإنهم اعتقدوا أن كل ما ينطلق عليه اسم العصيان فهو كفر ثم إنهم جوزوا على الرسل المعاصي فلا جرم جوزوا الكفر عليهم . ويدل على فساده أنه لو جاز الكفر عليهم لكان الإقتداء بهم واجباً

---

(١) المحصول : محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ٣/٤ ، ٣/٣٤٠ وهو كما قال المؤلف إلزام لهم بمذهبهم .

(٢) الأحكام ١/٢٢٥

(٣) الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ممن كان معه في حرب صفين وكانوا أول الأمر في تعيين أحد الحكمين الذي من طرف علي ﷺ فأجبروه على اختيار أبا موسى الأشعري ﷺ ثم بعد ذلك قالوا لعلي ﷺ : لماذا حكمت الرجال لا حكم إلا لله ، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان ثم إن علياً ﷺ أرسل إليهم ابن عباس فناقشهم ورجع كثير منهم ، وبقي مجموعة قاتلهم علي ﷺ حتى لم يبق منهم إلا أفراداً تفرقوا وأصبحوا بذرة للخوارج فيما بعد وهم فرق كثيرة منها :
المحكمة والأزارقة والنجدات والأباضية وغيرهم ، لهم أراء شاذة في التكفير ، كثير منهم يكفر بالمعاصي ويستحلون الدم والمال بذلك .
انظر : الملل والنحل ١/١١٤ ، مقالات الإسلامين ص٨٦ ، الفصل في الملل والنحل ٤/٣٧ .

لقوله تعالى :﴿ فاتبعوني ﴾[١] وذلك يدل على فساد قولهم . قال : ومن الناس من لم يجوز الكفر لكنه جوز إظهار الكفر على سبيل التقية واحتجوا عليه بأن إظهار الإسلام إذا كان مفضياً إلى القتل كان إظهاره إلقاء للنفس في التهلكة وهو غير جائز ، وهذا أيضاً باطل لأنه يفضي إلى إخفاء الدين بالكلية ولأنه لو جاز ذلك لكان أولى الأوقات به وقت ظهور الدعوة لأن الخلق في ذلك الوقت يكونون منكرين بالكلية ، ويلزم أن لا يجوز لأحد من الأنبياء إظهار الدعوة ولأن الخوف الشديد كان حاصلاً لإبراهيم عليه السلام زمن نمرود ، ولموسى زمن فرعون مع أنهم لم / يمتنعوا عن إظهار الحق . ٣٠ب-٣١أ

ومن الناس من لم يجوز الكفر ولا إظهار الكفر لكنه جوز الكبائر عليهم . والأكثرون لم يقولوا به .

وأما الذين لم يجوزوا الكبائر فقد اختلفوا في الصغائر واتفق الأكثرون على أنه لا يجوز فيهم الإقدام على المعصية قصداً سواء كانت كبيرة أو صغيرة بل يجوز فيهم صدورها على أحد وجوه ثلاثة :

أحدها : السهو والنسيان .

والثاني : ترك الأولى .

والثالث : اشتباه المنهي بالمباح))[٢] .

وأطلق في غير المحصل اختيار القول بأن الأنبياء عليهم السلام معصومون في زمن النبوة من الكبائر والصغائر بالعمد ، وأما على سبيل السهو فجائز[٣]

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٠ .

(٢) انظر المحصل للفخر الرازي ص ٢١٩ – ٢٢٠

(٣) المحصول ٣٤٤/٣ ، لكنه قال عقب ذلك مباشرة : ((لكن بشرط أن يتذكروه في الحال وينبهوا غيرهم على أن ذلك كان سهواً)) المحصول ٣٤٤/٣ .

ورأيت في تفسير الكلام في عصمة الأنبياء بأن قال : ((الاختلاف في ذلك يقع على أقسام أربعة :

أحدها : ما يقع في باب الاعتقاد .

وثانيها : التبليغ .

وثالثها : الفتوى .

ورابعها : الأحكام والسير .

أما الإعتقاد : فلا يجوز عليهم الكفر والضلال عند أكثر الأمة وذكر مذهب الفضيلية ومذهب الإمامية في التقية .

أما ما يتعلق بالتبليغ : فقد أجمعت الأمة على عصمتهم عن الكذب فيه والتحريف لا عمداً ولا سهواً .

ومن الناس من جوز ذلك سهواً .

وأما الفتوى : فأجمعوا / على أنهم لا يجوز خطأهم فيه عمداً وجوزه بعضهم سهواً . ٣١أ - ٣١ب

وأما أفعالهم ففيها خمسة أقوال :

أحدها : قول الحشوية أنه تجوز الكبائر عمداً .

والثاني : أن الكبائر لا تجوز لكن تجوز الصغائر عمداً إلا ما ينفر كالكذب والتطفيف .

والثالث : أنه لا تجوز لكن لا تجوز الصغائر ولا الكبائر عمداً ولكن على جهة التأويل وهو قول الجبائي[(١)].

الرابع : أنه لا يقع منهم ذنب إلا سهواً وخطأ وهم مؤاخذون بذلك .

الخامس : أنه لا يقع منهم لا عمداً ولا سهواً ولا خطأ ولا على جهة التأويل وهو مذهب الرافضة[(٢)]

وقال غيره : أما ما ليس بكفر فإما أن يكون من الكبائر أو لا يكون منها ، فإن كان من الكبائر فقد اتفق المحققون والأئمة على وجوب عصمتهم عن تعمده من غير نسيان ولا تأويل ولم يخالف في ذلك إلا الحشوية ، ومن جوز الكفر[(٣)] .

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان البصري ـــ مولى عثمان بن عفان ﷺ ـــ ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين وعاش ثمانيا وستين سنة ومات بالبصرة في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة هـــ .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٨٣/١٤ ، طبقات المفسرين ١٠٢/١ ، ووفيات الأعيان ٢٦٧/٤

(٢) انظر : عصمة الأنبياء ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، تقديم محمد حجازي مكتبة الثقافة الدينة . القاهرة ط١ ، ١٤٠٦هـــ ١٩٨٦م مطبعة المدني مصر ص٣٩ ـــ ٤٠ ، وانظر الأربعين للفخر الرازي ٧/٣ـــ ٨ ، وانظر أيضاً التفسير الكبير للفخر الرازي ٣٣٩/٣ وما بعدها

(٣) تطرق شيخ الإسلام لهذه المسألة وخلاصتها أن الصحابة الذين ولدوا في الإسلام وكذلك التابعين الذين لم يتعرضوا للكفر ولا للكبائر ليسوا بأية حال بأفضل من الصحابة الذين تعرضوا لذلك قبل الإسلام بل إن الصحابة جميعاً أفضل البشر بعد الأنبياء والرسل وكذلك فإن بعضاً من التائبين من المعاصي حالهم أحسن في الإيمان والعمل الصالح من بعض من لم يقارف شيئاً من ذلك ولا يعني هذا الحث على فعل المعصية ثم التوبة منها فإن العاصي لا يدري عن اجله لو باغته أثناءها وهو خلاف الهدى .

انظر : منهاج السنة النبوية ٣٩٨/٢ .

==

واختلف القائلون بوجوب العصمة من الكبائر هل ذلك مستفاد من العقل أو السمع فذهب القاضي أبو بكر والمحققون من أصحابنا إلى أن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلاً لعدم دلالة المعجزة على ذلك وإنما هو مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين/[1]

٣١ب -٣٢أ

وذهبت المعتزلة إلى امتناع ذلك منهم عقلاً مصيراً منهم إلى أن صدور الكبائر من الأنبياء عليهم السلام مما يوجب سقوط هيبتهم وانحطاط رتبتهم في أعين الناس وذلك مما يوجب النفرة عنهم وعدم الانقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلائق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضي الحكمة والعقل[2] وما ذكروه

=ويقول القاضي عياض رحمه الله تعالى : ((والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب وتحصنهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع)) ، الشفا ٩٢/٢ .

(١) انظر : المحصول ٣٤٢/٣ ، وانظر البرهان في أصول الفقه ٣١٩/١ ، وانظر الأحكام للآمدي ٢٢٥/١ وانظر المنخول : محمد بن محمد بن محمد الغزالى أبو حامد ، تحقيق : د . محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ص٢٢٤ ، ومقصود القاضي أبي بكر فيما ظهر لي والله اعلم أن عصمة الأنبياء بعد النبوة فيما وراء التبليغ عنده ليست ممتنعة عقلاً بمعنى اجتماع الضدين أو الوجود في مكانين في آن واحد لا التناقض العقلي مثل أن ينهى شخص عن خلق ذميم ويأتيه والله اعلم ' فإن ذلك وإن كان غير مقبول عقلاً وإلا أنه ممكن أن يقع .

(٢) انظر رأي المعتزلة في المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ٣٠٠/١٥ وانظر أيضاً الإحكام للآمدي ٢٢٤/١ وما بعدها ، والمحصول ٣٣٩/٣ وما بعدها ، والبرهان في أصول الفقه ٣١٩/١ وما بعدها ، والمنخول ص٢٢٣ وما بعدها وكتاب التقرير والتحبير كتاب التقرير والتحبير ، محمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن سليمان بن عمر ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ٢٩٧/٢ وما بعدها

فمبني على فاسد أصولهم في التحسين والتقبيح(١) ووجوب رعاية الصلاح والأصلح . ثم لو قيل بذلك عقلاً لئلا يفضي إلى انحطاط رتبتهم والنفرة عنهم لوجب كون النبي أبداً مؤيداً منصوراً وأن يكون مناوئه مخذولاً محقوراً لئلا يلزم ما ذكروه وليس ذلك واجباً ، فإن اكتفي عن ذلك بظهور المعجز اكتفي في الموضعين .

وأما الكبيرة الواقعة على سبيل النسيان أو التأويل الخطأ فهو جائز خلافاً للروافض وأما غير الكبيرة فإن كان مما يلحق فاعله بالأراذل والسفل والحكم عليه بدناءة الهمة وسقوط المروءة كسرقة حبة أو كسرة ونحوه فالحكم فيه حكم الكبيرة وأما مالا يكون كذلك كنظرة أو كلمة نادرة في خصومة ونحو ذلك فقد اتفق أكثر أصحابنا وأكثر المعتزلة على جوازه عمداً وسهواً خلافاً للشيعة وذهب الجبائي إلى أن ذلك لا يجوز منهم إلا بطريق السهو والخطأ في التأويل(٢)/ وذهب النظام(٣) ٣٢أ – ٣٢ب

---

(١) التحسين والتقبيح مرجعه عندهم إلى العقل والسبب أنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه وما يقبح من العباد يقبح منه وقالوا يجب عليه أن يفعل كذا ولا يجوز له أن يفعل كذا بمقتضي ذلك القياس الفاسد فإن السيد من بني آدم لو رأى عبيده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعد إما مستحسنا للقبيح وإما عاجزاً فكيف يصح قياس أفعاله سبحانه وتعالى على أفعال عباده)) شرح العقيدة الطحاوية ٧٩٢/٢ ، ولا شك أيضاً أن ذلك يؤدى إلى الأحكام المتضادة في الأمر الواحد كتحسين ذبح الحيوان واستقباحه عند طوائف الناس مثلا ، وكذلك المأكولات والمشروبات والملبوسات والعبادات والأخلاق والمعاملات فترجع إلى البيئة والإعتياد واختلاف المصالح والأهواء ولا يمكن ضبطها بالاستحسان والاستقباح العقليين بحال ، انظر غاية المرام ص٢٣٥ .

(٢) انظر المغني للقاضي عبد الجبار ٣٠٩/١٥

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار البصري النظام مولى أي الحارث بن عباد الضبعي وهو شيخ الجاحظ قيل أنه سقط من غرفة وهو سكران فمات وذلك في خلافة المعتصم أو الواثق =

وجعفر بن ميسر[١] إلى أن ذلك لا يجوز منهم إلا على طريق الغفلة والسهو[٢] غير أنهم يؤاخذون بذلك وإن لم تؤاخذ أممهم به لعلو مرتبتهم وقوة معرفتهم بالله تعالى .

هذا تمام ما أردناه في نقل المذاهب في هذه المسألة وبين كلام فخر الدين وما نقلناه آنفاً بعض الاختلاف في شيء ونحن نخوض في الاحتجاج على المقصود ونبين تفصيل ما نذكره عن الأنبياء من أشباه ذلك مما يحتاج إلى البيان إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر فخر الدين رحمه الله تعالى في الاحتجاج على عصمة الأنبياء خمسة عشر وجهاً[٣] نذكرها على وجه الاختصار ونبين ما فيها قدر الإمكان على ما يحتمله هذا المختصر .

((**الأول** : أنه يلزم من صدور المعصية من الرسول أحد أمور ممتنعة فيكون ذلك ممتنعاً أحدها : أن يكون أسوأ حالاً من عصاة الأمة لأن من عظمت عنده النعمة كان صدور الذنب عنه أفحش ولا نعمة أعظم من النبوة ولأن من عظم منصبه وقدره كان صدور الذنب عنه أشد عقوبة قال الله تعالى : ﴿يا نساء النبي

=سنة يضع وعشرين ومائتين وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين . انظر سير أعلام النبلاء ٥٤١/١٠ ، والمنتظم حتى ٢٥٧ : ٦٤/١١ ، ٦٦ .

(١) هو : جعفر بن مبشر بن أحمد بن محمد الثقفي الفقيه البليغ أحد المعتزلة البغداديين وكان يوصف بالزهد والعفة له تصانيف منها : كتاب الأشربة ، وكتاب الاجتهاد ، وكتاب تنزيه الأنبياء وغيرها توفي سنة ٢٣٣هـ أو ٢٣٤ ، انظر : سير أعلام النبلاء ٥٤٩/١٠ ، والكامل ١٠٢/٦ ، والمنتظم ٢٠٦/١١ ، ٢١١

(٢) انظر في ما سبق الإحكام للآمدي ٢٢٥/١

(٣) في كتاب عصمة الأنبياء وفي التفسير الكبير وفي الأربعين في أصول الدين .

من يأتي منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾[١] ولأن الرجم وجب على المحصن دون غيره .

٣٢ب – ٣٣أ

والثاني :/ عدم قبول الشهادة فكيف القول في الأديان وهو محال .

الثالث : يلزم الزجر وهو إيذاء والإيذاء محرم موجب للعن لقوله تعالى : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾[٢]

الرابع : إما أن نكون مأمورين بالإتباع فيها وهو محال لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾[٣] أو غير مأمورين وهو باطل لقوله تعالى : ﴿ فاتبعوني ﴾[٤] وقوله : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[٥]

الخامس : ولدخل تحت قوله : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾[٦]

السادس : وقوله : ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾[٧][٨]

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٠

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٧

(٣) سورة الأعراف آية : ٢٨

(٤) سورة آل عمران آية : ٣١

(٥) سورة الأحزاب آية : ٢١

(٦) سورة النساء آية : ١٤

(٧) سورة هود آية ١٨

(٨) في عصمة الأنبياء هذه الآية ضمن الحجة الخامسة مع الآية السابقة في الحجة الخامسة مع ملاحظة أن الحجج قبلها على ترتيب الفخر في عصمة الأنبياء ص٤٢ ، ٤٣ ، أما في تفسيره فالأربع على ترتيبه فيه أما الخامس والسادس هنا فكلاهما الوجه السادس في التفسير الكبير ==

السابع : وقوله : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾[(١)][(٢)] لاسيما قد فسر ابن عباس العهد بالإمامة[(٣)] ومعناه أنه لا يؤتم به

الثامن : ولدخل في قوله تعالى :﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾[(٤)] وتحت قوله : ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون ﴾[(٥)] ضرورة أمرهم بكل طاعة ونهيهم عن كل معصية[(٦)][(٧)]

وأورد الآمدي على الملازمة الأولى : أنا لا نسلم ملازمة العقوبة سمعاً على تقدير صدور الذنب فإن الأدلة الدالة على عقوبة المذنب إما مطلقة فيمن يعاقب عليه أو فيما يعاقب عليه والمطلق لا عموم له ومثل بقوله تعالى / :﴿ ومن ٣٣أ – ٣٣ب

=للفخر الرازي ٨٠٧/٣ وفُسر العهد بالنبوة ، أنظر : ابن جرير ٥٣٠/١ فمعنى ذلك لا ينال النبوة أهل الظلم والشرك .

(١) سورة البقرة آية : ١٢٤

(٢) هذه الحجة في عصمة الأنبياء هي الرابعة عشر ص٤٦ أما في تفسير الفخر فهو الوجه السادس عشر ١٠/٣

(٣) زاد المسير ١٤٠/١ ، وانظر تفسير الطبري ٥٣٠/١

(٤) سورة البقرة آية ٤٤

(٥) سورة الصف آية ٢ .

(٦) انظر : عصمة الأنبياء للفخر الرازي ص٤١ – ٤٣ ، ٤٦ وانظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي ٧/٣ – ١٠ ، انظر : الأربعين في أصول الدين لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ص١١٩ – ١٢٠ .

(٧) الوجه الثامن هنا هي الحجة السادسة في عصمة الأنبياء ص٤٣ وهو الوجه السابع في تفسير الفخر : التفسير الكبير .

يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾[١] وبقوله تعالى :﴿ ومن أساء فعليها ﴾[٢] وبقوله :﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ﴾[٣] وقال : لا نسلم العموم في الإساءة ويمكن دعوى العموم في قوله :﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا ﴾[٤] وتحصيل الدلالة وإن لم تكن في لفظ الإساءة عموم وذلك لأن قوله تعالى :﴿ بما عملوا ﴾ للعموم فإن من صيغ العموم على ما تقرر في أصول الفقه فمن أساء إساءة ما جوزي بكل ما عمل فدخلت فيه تلك الإساءة فيلزم المجازاة بها ويحصل به الغرض .

وأورد[٥] على الملازمة الثالثة أن الإنكار عليه بتقدير صدور المعصية إما أن يكون مشروعاً أو غير مشروع فإن كان مشروعاً لم يلزم اللعن إذ اللعن مشروع ممتنع بالإجماع وإن كان الثاني امتنع لزوم إيذاء النبي وإذا ذكرت الملازمة على الوجه الذي ذكر فخر الدين لا يرد هذا السؤال وذلك أن نقول : لو صدرت المعصية من الرسول لكان إيذاؤه مشروعاً بالأدلة الدالة على عموم إيذاء العاصي ولو بالإنكار لكن إيذاؤه غير مشروع بالدليل الدال على لعن المؤذي له .

ويمكن أن نذكر سؤالان[٦] على هذا الوجه أحدهما :

(١) سورة الزلزلة آية ٨

(٢) سورة فصلت آية ٤٦ .

(٣) سورة النجم آية ٣١

(٤) سورة النجم آية ٣١ .

(٥) أي الآمدي

(٦) الأصوب سؤالين فاللفظ مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى

لم لا يجوز أن يكون اللعن مشروطاً / بإيذاء الله ورسوله وسنده أن الإيذاء على ٣٣ب – ٣٤أ
الوجه المشروع من الإنكار ليس إيذاء للمجموع .
والسؤال الثاني : أن الإيذاء مطلق يصدق بواحد .
وأورد[١] على الملازمة الرابعة : أن الأمر بالإتباع عام وقوله :﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾[٢] خاص والخاص مقدم على العام فلا نكون مأمورين بإتباعه في المعصية وهذا لا يرد على الملازمة لأن وجهها أن نقول أن الله تعالى أمر بإتباعه في كل شيء بالأدلة الدالة على وجوب الإتباع والتأسي وقد سلم المعترض عمومها وأخبر أنه لا يأمر بالفحشاء فدل على أنه ليس في أفعاله شيء من ذلك إجراء للفظين على عمومها واحتراز عن التخصيص الذي هو خلاف الأصل[٣] .
الوجه الثاني من الدليل قوله تعالى :﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ﴾[٤] وهو عام في جميع أنواع الخيرات وكذلك قولهم :﴿ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾[٥] والدليل على العموم في الأفعال والتروك صحة الاستثناء وكذلك آيات الاصطفاء فإن قيل الاصطفاء لا يمنع فعل الذنب بدليل قوله تعالى :

---

(١) أي الآمدي
(٢) سورة الأعراف آية ٢٨
(٣) كلام الآمدي هكذا : لم أجده فيما تيسر لي من مراجع .
(٤) سورة الأنبياء آية ٩٠ .
(٥) سورة ص آية ٤٧

﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ﴾[١] قلنا : قال فخر الدين : الضمير في قوله ((فمنهم)) عائد إلى العباد لا إلى / المصطفين[٢] ٣٤أ-٣٤ب ويمكن عوده إلى المصطفين ولا يلزم إشكال إذ يمكن أن يقال : الاصطفاء هنا ليس عاماً ولا مطلقاً بل هو مقيد بهذا الاصطفاء الخاص وهو وراثة الكتاب فمن أُورث الكتاب مَن ظلم نفسه فهو مصطفى من جهة إيراثه الكتاب ظالم لنفسه بمخالفته .

الثالث : إقرار إبليس أنه لا يغوى المخلصين مع قوله تعالى في حق يوسف : ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾[٣] [٤] وكذلك في حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب لا يقال هذا قول إبليس لأنا نقول قد قرر الله تعالى ذلك بقوله :﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾[٥]

الرابع : لو صدرت المعصية من الأنبياء لكان غيرهم أفضل منهم لأن المعصية تبعية لإبليس ، وقد قال تعالى : ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴾[٦] فاستثنى فريقاً عن اتباع إبليس ولا جائز أن يكون غير الأنبياء وإلا

---

(١) سورة فاطر آية ٣٢ .

(٢) انظر: عصمة الأنبياء ص٤٤ ، الحجة الثامنة ، وانظر أيضاً الأربعين للفخر الرازي ١٢٠/٢ في الحجة الثامنة ، وفي تفسير الفخر الوجه التاسع ٩/٣ .

(٣) سورة سويف آية ٢٤

(٤) انظر عصمة الأنبياء ص٤٥ الحجة التاسعة ، وكذلك، انظر الأربعين ١٢٠/٢ – ١٢١ الحجة التاسعة ، وانظر أيضاً التفسير الكبير ٩/٣ الحجة العاشرة

(٥) سورة الحجر آية ٤٢ ، وسورة الإسراء آية ٦٥ .

(٦) سورة سبأ آية ٢٠

لكانوا أفضل من الأنبياء لقول الله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[١] [٢]

ولأن المكلفين قسمان : حزب الله وحزب الشيطان كما هو في القرآن . والعاصي يصدق عليه أنه من حزب الشيطان وهو خاسر وغيره من حزب المفلحين فلا يكون النبي عاصياً وإلا لكان غيره أفضل منه لكونه من حزب الله / تعالى وهو باطل[٣] ولأن الملائكة معصومون على ما قررناه فلو لم يكن الأنبياء معصومين لكان الملائكة أفضل منهم[٤] وسيأتي بيان تفضيل الأنبياء على الملائكة .

٣٤ب - ٣٥أ

واحتج فخر الدين أيضاً بقصة خزيمة وشهادته على وقوع ما أخبر به النبي ﷺ وإجازة النبي ﷺ شهادته[٥][٦] والقصة واقعة عين وأيضاً هو مبني على ثبوت العصمة فيما يجري مجرى الفتوى وفيما تقدم من الأدلة مقنع .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) انظر: عصمة الأنبياء ص٤٥ الحجة العاشرة ، والأربعين ١٢١/٢ الحجة العاشرة ، والتفسير الكبير ٩/٣ الوجه الحادي عشر .

(٣) انظر: عصمة الأنبياء ص٤٥ - ٤٦ الحجة الحادية عشرة ، وانظر : الأربعين ١٢١/٢ الحجة الحادية عشرة ، والتفسير الكبير ٩/٣ - ١٠ الوجه الثاني عشر ، والأربعين ١٢١/٢ الحجة الثامنة عشرة

(٤) انظر عصمة الأنبياء ص٤٦ الحجة الثانية عشرة ، والتفسير الكبير الوجه الثالث عشر

(٥) وجعل ﷺ شهادة رجلين عندما أنكر الإعرابي بيعه فرساً على رسول الله ﷺ وطالبه بشاهد ولا شاهد عندهم فشهد خزيمة ﷺ وعندها سأله رسول الله ((بم تشهد)) فقال : ((بتصديقك))

انظر سنن النسائي في المجتبى ٣٠١/٧ ، ٨١ باب التسهيل في ترك الاستشهاد على البيع رقم ٤٦٤٧ ، وسنن البيهقي الكبرى ١٤٥/١٠ ٨٢ كتاب الشهادات ١ باب الأمر بالإشهاد ، حديث رقم ٢٠٢٨٧ ، ٢٠٣٠٢ ، والمستدرك ٢١/٢ رقم ٢١٨٧ وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ورجاله باتفاق الشيخين ثقات ولم يخرجاه ، وسنن أبي داود ٣٠٨/٣ رقم ٣٦٠٧ باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد ، ومسند الإمام أحمد ٢١٥/٥ رقم ٢١٩٣٣

(٦) انظر عصمة الأنبياء للفخر الرازي ص : ٤٧ الحجة الخامسة عشرة ، وانظر أيضاً الأربعين للفخر الرازي ١٢٢/٢ الحجة الخامسة عشرة

وهذه الأدلة واضحة في العصمة عن الكبائر ودالة على العصمة عن الصغائر قصداً أيضاً على الوجه الذي ذكره ابن الخطيب ومن تبعه وقد ذكر الإجماع على عصمتهم عن الكبائر جماعة من العلماء منهم القاضي عياض[١] والآمدي[٢] رحمهما الله تعالى وكذلك نقل القاضي عياض : ((إجماع السلف على عصمة نبينا محمد ﷺ من وقوع خبره على خلاف مخبره سواء كان مما طريقه البلاغ أو الفتوى أو أمور الدنيا لا سهواً ولا غلطاً ولا في حال من الأحوال))[٣] ونقل تجويز الصغائر عن جماعة من السلف وعن أبي جعفر الطبري وجماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وجعل المختار عصمتهم عن الصغائر[٤]

لاسيما ونحن نقول : كل ذنب كبيرة ، كما قيل : لا تنظر إلى صفر الذنب / ٣٥أ – ٣٥ب ولكن انظر من عصيت .

قال أكثر أصحابنا كل ذنب كبيرة[٥] وممن صرح بذلك القاضي أبو بكر[٦] وإمام الحرمين[٧]

قال القاضي عبد الوهاب المالكي[٨] : لا يمكن أن يقال في معصية الله

---

(١) الشفا ٢/٩٠

(٢) انظر الأحكام للآمدي ١/٢٢٤

(٣) انظر الشفا ٢/٧٨

(٤) الشفا ٢/٩٠

(٥) انظر في ذلك : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/٩٠

(٦) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع .

(٧) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين عبد الملك الجويني ، تحقيق : د محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد ، الناشر مكتبة الخانجي مصر ، ط : مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٩ ١٩٥٠م ص٣٩١

(٨) هو : القاضي عبد الوهاب بن على بن نصر بن أحمد بن حسين بن هارون بن مالك بن طوق الثعلبي العراقي الفقيه المالكي أبو أحمد ، ولد يوم الخميس السابع عشرة من شوال سنة=

صغيرة إلا على معنى أنها تغفر باجتناب الكبائر)) [١]

ونقل القاضي عياض عن بعض أئمتهم أنه على القولين تجب العصمة من تكرار الصغائر لإلتحاقها حينئذ بالكبائر .

ونقل الإجماع على العصمة عن الصغيرة المقتضية للخسة وسقوط المروءة والحشمة[٢]

قال : بل المباح إذا أدى إلى ذلك كان معصوماً منه[٣] ونقل عن بعضهم أنه أوجب العصمة عن قصد المكروه قال : ((وقد أجمع من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا محمد ﷺ على أنه لا يقر على منكر قولي ولا فعلي ومتى أقدم على شيء دل على جوازه وكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه[٤]

فرع ذكره إمام الحرمين وغيره : إن قيل هل يجوز أن يخلع الله تعالى نبياً من النبوة قلنا : هذا لا يمتنع عقلاً فإن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد كيف وقد قدمنا أن النبوة لا تستحق على الله لا لخصوصية من ينبئه الله

=اثنتين وستين وثلثمائة ببغداد ، وتوفي ليلة الاثنين الرابعة عشرة من صفر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وله ستون سنة والله اعلم .

انظر : سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٧ ، وشذرات الذهب ٢٢٣/٢ ، ووفيات الأعيان ٢١٩/٣ العبر في خبر من غبر (١) ١٥١/٣

(١) الشفا ٩١/٢

(٢) الشفا ٩١/٢

(٣) انظر الشفا ٩١/٢

(٤) انظر الشفا ٩١/٢ — ٩٢ .

٣٥ب-٣٦أ

تعالى ولا من جهة الخلق ، قال إمام الحرمين / فإن قيل لو خلع كيف كانت تكون أحوال تلك المعجزات ؟ قلنا : كانت تسترد إذاً وتحال وتزال قال : ولا معول على ما نقله بعض الضعفة من أن بلعام بن ماعورا[1] كان نبياً فخلعه الله تعالى فإن ذلك ضعيف يرده معظم الثقات من الرواة[2]

خاتمة وتتميم في إيضاح القضايا التي أشكلت على كثير من العقلاء حتى جوزوا على الأنبياء مالا يجوز عليهم فمنها ما يتعلق بالاعتقاد ومنها ما يتعلق بالأقوال والأفعال الخارجة عن ذلك مما يُظن أنه من الذنوب وهو غير قادح في العصمة:

فأما ما يتعلق بالاعتقاد فقد اعترض فيه بقصة إبراهيم في قوله : ﴿ رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾[3] قالوا فإما أن يكون مطمئناً بأن الله يحي الموتى أو لا يكون فإن كان مطمئناً فطلب ذلك تحصيل لحاصل وهو غير جائز وإن لم يكن مطمئناً فكيف ذلك ؟ والجواب من وجوه :

---

(١) قيل أنه من بني إسرائيل وقيل أنه من الجبارين الذين حاربهم موسى عليه السلام وأنه كان مجاب الدعوة فلما أقبل موسى على قومه قال قوم بلعام ادع الله على موسى ورفض لكن قومه ألحوا عليه حتى أجابهم فتبين لموسى وقومه ودعا فقيل أنه دعا على موسى عليه السلام وقومه فاستجيب دعاء بلعام في قومه هو وقيل صرف لسانه من الدعاء على موسى عليه السلام وقومه إلى أن يدعو على قومه هو ثم بدأ بعد ذلك يكيد لموسى عليه السلام ، وقيل أنه الذي نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها . . . الآية ﴾

انظر في ذلك وفي نبوته : ، تفسير ابن كثير ٢/٢٦٥ ، زاد المسير ٣/٢٨٦ ، وفتح الباري ١٠/١٨٣ ومجمع الزوائد ٧/٢٥

(٢) انظر فتح الباري ١٠/١٨٣ وزاد الميسر ٧/٢٥

(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٠

أحدها : أن إبراهيم طلب ذلك من جبريل استدلالاً ليعلم صدقه في رسالته كما يطلب المعجز من الأنبياء فرقاً بين ما يأتي به الملك وبين ما يأتي به الشيطان

الثاني : ما روي عن جعفر الصادق[1] ﷺ أنه كان قد أوحي إليه أني متخذ خليلاً وآيته أن أحيي الموتى على يديه فأراد أن يكون هو ذلك الخليل ولذلك قال : ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾

الثالث : أنه أحب أن يعلم هل يستجيب الله دعاءه ويجيبه إلى طلبته ولذلك قال الله تعالى : ﴿ أولم تؤمن ﴾ يعنى بمنزلتك عندي وخلتك فأجاب : ((بلى ولكن ليطمئن قلبي)) يعني بهذه المترلة[2]

---

(١) هو : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب شيخ بني هاشم أحد الأعلام وأمه : أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

وأمها : أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ولهذا كان يقول : ولدني أبو بكر مرتين ولد رحمه الله تعالى سنة ثمانين للهجرة ، وقيل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة ثلاثة وثمانين للهجرة ، وكان يغضب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر الصديق ظاهراً أو باطناً ، هذا لا ريب فيه ولكن الرافضة قوم جهلة قد هوى بهم الهوى في الهاوية فبعداً لهم ، مات في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة بالمدينة النبوية عن ثمان وستين سنة ودفن بالبقيع .

انظر : سير أعلام النبلاء ٢٥٥/٦ ، ووفيات الأعيان ٣٢٧/١ والمنتظم ١١٠/٨ وصفوة الصفوة ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، تحقيق : محمود فاخوري و . د . محمد رواس قلعة جي ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ١٦٨/٢

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٤٨/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٠٠/٣

والسؤال عن كيفية الأحياء لا عن القدرة عليه أو الإمكان ، انظر تفسير زاد المسير ٣١٣/١ ، وانظر كلام المؤلف اللاحق في الجواب السادس

الرابع : أنه لما كان قد احتج على نمرود[١] بأن ربه الذي يحي يميت وعجز نمرود عن الإتيان بما اقترحه عليه أحب أن يرى نمرود أن ربه هو الذي يحيي ويميت ويريه إحياء الموتى .

الخامس : أن المراد بذلك أن يرى قومه الآية ويطمئن قلبه بإيمانهم[٢]

السادس : أنه كان حصل له العلم بأن الله يحي ويميت ولكن طلب العلم بكيفية ذلك لا بوقوعه ولهذا قال : ﴿ أرني كيف تحي الموتى ﴾[٣] .

السابع : أنه أراد قوة اليقين بكثرة الأدلة .

الثامن : أنه أراد الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالعيان

التاسع : أنه طلب ذلك محبة للمراجعة في السؤال والجواب ليزداد قرباً ويطمئن قلبه بتلك المراجعة والإجابة .

العاشر :/ أنه تأدب في العبادة وإنما طلب أن الله تعالى يقدره على إحياء الموتى وأضاف الإحياء إلى الله تعالى تأدبا في عبادته والله تعالى عالم بمراده[٤] .

٣٦ب -٣٧أ

ومنهم من أجاب عن ذلك بأنه كان قبل النبوة .

---

(١) هو : النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وقيل هو : نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ملك بابل والله اعلم ، انظر البداية والنهاية ١/١٤٨

(٢) انظر فتح الباري ٦/٤١٢

(٣) أي أن السؤال عن كيفية الإحياء لا عن إمكانيته أو القدرة عليه ، وانظر زاد المسير ١/٣١٣

(٤) ذكر بعض هذه الأوجه وغيرها الفخر الرازي في تفسيره ٧/٣٤ وعصمة الأنبياء ص٧٥ وأيضاً ذكر بعضها الطبري في تفسيره ٣/٤٧ ، وبعضها في معالم التنزيل (تفسير البغوي) الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، تحقيق : خالد العك ، مروان سوار ، دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م ١/٢٤٧ وبعضها في زاد المسير ١/٣١٣

وحاول الأمدي إبطال هذه الأجوبة ولم يأتِ بطائل[١] .

ثم أنه روي عن أئمة التفسير أن سبب سؤال إبراهيم لذلك أنه مّر بحوت ميت نصفه في البر ونصفه في البحر ودواب البر والبحر تأكل منه فأخطر الشيطان بقلبه استبعاد رجوع ذلك فسأل هذا السؤال[٢] وهذا النقل لا يصح ولا يروى من جهة مقبولة وكيف ينسب ذلك إلى إبراهيم خليل الله ﷺ أو يظن به ذلك معاذ الله وقد قال النبي ﷺ ((نحن أحق بالشك من إبراهيم))[٣] وإنما قال ذلك استبعاداً لوقوع الشك من إبراهيم ونفيا له ومعناه : نحن موقنون بالبعث وإحياء الموتى فلو شك إبراهيم لكنا أولى بالشك منه على سبيل الأدب مع أنا لم نشك فلم يشك إبراهيم وهذا القول قاله النبي ﷺ بعد نبوته ولا يمكن دعوى أنه كان قبل النبوة ومن المحال وقوع الشك من النبي ﷺ بعد النبوة فإنا لا نعلم من / المسلمين من قال بذلك ولا يسع مسلماً أن يقول به فتعين حملة على نفي الشك عن إبراهيم ولا التفات إلى ما قاله الآمدي[٤] ومن جرى مجراه ٣٧أ – ٣٧ب

ومما اعترض به : قول الله تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ﴾[٥] وقوله في القصة : ﴿ لئن لم يهدني ربي لأكونن من

---

(١) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع والله أعلم .

(٢) انظر مثلاً تفسير الطبري ٤٨/٣

(٣) رواه البخاري ١٢٣٣/٣ رقم ٣١٩٢ ، ١٣ باب قوله عز وجل ونبئهم عن ضيف إبراهيم قوله ولكن ليطمئن قلبي ، ومسلم : ١٣٣/١ رقم ١٥١ كتاب الإيمان ٦٩ باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة

(٤) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع والله أعلم .

(٥) سورة الأنعام آية : ٧٦

﴿القوم الضالين﴾[١] والجواب عنه قد تقدم[٢] ونزيد هاهنا إيضاحاً : وهو أن إبراهيم إنما قال ذلك مستفهماً استفهام إنكار وحذف حرف الاستفهام كثير ومنه قول الشاعر[٣]

فو الله ما أدري وإن كنت دارياً   بسبع رمين الجمر أم بثمان[٤]

وقال الأخطل[٥] :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط   غلس الظلام من الرباب خيالا[٦]

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أبرزوها مثل العقيق تهادى   بين خمس كواعب أتراب

(١) سورة الأنعام آية : ٧٧

(٢) في ص ٩٤ من هذا البحث

(٣) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الشاعر المشهور ولد في ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة غزا البحر فأحرق العدو سفينته فاحترق في حدود سنة ثلاث وتسعين للهجرة . انظر : سير أعلام النبلاء ٣٧٩/٤ والمنتظم ٣١٣/٦ ووفيات الأعيان ٤٣٦/٣

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة شرحه وقدم له عبد أ . علي مهنا ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص٣٨٠ .

(٥) هو : غياث بن غوث بن الصلت بن طارفة بن عمرو التغلبي النصراني من فدوكس ، مات قبل الفرزدق بست سنوات أي سنة أربع ومائة للهجرة والله اعلم .

انظر : سير أعلم النبلاء ٥٨٩/٤ ـ ٥٩٠ ، وخزانة البغدادي ٢١٩/١ ، والشعر والشعراء : عبدالله بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف القاهرة ، ٨٦-١٣٨٧هـ - ٦٦-١٩٦٧م ص ٣٩٣ ، وتاريخ دمشق ، ٧٣/١٤

(٦) شعر الأخطل ، غيات بن غوث التغلبي ، صنعه السكري ، روايته عن محمد بن حبيب ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ١٠٥/١ .

ثم قالوا : أتحبها قلت بهراً عدد الرمل والحصى والتراب[١]

ومثل هذا في الكلام كثير ويحتمل فيه وجهاً آخر خلا الوجوه المتقدمة /[٢] ٣٧ب -٣٨أ
وهو أن إبراهيم ﷺ في أول أمره وزمن صغره كان عالماً بصفات ربه ووحدانيته وما يجب له ويجب نفيه عنه سوى عدم جواز الرؤية في الدنيا فإنه لم يكن قد ورد عليه ما يدل على امتناع الرؤية في الدنيا وعدم علمه بذلك لا يقدح في شيء من أمره فإن موسى عليه السلام طلب الرؤية بعد النبوة ولم يرها من الأمور التي لا يجوز طلبها وكان إبراهيم ﷺ يرجو أن يحصل ذلك له فلما رأى القمر وبزغت أنواره ربما وقع في قلبه في سن الطفولية أن هذه الأنوار والمقدمات مقدمات الرؤية وحصول التجلي فقال هذا ربي كما يقول المتوقع للشيء إذا رأى علامات حصوله هذا الشيء الفلاني فإن الواحد منا إذا كان ينتظر ملكاً أو كبيراً ورأى جلبة وغباراً وخدماً كثيراً يقول : هذا الملك قد أقبل فإذا تأمل الجميع ولم ير فيهم من يحسن أن يكون ملكاً تبين له الأمر فلما رأى إبراهيم أنوار القمر وإضاءة الجو ، وكذلك الشمس ولم يكن رأى ذلك

---

(١) شرح ديوان عمرو بن أبي ربيعة ، شرحه وقدم له : عبد أ . علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص٦٤ .

(٢) قد أورد الطبري هذا المعنى وأيضاً أورد معنا آخر وهو أنه ((إذا كان الكوكب والقمر والشمس أضوأ وأحسن وأبهج من الأصنام ولم تكن مع ذلك معبودة ـ أي عندهم ـ وكانت آفلة دائماً فالأصنام التي دونها في الحسن وأصغر منها في الجسم أحق أن لا تكون معبودة ولا آلهة قالوا : وإنما قال ذلك لهم معارضة كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارض له في قول باطل قال به بباطل من القول على وجه مطالبته إياه بالفرق بين القولين الفاسدين عنده اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدعى فساد الآخر)) تفسير ابن جرير الطبري ٢٥٠/٧

وانظر زاد المسير ٧٤/٣ ، وتفسير ابن كثير ١٥٢/٢ .

على الوجه قال هذا ربي فلما وضح له أن الذي أشرق نوره وظهر إنما هو شيء محصور محاط به متغير لا يصلح أن يكون إلهاً ولا هو متصف بصفات الإلهية المتقررة عنده / رجع عن ذلك وتبين له أن الأمر لم يكن على ما ظنه وعلى هذا يحمل قوله : ﴿ لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾[١] يعني أنني ربما طلبت رؤية ربي ولم يكن لي ذلك فسأل الهداية إلى ما يجوز له طلبه من ربه وليس في هذا إلا أنه لم يكن عالماً قبل هذه الواقعة بأنه لا ينبغي له طلب رؤية الله تعالى في الدنيا وليس في ذلك ما يقدح ولا ما يتعلق به الخصم لأن رؤية الله تعد جائزة عقلاً على ما تقرر في موضعه واقعة سمعاً في الآخرة للمؤمنين وفي الدنيا لنبينا ﷺ على قول من رأى ذلك[٢] وبهذا لا نحتاج أن نذكر الجواب عن القدح في الأجوبة الأولى بأن إضمار الاستفهام خلاف الأصل وإخراج الخبر عن مجراه خلاف الظاهر فإن قلت فكيف قال: ((فلما أفل)) ولم يرجع عنه إلى حالة أفوله ولو كان كما ذكرت لتبين له الأمر بمجرد رؤية الكوكب والقمر والشمس قلت :

٣٨أ-٣٨ب

ربما توقع أمراً آخر ورأى ما رآه من هذه الثلاثة لا تكون حاله كحال المرئي فلما أفل المرئي علم أن تلك الأنوار كانت تبعاً له خاصة لا لما يتوقعه والله اعلم[٣]

---

(١) سورة الأنعام آية : ٧٧

(٢) يعني بذلك مسألة الرؤية .

(٣) تفسير المؤلف لقول إبراهيم بأنه في حال الصغر لا يتفق ما سبق من أن الإجماع على أن الله لا يبعث رسولاً كان قد صدر منه كفر وإنما الصواب أن ذلك على وجه الإنكار منه أو المحاجة لقومه والمعارضة .

وانظر تفسير الطبري ٢٤٩/٧ ، وتفسير ابن كثير ١٥٢/٢ .

ومما يتعلق بالاعتقاد ما اعترض به في قصة آدم عليه السلام في قوله تعالى :

﴿ خلقكم من نفس واحدة وجعل منها / زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾[١] ٣٨ب -٣٩أ

وقضية اتساق الضمائر ورجوعها كلها إلى شيء واحد يقتضي أن يكون قوله : ((جعلا له شركاء فيما آتاهما)) راجعاً إلى آدم وحواء ويروى في هذه القصة حمل حواء وعروض إبليس لها ، وأنه قال لها لعل ما في بطنك بهيمة ، فلما أثقلت خافت ذلك فعرض لها إبليس وقال : إن دعوت الله تعالى أن يجعله بشراً سويا مثلك تسمينه باسمي ؟ فقالت : نعم وسمته عبد الحارث ولم ينكر عليها آدم .

وهذه قصة لا تصح[٢] وقد أجبت عن ذلك بوجوه :

أقواها : أن الضمير ليس راجعاً إلى آدم وحواء بل إلى من أشرك من ذريتهما ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ فإن الضمير فيه إلى من أشرك من الذرية ، والإلتفات في الضمائر من { افنان }[٣] الكلام ألا ترى إلى قوله تعالى :﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٩ ــ ١٩٠

(٢) يقول ابن حزم رحمه الله تعالى : ((نحن ننكر على من كفر المسلمين العصاة .. فكيف من كفر الأنبياء عليهم السلام وهذا الذي نسبوه إلى آدم عليه السلام من أنه سمى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة من تأليف من لا دين له ولا حياء لم يصح سندها قط وإنما نزلت في المشركين على ظاهرها)) الفصل في الملل ٤/٤

(٣) ما بين المعقوفتين ليست واضحة ويمكن أن نكون أفانين والله اعلم

وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾[١] فالضمير الأول للمخاطب ثم نسق عليه ضمير الغائبين ثم أعاد الضمير إلى / الرسول وحده ثم قال : ﴿ وتسبحوه ﴾ فأعاد الضمير إلى الله تعالى وحده وهذا كثير تعرفه أهل البلاغة والفصاحة وعلماء البيان .

٣٩أ-٣٩ب

وذكر فخر الدين في الآية جواباً آخر وهو أن الضمير لا يرجع إلى آدم وحواء في هذه الآية بل الكلام سيق لخطاب قريش ؛ والنفس الواحدة قصي[٢] أبوهم وجعل زوجها عربية مثله ليسكن إليها فلما آتاها الله تعالى الولد سموه بأسماء آلهتهم فسموا الأربعة عبد العزى وعبد مناف وعبد الدار وعبد قصي ؛ وعلى هذا فقد خرجت الآية عن أن يكون فيها ذكر لآدم وحواء[٣] وبطل الاحتجاج بها من أصله .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾[٤] على قراءة التخفيف[٥] فاعلم أن هذه الآية لا متعلق بها لمن يدعي غير ما قلناه لأن

---

(١) سورة الفتح آية : ٨ ـــ ٩

(٢) هو : قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وينتهي بإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وهو الذي ملك مكة بعدما أخرج خزاعة وبني بكر من مكة وقريش ذريته وهو الذي اتخذ دار الندوة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضي أمورها .

انظر : تاريخ الطبري ٥٠٧/١ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥٥/١ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٧١/١٥

(٤) سورة يوسف آية ١١٠

(٥) انظر : تفسير الطبري ٨٧/١٣ والحجة في القراءات السبع ص١٩٩ .

قوله :﴿ استيأس الرسل ﴾ يعني من إيمان من طَلَبُوا الإيمان منه أو من تبعية من طلبوا تبعيته أو ظنوا فيهم النصر لهم .

﴿ وظنوا أنهم قد كُذبوا ﴾ أي قد كذبهم من وعدهم أنه من أنصارهم[١] وهذا قول كثير من المفسرين .

وقالت عائشة رضي الله عنها : (معاذ الله أن يظن الرسل ذلك بربها)[٢] .

وفيه وجه آخر وهو أن يكون المعنى : وظن قومُ الرسل أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا / به من نصر الله تعالى إياهم فيكون هذا الظن من الأمم أتباع الرسل[٣] . ٤٠ب - ٤١أ

وهاهنا وجه آخر وهو أقوى من هذا يروى عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير[٤]

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٣/٨٣

(٢) انظر: صحيح البخاري ٤/١٧٣١ ، ١٨٤ باب قوله : حتى إذا استيأس الرسل رقم ٤٤١٨

(٣) انظر تفسير الطبري ١٣/٨٢

(٤) هو: سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي بالولاء فهو مولى واليه بن الحرث من بني أسد ، المقرئ المفسر ، من سادة التابعين علماً وفضلاً وصدقاً وعبادةً .

قتله الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة وقيل سنة ثنتين وتسعين للهجرة وهو ابن سبع وخمسين وقيل تسع وأربعين ويعتقد أن ولادته في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ .

انظر: السير ٤/٣٢١ ، وشذرات الذهب ١/١٠٨ وطبقات الحفاظ ١/٣٨ وطبقات الفقهاء ١/٨٢ ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح بن مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، ١/٦٨ ، وانظر قوله في تفسير الطبري ١٣/٨٤ .

ومجاهد[1] وابن زيد[2] والضحاك[3] وعامة المفسرين وهو : أن الضمير راجع إلى المرسل إليهم وظنهم الكذب في الرسل فإن الرسل وعدوهم أنهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب وحصل في ذلك إمهال وتراخ وهم على غيهم وعنادهم فظنوا أن ما قاله الرسل كذباً فعند ذلك حقق الله تعالى وعد الرسل وبين كذب من ظن أنهم كذبوا وهذا وجه حسن .

وقد روى ابن عباس ﷺ أن الظن كان من الرسل[4] قال ابن الأنباري[5]: وهذا لا يصح عن ابن عباس بل هو متأول عليه ، قال : ويدل عليه قوله تعالى

---

(١) هو: الإمام أبو الحجاج مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب المخزومي وقيل مولى غيره مات بمكة وهو ساجد وله نيف وثمانون سنة وذلك سنة ثلاث ومائة للهجرة وقيل سنة اثنتين وقيل أربع .

انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤ ، وشذرات الذهب ١٢٥/١ ، والعبر١ /١٢٥ ، والمنتظم ٩٤/٧ ، ومعرفة القراء ٨٥/١ ، وانظر قوله في تفسير الطبري ٨٤/١٣ .

(٢) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي العمري مولاهم المدني ، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة بالمدينة .

انظر: سير أعلام النبلاء ٣٠٩/٨ وميزان الاعتدال ٥٦٥/٢ والطبقات الكبرى ٤١٣/٥ وشذرات الذهب ٢٩٧/١ والعبر ٢٨٢/١ ، وقوله في تفسير الطبري ٨٥/١٣ .

(٣) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير ولد ببلخ ومات سنة اثنتين ومائة وقيل سنة خمس ومائة وقيل سنة ست ومائة للهجرة .

انظر: الطبقات الكبرى ٣٠٠/٦ ، طبقات المفسرين ١٠/١ ، والسير ٥٩٨/٤ والعبر ١٢٤/١ . ومشاهير علماء الأمصار ، محمد حبان أحمد التيمي البستي ، تحقيق : فلايشهمر ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٥٩م ص١٩٤ ، وقوله في تفسير الطبري ٨٥/١٣ .

(٤) انظر المعنى تفسير الطبري ٨٣/١٣ .

(٥) هو: محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعه بن فروه بن دعامه الأنباري النحوي الحافظ المقرئ . ==

:﴿جاءهم نصرنا ﴾[1] معناه :أن الأمم استضعفوا الرسل وظنوا أن ما وعدوا به من نصرهم كذباً فانتصر الله تعالى لهم ولو كان هذا الظن من الرسل لما استحقوا عليه النصر فمناسبة نصر الرسل عقيب هذا الظن تدل على ذلك ومن ذلك قوله تعالى في خطاب نبيه ﷺ :﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾[2] / ٤١أ – ٤١ب فاعلم أن هذا وما جرى مجراه ليس الخطاب فيه في الحقيقة للنبي ﷺ بل هو خطاب للأمة . وفي هذه الآية خصوصية لأن في تتمة السورة قال :﴿ يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله ﴾[3] فهذا خطاب والمراد غيره ، والذي ينبغي أن لا يقع في القلب غيره ويؤيده قوله : ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ﴾[4] وهو المكذَّب فيكيف يكذب بما كُذِّبَ فيه وهو يدعي صدقه فيه ويقيم عليه الدلالة القاطعة هذا مما لا يظنه عاقل .

=ولد ليلة الأحد لأحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة أحدى وسبعين ومائتين ، وتوفي في بغداد ليلة عيد الأضحى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة للهجرة وقيل سبع وعشرين .

انظر: معرفة القراء الكبار ١/٢٨٠ وشذرات الذهب ١/٣٨٥ والسير ١٥/٢٧٤ ووفيات الأعيان ٣٤٢/٤ .

(١) سورة يوسف آية ١١٠ .

(٢) سورة يونس آية ٩٤

(٣) سورة يونس آية ١٠٤

(٤) سورة يونس آية ٩٥

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : ((ما أشك ولا أسأل)) قاله قتادة[١] .

وذُكر فيه وجوه أُخر :

أحدها : أن المخاطب الإنسان وقد جاء خطاب الإنسان في كثير من القرآن :﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾[٢] ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾[٣] فكأنه قال : فإن كنت يا إنسان في شك مما أنزلنا إليك يعني من القصص وأخبار الأمم الماضية ؛ ولا يكون ذلك راجعاً إلى التوحيد وما يجري مجراه وهذا ضعيف فإن النبي ﷺ لم يشك في شيء مما أنزل إليه لا في القصص ولا في غيرها .

والثاني : أن المراد فإن / كنت في شك من أنك أنت النبي المفضل الموعود به في كل الكتب المأمور بإتباعك على لسان كل الرسل فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك وعلى هذا يكون المراد بالذين يقرأون الكتاب الأنبياء وأمر بسؤالهم ليلة الإسراء لمّا رآهم وروي أنه قال عند ذلك : ((لا أسأل حسبي اكتفيت))[٤] ويكون ذلك في أول زمن النبوة تثبيتاً له ليحمل أعباءها ويلقى ما يترل به إليه الملك وهذا كان في أول الأمر يهاب الملك ورجع إلى خديجة

٤١ب- ٤٢أ

(١) تفسير الطبري ١١/١٦٨ ومصنف عبدالرازق : عبدالرازق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ، ٦/١٢٥ رقم ١٠٢١١

(٢) سورة الانشقاق آية ٦

(٣) سورة الانفطار آية ٦

(٤) تفسير القرطبي ١٦/٩٥ عند قوله تعالى :﴿ سل من أرسلنا من قبلك .. أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾

يرجف فؤاده وقال : ((زملوني)) [1] فأراد الله تعالى إعلامه أن ذلك حق من عنده وأنه نبيه الصادق خاتم النبيين الذي بشر به كل الرسل وأنزل ذكره في جميع الكتب المنزلة قبله ؛ فهذا إيضاح لكمال منزلته وعلي شأنه وعظيم برهانه وتنويه باسمه وذكره فيما حمله الطاعن وسيلة إلى مقصوده وعاد بحمد الله تعالى منقبة وفضيلة .

وفيه وجه آخر وهو : " أنَّ " للنفي والمعنى: وما كنت في شك مما أنزلنا إليك ثم أمره بسؤال الذين يقرأون الكتاب من قبله ليزداد يقيناً وطمأنينة وهو كاف في معرض الجواب وعلى واحد من هذه الوجوه نخرج كلما ورد في القرآن العظيم من أمره ﷺ بعدم الشك أو بالتقوى /أو ما جرى مجرى هذا الأمر أو النهي عن الامتراء فلا يقع في خاطرك غيره

٤٢أ-٤٢ب

ومن ذلك قصة يونس وما أخبر الله تعالى عنه من قوله :﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه ﴾[2] الذي يدخل منها في هذا الباب قوله : ﴿فظن أن لن نقدر عليه ﴾ فكيف يظن نبيٌّ ذلك مع علمه بقدرة الله تعالى ؟ والجواب عن ذلك من وجهين :

أحدهما : أن ذلك كان قبل النبوة ويدل عليه : أن الله تعالى قال في موضع آخر : ﴿ فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من يقطين * وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾[3]

---

(١) رواه البخاري ٤/١ رقم ٣ كتاب الوحي باب كيف كان ... ، ومسلم ١٣٩/١ ، ٧٣ باب بدء الوحي رقم ١٦٠ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٧

(٣) سورة الصافات آية ١٤٥ -١٤٧

قال ابن عباس : كان إرساله بعد إخراجه من بطن الحوت[١] .وفي هذا الجواب ضعف من جهة أن مغاضبة يونس لقومه قبل ابتلاع الحوت إياه إنما كان لكفرهم وامتناعهم من الإيمان به لما دعاهم إليه فكانت نبوته سابقة على مغاضبته .

والجواب الثاني : أنه : ((نقدر))ليس المراد به نفي القدرة وعلى هذا في معنى ((نقدر)) وجهان :

أحدهما : وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وجماعة من المفسرين ورواه العوفي[٢] عن ابن عباس : أن ((نقدر)) معناه نقضي يعني أنه ظن أن لن يقضي الله تعالى عليه عقوبة يقال : قدَّر الله تعالى الشيء بمعنى /قضاه فيكون قدر وقدر بمعنى واحد[٣] ؛ ٤٢ب-٤٣أ

(١) انظر: تفسير القرطبي ١١/٣٣٠ ، انظر تفسير الطبري ٢٣/١٠٥

(٢) هو: عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي أبو الحسن من جديلة قيس ولد في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ ، أمه أم ولد رومية ، توفي بالكوفة سنة ١١١هـ .
انظر: السير ٥/٣٢٥ والعبر ١/١٣٦ وطبقات المفسرين (٢) ١/١٣ والطبقات ٦/١٠٤ وطبقات المحدثين ١/٤٠ وشذرات الذهب ١/١٤٤ .

(٣) انظر: تفسير البغوي ٣/٢٦٦ ، انظر تفسير الطبري ١١/٧٨ – ٧٩ ، وتفسير ابن كثير ٣/١٩٣ .

وقد قرأ ابن كثير[١] : ﴿ نحن قَدَرْنا بينكم الموت ﴾[٢] بالتخفيف[٣] بمعنى : قدَّرنا .

وقرأ عمر بن عبد العزيز[٤] : ﴿ فظن أن لن نقدِّر عليه ﴾ بالتشديد[٥] فدل على أن المعنى نقضي عليه يعني بالعقوبة وذلك لحسن ظنه بربه .

والمعنى الثاني : أن يكون نقدر عليه من قدر إذا ضيق ؛ قال الله تعالى :﴿ فقدر عليه رزقه ﴾[٦] أي ضيقه فيكون المعنى هاهنا : فظن أن الله تعالى لا

---

(١) هو: عبدالله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز المناني فارسي الأصل ، مولى عمرو بن علقمة الكناني ، ولد بمكة سنة خمس وأربعين أو سنة ثمان وأربعين للهجرة وهو أحد القراء السبعة ويكنى أبو معبد وقيل أبو بكر وقيل أبو سعيد ، عاش خمس وسبعين سنة ، توفي سنة عشرين ومائة على الأرجح وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة .

انظر : كتاب السبعة في القراءات ، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي / تحقيق : د . شوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ص٦٤ . والسير ٣١٨/٥ وشذرات الذهب ١٥٧/١ ، ووفيات الأعيات ٤١/٣ والعبر(١) ١٥٢/١

(٢) سورة الواقعة آية ٦٠

(٣) تفسير البيضاوي ٢٩٠/٥ والقرطبي ٢١٦/١٧ وتفسير الثعالبي ٢٥٥/٤ وتفسير البغوي ٢٧٧/٤ وزاد المسير ١٤٦/٨ .

(٤) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص أحد خلفاء بني أُمية وهو أشج بني أمية أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولد سنة ثلاث وستين للهجرة تقريباً توفي بدير سمعان من أرض المعرة سنة واحد ومائة للهجرة وعمره أربعين سنة وخلافته سنتان وستة أشهر وأيام .

انظر : السير ١١٤/٥ .

(٥) تفسير البغوي ٢٦٦/٣

(٦) سورة الفجر آية ١٦

يضيق عليه الحبس أو بالعقوبة فحبسه الله تعالى في بطن الحوت حتى نبذ بالعراء وهو سقيم ولا ينبغي أن يعتقد فيمن اصطفاه الله تعالى بالنبوة أن يشك في قدرة الله تعالى طرفة عين[١] .

وقد قيل في الجواب عن ذلك وجه آخر وهو : أنه على حذف حرف الاستفهام يعني تقديره : أفظن أن لن نقدر عليه[٢] وقد تقدم الكلام في تقرير ذلك .

ومن ذلك ما روى عن النبي ﷺ أنه قال : ((ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة)) [٣] . فاعلم أن المائة مرة والسبعين مرة المذكورة في الحديث ليست تعديداً للغين وإنما هي تعديد للإستغفار وإن كان قد ورد في بعض الطرق ((أنه ليغان على قلبي في اليوم سبعين/مرة فاستغفر الله عزَّ وجلّ)) [٤] ٤٣أ-٤٣ب وتلك الرواية محمولة على هذه الرواية وهي الرواية المشهورة وأصل الغين في اللغة : السحاب الرقيق الذي يتغشى السماء ولا يغطي الضوء ولا يحجبه[٥]

وللناس في معنى هذا الحديث أقوال :

أحدها : أن هذا الغين فترات كانت تتغشى قلبه ﷺ لقيامه بأمور الدنيا والآخرة وحمله كلف الأمة ونهوضه بأعباء التكاليف ، وكانت حاله مع ربه

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٧٩/١٧

(٢) انظر: الشفا ٦٧/٢

(٣) رواه مسلم ٢٠٧٥/٤ حديث رقم ٢٧٠٢ ، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه ، ابن خزيمة ٧٠/٥ حديث رقم ١٢٨٧ ، لكن ليغان عند مسلم وابن خزيمة فيه : أنه

وأخرجه أبو داود برقم ١٥١٥ في كتاب الصلاة باب في الاستغفار ومسند أحمد ٢١١/٤ رقم ١٧٩٥٢/١٧٨٨١ .

(٤) لم أجد رواية سبعين مرة فيما تيسر لي من مراجع

(٥) انظر: لسان العرب ٣١٦/١٣ مادة غين

أشرف حال يترقى في درجات القرب إلى مالا يدرك بالوهم وتتجلى له حقائق المعارف[١] ؛ فإذا حصل هذا الغين بسبب الأمة ومعارضتهم ودعائهم إلى التوحيد والإيمان واهتمامه بمصالحهم واغتمامه لمخالفة من يخالف منهم وتحنيه عليهم ورأفته بهم ثم عاد إلى حالته مع الله تعالى استغفر لشغله عن هذا المقام العلي والتفاته إلى غيره ، واهتمامه بما سواه فهذا وجه استغفاره لا أن ذلك الغين ذنب ؛ ولا شك ولا ارتياب معاذ الله قدَّ برأ الله تعالى رسوله ﷺ من جميع ذلك وأعاذه منه وعصمه من وروده عليه .

ومنهم من قال : ذلك الغين عبارة عما كان / يتغشى قلبه من الأحزان والهم والغم على المخالفين ثم يتجلى عنه فيستغفر الله تعالى[٢] . ٤٣ب -٤٤أ

وقيل هي سكينة تتغشى قلبه ﷺ عندما يحصل له من مزاولة الأمة ومحاجة المخالفين وما كان يقع في حقه من الأذى فيترل الله سكينته على قلبه تتغشاه فتحجب عنه الخواطر المنافية لمقامه العلي وتعصمه فيحس بطمأنينتها فيستغفر الله تعالى تواضعاً وإجلالاً لنعمة الله تعالى التي أعطاها وشكراً لفضله ونعمته ، وإظهاراً للافتقار والعبودية[٣] فهذا أقوى ما اعترض به مما يتعلق بالاعتقاد .

---

(١) كل ما عند الرسول ﷺ من العلم الإلهي إنما هو بواسطة الوحي لا غير والله أعلم ومن عنده غير ذلك فعليه الدليل علماً بأن قوله تعالى : ((وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم)) سورة الشورى آية ٥١ ، تحصر وصول المعرفة الإلهية للبشر من الشرائع والمغيبات إلا من خلال الوحي المحصور في الثلاثة أنواع في الآية والله أعلم .

(٢) كل ما يصيبه ﷺ بسبب الدعوة فهو عبادة لله له أجرها وليس شرطاً في الاستغفار أن يكون عقب ذنب أو تقصير فدواعي الاستغفار متعددة منها محو الذنب ، ومنها طلب الرزق ، ومنها طلب الولد ، ومنها طلب المطر ، ومنها توقير الله عز وجل والله أعلم .

(٣) انظر: الشفا ٦٧/٢ ، انظر فتح الباري ١٠٢/١١

ووراء ذلك وجوه ضعيفة يظهر الجواب عنها بأدنى تأمل فلهذا أضربت عن ذكرها
وأما ما يتعلق بالتبليغ والخلف في الأخبار والخطأ في الفتوى فقد اعترض في ذلك بوجوه منها :
قصة نوح في قوله : ﴿ إن ابني من أهلي ﴾[١] وقال الله تعالى:﴿ إنه ليس من أهلك ﴾[٢]
وخبر الله تعالى لا خلف فيه فكيف يقول إن ابني من أهلي ؟
والجواب أنه اختلف في أن المذكور كان ابناً لنوح أم لا ، ولا تعويل على القول بأنه كان ولد خبيث إذ لم يبتل الله تعالى أنبياءه بذلك[٣]. روى عن ٤٤أ-٤٤ب الحسن أن الابن كان لغير رشده[٤] وكذلك / قال الشعبي[٥] واحتجا بقوله : ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا

---

(١) سورة هود آية ٤٥

(٢) سورة هود آية ٤٦

(٣) انظر تفسير الطبري ١٢/٤٩ و ٥١ وتفسير ابن كثير ٢/٤٤٩

(٤) انظر الطبري ١٢/٥٣ ، وانظر : زاد المسير لابن الجوزي ٤/١١٤ .

(٥) هو: عامر بن شراحيل – أو عمرو – بن عبد بن ذي كبار الشعبي – شعب همدان – الكوفي من حمير ويكنى أبو عمرو ، أمه من سبي جلولاء .
ولد بالكوفة لست سنين مضت من خلافة عمر وقيل من خلافة عثمان رضي الله عنهما – وقيل سنة إحدى وعشرين على المشهور وقيل عشرين للهجرة وقيل أحدى وعشرين ، وهو من كبار التابعين ، مات بالكوفة فجأة سنة ثلاث ومائة .
انظر السير ٤/٢٩٤ وطبقات الحفاظ ١/٤٠ وطبقات الفقهاء ١/٨٢ وحلية الأولياء ٤/٣١٠ ومشاهير علماء الأمصار ١/١٠١ والطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٢٤٦ .

صالحين فخانتاهما ﴾[١] وهذا القول مردود فإنهم يقولون : ما بغت امـــرأة نـــبي قط[٢] . قال ابن عباس ﷺ وهو ترجمان القرآن : كانت خيانة امرأة نـــوح أن تقول : زوجي مجنون ؛ وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه إذا نـــزل بـــه[٣] .
ويروى إنكار القول بأنه ليس ابنه على هذا الوجه عن ابن مسعود أيضاً .
وأما الأكثرون فقالوا : كان من أهله .
وهل كان ابنه لصلبه أم لا ؟ فيه قولان :

---

(١) سورة التحريم آية ١٠

(٢) تفسير الطبري ٥١/١٢ عن ابن عباس ، وتفسير ابن كثير ٤٤٩/٢ ، وقول ابن عباس رضي الله عنهما في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نـــبي مـــن الفاحشة ولهذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي ﷺ وأنكـــر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه ولهذا قـــال تعـــالى :﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ سورة التوبة آية ١١ ، وانظر تفســير ابـــن كـــثير ٤٤٩/٢ وعليه فإن قوله تعالى : ﴿ قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ﴾ يكون معناها والله أعلم : احمل من كل حي زوجين واحمل أهلك إلا من ســبق عليـــه القول من أهلك فإنه غير داخل في وعدي إياك بنجاته وهم زوجتك وابنك فإن عملهم أخرجهم من أهلك كما أخرج أبو لهب وأمثاله من أهل النبي ﷺ ، وهذا العمل الذي أخـــرجهم يماثلـــه العمل الذي عليه أمثال فرعون فأدخلهم في آله و لم يعرف لفرعون أقارب بل المقصود أنصـــاره وكان نوح عليه السلام يظن هذا الابن من المؤمنين فلم يعلم أنه ممن سبق عليه القول .
انظر: الطبري ٤٤/١٢ ، فتح القدير ٥٠٢/٢ ، والقرطبي ٣٨٢/١ .

(٣) تفسير الطبري ١٦٩/٢٨ — ١٧٠ وتفسير ابن كثير ٤٤٩/٢

أحدهما : يروى عن ابن عباس أنه كان ابنه لصلبه ولكن خالفه في النية والعمل ؛ وكذلك قال سعيد بن جبير وغيره من أئمة التفسير[١] .

وذهبت طائفة : إلى أنه ابن امرأته[٢] ؛ وروي عن علي ﷺ أنه قرأ :﴿ ونادى نوح ابنها ﴾[٣] وروى ذلك عن الحسن واحتج به عليه : بأنه لم يقل مني وإنما قال من أهلي[٤] قالوا وابن المرأة يسمى ابناً في لغة طي قاله الباقر[٥] .

وأما الرد عليه من الله تعالى بقوله :﴿ إنه ليس من أهلك ﴾[٦] فليس هو على طريق التكذيب له وإنما هو بيان أن المذكور لم يدخل تحت الوعد بالنجاة لأن الله تعالى وعده أن ينجيه هو وأهله / فقال ابني من أهلي وأن وعدك الحق فيهم قد سبق بالنجاة فبين الله تعالى له أنه ليس من الأهل الموعود بنجاته بل هو ممن سبق عليه القول ؛ ولا يقال : فقد قال الله تعالى : إنه عمل غير صالح يعني هذا

٤٤ب – ٤٥أ

(١) انظر: تفسير الطبري ٥١/١٢ ، وزاد المسير ١١٣/٤ وتفسير القرطبي ٤٦/٩

(٢) تفسير الطبري ٤٩/١٢

(٣) تفسير القرطبي ٤٧/٩

(٤) تفسير القرطبي ٤٦/٩

(٥) هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والباقر لقبه ، تابعي جليل تدعي الشيعة أنه أحد الأئمة الإثنى عشر ولم يكن على طريقهم ولا على منوالهم ولا يدين بما وقع في أذهانهم وأوهامهم وخيالهم بل كان ممن يقدم أبا بكر وعمر ويستغفر لهما .

ولد سنة ست وخمسن للهجرة ومات سنة أربعة عسرة ومائة للهجرة وقيل ثمان عشرة ومائة وقيل سبع عشرة ومائة والله أعلم .

عن ترجمته انظر : السير ٤٠١/٤ وطبقات الفقهاء ص٤٩ والعبر ١٤٢/١ والبداية ٣٠٩/٩ وتذكرة الحفاظ ١١٧/١ وشذرات الذهب ١٤٩/١ وقوله وتوجيهه في تفسير الطبري ٥٠/١٢

(٦) سورة هود آية ٤٦

السؤال فيكون معصية لأنا نقول الهاء في ((أنه)) عائدة إلى الابن عطفاً على قوله :﴿ إنه ليس من أهلك ﴾ يعني : ذو عمل غير صالح وجَعْله عملاً غير صالح مبالغة في ذمه كما قيل :

.... فإنما هي إقبال وإدبار[١]

والقراءة الأخرى تؤيد أن الكلام عائد على ابن نوح فإنه قُرِئ :﴿ عمل غَيْرَ صالحٍ ﴾[٢] يعني عملاً غير صالح ، وقوله بعد ذلك :﴿ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾[٣] لا يقتضي وقوع ذلك منه لأن النهي عن الشيء والوعظ فيه لا يقتضي وقوعه .

---

(١) هذا عجز بيت للخنساء والبيت بتمامه :

ترتع مـــا رتعت حـــتى إذ ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

والشاهد ما أورده المؤلف ووجه الاستشهاد أي : ذات إقبال وذات إدبار ، وهذا يعني أن عمل فيها قراءة بالخفض مضاف إليه والمضاف محذوف وتقدير الكلام : ابنك ذو عملٍ غير صالح .

انظر : تفسير القرطبي ٤٦/٩ وانظر عن القراءة بالكسر تفسير الطبري ٥٢/١٢ ، وعن البيت انظر : البيان والتبيين ٤٨٦/١ .

والخنساء هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية من بني سليم من قيس عيلان من مضر عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي وأدركت الإسلام فأسلمت .

انظر : طبقات فحول الشعراء ، محمد بن إسلام الجمحي ، قراءة وشرح : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ٢٠٣/١ ، والأعلام للزكلي ٨٦/٢ .

(٢) تفسير البغوي ٣٨٦/٢ .

(٣) سورة هود آية ٤٦

ومن ذلك : قصة إبراهيم في قوله :﴿ إني سقيم ﴾[١] وفي قوله :﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾[٢] وفي قوله للجبار عن زوجته : ((هذه أختي))[٣] وقد سمى النبي ﷺ ذلك كذباً في قوله : ((لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات))[٤] وسماها إبراهيم كذبات في حديث الشفاعة في قوله : ((ويذكر كذباته))[٥]

الجواب عن ذلك : أن هذه ليست في الحقيقة كذباً وإنما صورها صورة الكذب من حيث لم يُرد بها ظاهرها / وهي معاريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب . ٤٥أ -٤٥ب

أما قوله :﴿ إني سقيم ﴾[٦] فقيل : سقيماً حقيقة أو أنه كان قد رأى علامة عادته في النجوم بنجم يحصل له السقم عند طلوعه[٧] .

وقيل : إنما قال ذلك لما يتوقعه من السقم الذي يحل بجميع الناس فليس من الناس في الغالب إلا من يُسقم .

---

(١) سورة الصافات آية ٨٩

(٢) سورة الأنبياء آية ٦٣

(٣) رواه البخاري ٩ باب إذا قال لامرأته وهو مكره هذه أختي ٧١ كتاب الطلاق

(٤) رواه البخاري٦/٤٤٧ كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى:﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ رقم ٣٣٥٧ من الكتاب

(٥) رواه مسلم كتاب الإيمان ٨٤ باب أدنى أهل الجنة مترلة فيها حديث رقم ١٩٤ ، ١/١٨٤

(٦) سورة الصافات آية ٨٩

(٧) الصواب والله أعلم أنه نظر في النجوم يقصد أن يوهمهم أنه استدل بها على أنه مشارف للسقم لأنهم كانوا منجمين وهو في واقعه سقيم بسبب كفرهم ، فقال كلاماً هو حق في نفس الأمر فهو منه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه .

انظر تفسير البيضاوي ٥/١٧ وتفسير ابن كثير ٤/١٤

وقيل : المراد سقيم بذكر الموت وقيل : المراد سقيم من كفرهم وشركهم بالله تعالى ؛ وقيل : أراد بذلك : أن حجتي عندكم سقيمة .

وأما نظره في النجوم فليس على عادة أهل التكهن بل هو نظر اعتبار وتفكـــر ولعله النظر الذي قامت به حجته على إثبات الصانع الفاعل المختار ســبحانه وتعالى فلما نظر تلك النظرة التي قامت بها حجة الإيمان احتج بالسقم ليتخلف عن عيدهم لكسر الأصنام ولهذا استحق غاية المدح بذلك النظر في النجــوم وذلك لفعله الذي فعله[١] .

وأما قوله: ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾[٢] فقيل فيه : هو معلق على شرطٍ وقاله على سبيل الإلزام لهم يعني : إن كانوا ينطقون فهو الذي فعله فعلق فعله لــه على نطقه ولم ينطق ، وقيل الوقف عند قوله :﴿ بل فعله ﴾ وابتدأ القراءة بقوله :﴿ كبيرهم هذا ﴾ وكان ذلك كبيراً لهم حقيقة فإنه كان أكبرهم شكلاً .

وأما / قوله : ((هذه أختي)) فقد صرح في الحديث : أنه إنما أراد أُخـــتي في الإيمان . ٤٥ب -٤٦أ

---

(١) هذا التعليل يوصل إلى نتيجة وهي أنه كذب وهو خلاف قصد المؤلف في نقاشه ثم أن هذا ليس طريق التوحيد عند إبراهيم عليه السلام بل التوحيد عنده منشأه فطرة الله التي فطر النـــاس عليها وأن الله سبحانه وتعالى خلق العباد حنفاء على الفطرة و لم يكن إبراهيم عليه السلام ممـــن اجتالتهم الشياطين عنها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((ثم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ...)) رواه البخاري ٤٦٥/١ رقم ١٣١٩ .

ورواية أخرى : ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة ....)) رواه البخـــاري ١٧٩٢/٤ رقـــم ٤٤٩٧ ، ورواه مسلم ٢٠٤٧/٤ رقم ٢٦٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٦٣

وأما تسميته لها كذبات وتسميتها في الحديث كذباً فإنما سميت بذلك لا على طريق الذم ؛ فإن الكذب قد لا يكون مذموماً بل قد يحسن في بعض الصور ؛ والحسن والقبح شرعيان عندنا لا يستقل العقل بتحسين ولا تقبيح فما ورد في الشرع بتحسينه حسناه ؛ وهذا الكذب مما لم يقع فيه تقبيح بل هو حسن لما تضمنه من الأمور الحسنة[١] ؛ ولأنه قصد به الصدق فمدلوله بغاية المتكلم صدق ؛ وإنما تأخر إبراهيم عن الشفاعة بسببه اعتذاراً لصلف منصبه وجلالة قدره ؛ ولإظهار مزية النبي ﷺ وتخصيصه بالشفاعة ؛ ألا ترى أنه عند ذكر عيسى قال : ((ولم يذكر ذنباً))[٢] فإنما تأخر لأنها مرتبة النبي ﷺ وخصيصته فلا يشفع في ذلك المقام قبله أحد[٣] .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ﴾[٤] . قالوا : فلا خوف[٥] أمرٍ في التبليغ لما جعل الرصد على الرسل ، وهذا باطل لأنا لا نسلم أن الرصد لذلك بل لتأييد الرسل / ٤٦أ-٤٦ب على الإبلاغ ولدفع نزغات الشيطان وعوارضه وليكون الرصد الذي مع الأنبياء شهوداً لهم بالإبلاغ ومظهرين لحقهم في الملأ الأعلى ومخبرين عنهم بما

---

(١) أشبه بالكبر فإنه محرم وكبيرة إلا بين الصفين والله أعلم

(٢) رواه مسلم ، ١٨٤/١ ، حديث رقم١٩٤ كتاب الإيمان ١٤ باب أدنى أهل الأرض منزلة فيها .

(٣) انظر الشفا ٨٨/٢

(٤) سورة الجن آية ٢٦ - ٢٨

(٥) أي خوف وقوع أمر يزيد أو ينقص في التبليغ ، وانظر تفسير القرطبي ٢٩/١٩ .

يعانون في هداية أممهم ، وفي قوله : ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ﴾[1] إشعار بذلك فإن العلم بذلك حاصل على كل حال .

ومما تعلق به الطاعنون المجوزون للخطأ أو التحريف في التبليغ ما تقدم من الحديث الذي ذكرت فيه قراءة النجم وانتهى إلى قوله :﴿ أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ﴾[2] قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والمشركون . وأوردوا في هذه القصة أن النبي ﷺ كان يتمنى أن يترل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه فلما قرأ السورة سُمع منه هاتان الكلمتان فجاءه جبريل وقال : ((ما جئتك بها)) فحزن لذلك فأنزل الله تعالى تسلية له : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾[3] وأن الله أنزل في ذلك :﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك ﴾[4] .

وقد اختلفت عبارات المفسرين / في نقل هذه القصة وتشعبت طرقهم في الاعتذار عنها فقائل يقول : أصابته سنة فألقى الشيطان على لسانه هذه الكلمات . وقائل يقول : نطق بها الشيطان على لسانه لما تمناه . وقائل يقول : غفل حالة التمني فجرت على لسانه . وآخر يقول : قالها في الصلاة . وبعضهم قال : إنما قالها حكاية لقولهم إلى غير ذلك من الوجوه السخيفة ٤٦ب-٤٧أ

---

(١) سورة الجن آية ٢٨

(٢) سورة النجم الآيات ١٩ - ٢٠

(٣) سورة الحج آية ٥٢

(٤) سورة الإسراء آية ٧٣

والأقوال الضعيفة ؛ وهذه القصة ليست بصحيحة وقد أطنب ابن حزم وبالغ في إنكار صحتها[١] وتخطية راويها ومن نسبها إلى النبي ﷺ وجزم القول بذلك وأنها من أوضاع أعداء الدين وأن ذلك مستحيل في حق النبي ﷺ لاسيما على قول من يقول : ونطق بها الشيطان على لسانه فإن هذا لا يحصل للعقال من آحاد الناس وإنما يقع ذلك للمجانين منهم ؛ وقد عصم الله رسوله ﷺ مما دون ذلك بكثير ، فكم جمعت هذه القصة من أنواع المحالات وما لا يجوز نسبته إلى آحاد العقلاء فضلاً عن سيد البشر وخاتم الأنبياء سبحانك هذا بهتان عظيم .

قال القاضي عياض : (هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما / أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم[٢] وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته إلى أن قال : ومن حكيت عنه هذه الحكاية لم يسندها إلى صحابي ، وأكثر الطرق فيها ضعيفة واهية ؛ والمرفوع : حديث شعبة[٣] عن أبي بشر[٤] عن سعيد بن جبير

١٤٧أ – ٤٧ب

(١) انظر الفصل في الملل ١٧/٤

(٢) إلى هنا ينتهي كلام القاضي عياض من قوله : ((وتخطية ..)) إنما هو من نقل القاضي عياض نقله عنه المؤلف انظر : الشفا ٧٩/٢

(٣) هو: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي بالولاء أو بسطام الواسطي أمير المؤمنين في الحديث ولد سنة اثنتين وثمانين وقيل ثلاث وثمانين للهجرة ، ومات بالبصرة لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ستين ومائة وقيل أن عمره خمس وسبعين سنة وقيل سبع وسبعين سنة .
انظر: السير ٢٠٢٥/٧ وطبقات المحدثين ٦١/١ والطبقات الكبرى ١٦٩/٤ وطبقات الحفاظ ٨٩/١ وطبقات المفسرين(٢) ٢١/١ والعبر ٢٣٤/١ والمنتظم حتى ٢٥٧ : ٢٤٣/٨

(٤) هو: جعفر بن أبي وحشية إياس اليشكري البصري ثم الواسطي أحد الأئمة الحفاظ =

عن ابن عباس : ((فيما أحسب الشك في الحديث : أن النبي ﷺ كان بمكة)) وذكر القصة وقال : قال أبو بكر البزار[1] : هذا الحديث لا نعلم رُويَ عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد[2] وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي[3] عن أبي صالح[4] عن ابن عباس ؛ قال : فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك

=مات ساجداً خلف المقام سنة أربع وعشرين ومائة وقيل سنة ثلاث وعشرين ومائة وقيل سنة خمس وعشرين ومائة .

انظر : سير أعلام النبلاء ٤٦٥/٥ والطبقات الكبرى ٢٥٣/٧ وطبقات المحدثين ٤٥/١ ومولد العلماء ووفياتهم محمد بن عبدالله بن سليمان الربعي ، تحقيق : د.عبدالله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، ٢٩٠/١ .

(١) هو : أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار أبو بكر صاحب المسند الكبير .

مات بالرملة في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائتين للهجرة والله أعلم .

انظر: السير ٥٥٤/١٣ وطبقات المحدثين ١٠٥/١ وطبقات الحفاظ ٢٨٩/١ وشذرات الذهب ٢٠٩/١ والعبر ٩٨/٢ .

(٢) هو : أمية بن خالد بن الأسود القيسي أبو عبد الله أخو هدبة مات سنة ٢٠٠ للهجرة .

انظر : العبر ٣٣٣ وشذرات الذهب ٣٥٩/١

(٣) هو: أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد العزى بن كلب الكوفي من سبي نجران مولى أسامة بن زيد ﷺ .

وهو رأس في الأنساب شيعي متروك الحديث ، توفي سنة ست وأربعين ومائة .

انظر : السير ٢٤٨/٦ والطبقات ٢٦٧/١ ومولد العلماء ٣٤٣/١ ووفيات الأعيان ٣٠٩/٤ وطبقات المفسرين ١٧/١ والعبر ٢٠٦/١ .

(٤) هو : باذام ، ويقال : باذان ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب .

انظر : السير ٣٧/٥ والطبقات الكبرى ٢٩٦/٦ .

فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه وأما حديث الكلبي فمـا لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه / البزار رحمه الله تعالى قال : والذي منه في الصحيح أن النبي ﷺ قرأ النجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والأنس . انتهى كلام القاضي عياض[١] .

٤٧ب – ٤٨أ

فهذا الحديث كما تراه مما نقلناه لا أصل له ولا صحة وعلى كل تقدير فنتكلم على ما يزيل الشبهة منه ونبين أنه لا يجوز نسبة مثل ذلك إلى النبي ﷺ وذلك من وجوه أربعة :

الأول : أن الأمة قد أجمعت إجماعاً قطعياً أنه لا يجوز الكفر على الأنبياء فقولهم أنه تمنى ذلك لا يجوز إذ تمنى الكفر كفر ونبي الله متره عن ذلك .

الثاني : أن دعواهم أن ذلك من إلقاء الشيطان على ألسنة غير المجانين معاذ الله من ذلك .

الثالث : قولهم هذا الذي ألقاه الشيطان اشتبه على السامعين وعليه ﷺ حتى ظنوه من القرآن إلى أن جاء جبريل وميزه عن القرآن باطل إذ كيف يشبَّه ما يلقيه الشيطان بما يلقيه الملك عن الله تعالى ؛ وكيف يشبه كلام الشيطان بكلام الله تعالى ولاسيما على نبي الله ؛ لا يجري ذلك في خلد من له أدنى مسكة من دين أو عقل[٢]

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٧٩/٢

(٢) وتأمل قول الله تعالى :﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴾ سورة الجن الآيات ٢٦ – ٢٨

الرابع : أن هذا الكلام المنقول إذا نظر فيه لا يوجد متصلاً بما قبله ولا بما /بعده فإن سياق الكلام وأوله يتضمن نفي إلهية غير الله تعالى وبطلان إلهية الأصنام التي اعتقدوا فيها الإلهية إلى غير ذلك مما دلت عليه السورة فكيف تدخل هاتان الكلمتان في أثناء الكلام مع منافرة ما قبلها وما بعدها لها ؛ ثم قد نقلوا رضا قريش بذلك واعتقادهم أن هذا ثناء على آلهتهم أفتراهم لم يسمعوا أول السورة وآخرها أم لا يعرفون بالعربية ؟ . ٤٨أ -٤٨ب

ولو قلنا هم اشتغلوا بالثناء على آلهتهم ورضوا به ولو اقترن به ما ينفيه أما نَبَتْ طباع بقية المسلمين الفصحاء عن ذلك واستهجنته ؟ وكذلك المتكلم به كيف يدخل ذلك على من له نظر في أساليب الكلام فضلاً عن أفصح الفصحاء وأعظم العرب بياناً ومعرفة .

الخامس : أن المشركين تعلقوا في الرد على النبي ﷺ بأبعد الوجوه وأضعفها وتحملوا للرد عليه والتنفير عنه بكل طريق ووجه وكان المنافقون أعظم الناس في ذلك وأكثرهم تنفيراً عنه يختلقون المساوئ ويتبعون العورات ولا يجدونها فكيف كان يمكن سكوتهم عن هذه القصة لا يتكلمون فيها ولا يحتجون بها ولا ينادى بها على رؤوس الأشهاد هذا من أبعد البعيد .

السادس : أن / الله تعالى يقول :﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾[1] فكيف يُظن خلاف ذلك . ٤٨ب -٤٩أ

---

(١) سورة الحاقة آية ٤٤ — ٤٧

السابع : أنهم يروون أن ذلك كان سبباً لنزول قوله تعالى :﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾[(١)] وأنه أنزل في ذلك :﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾[(٢)(٣)]. ويقولون المراد بالتمني التلاوة[(٤)] ؛ وكيف الجمع بين الأمرين فإن التمني إذا حمل على التلاوة كما يقولون دلَّ على أنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك التمني الذي هو التلاوة ؛ والآية الأخرى تدل على أنه لم يفتن عن الذي أوحي إليه ولم يكد يركن إليهم ويقولون : إنما ألقى الشيطان كلامه لما حصل للنبي ﷺ من تمني موافقة قومه له وأن ينزل عليه ما يقرب بينهم وبينه وتناقض الأمرين ظاهر ؛ وعلى الجملة فساد نسبة هذه الواقعة إلى النبي ﷺ واضح لكل مسلم منصف ؛ وأما المفسرين فإنهم رووا هذه الواقعة وأكثروا التأويلات وجميعها فاسد مبني على فاسد لكن فيها وجهان يحسن ذكرهما :

أحدهما : أن ذلك كان قرآناً / منزلاً وكان لفظه على ما رواه بعض المفسرين : ﴿ ومناة الثالثة الأخرى ﴾ والعرانقة العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، قالوا : والمراد بالعرانقة العلى : الملائكة ؛ وهم كانوا يقولون : الملائكة بنات ٤٩أ – ٤٩ب

---

(١) سورة الإسراء الآيات ٧٤ – ٧٥

(٢) سورة الحج آية ٥٢

(٣) انظر الباب المنقول في أسباب النزول ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، دار إحياء العلوم بيروت ص١٣٨ ، وانظر تفسير القرطبي ٨١/١٢

(٤) نكت الانتصار لنقل القرآن لأبي بكر الباقلاني ، تلخيص أبو عبد الله الصيرفي ترتيب ونسخ عبد الجليل الصابوني ، تحقيق : د . محمد زغلول سلام

الناشر : منشأة المعارف بالإسكندرية ص٣١٠ .

الله(١) ؛ ويتقربون إليها بالعبادة فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله :﴿ألكم الذكر وله الأنثى ﴾(٢) فلما سمع المشركون هذا الكلام أشاعوه وقالوا عظّم الله آلهتنا وأثنى عليها وذكر أن شفاعتها ترتجى وألقى الشيطان ذلك في قلوبهم [وحقق في نفوسهم] (٣) حمل اللفظ على ذلك فنسخ الله تعالى ما ألقى الشيطان في ذلك بنسخ تلك الكلمتين التي وقع منها الإلتباس ووجد الشيطان بها سبيلاً إلى الإلقاء في النفوس وأحكم آياته وجعل ما ألقاه الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم(٤) وهذا تأويل حسن لو صح الحديث(٥)

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ كان عادته أن يعيب آلهتهم ويذمها فلما سمعوا قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ﴾(٦) وقع في نفوسهم أن الذّم يقع بعد ذلك وكان النبي ﷺ يأتي بالقراءة مبينة مفسرة مفصلة يقف على رؤوس الآي فسبقوه إلى مدح آلهتهم بهاتين الكلمتين ليخلطوا ذلك بالقرآن /[ويخبطوا] (٧) عليه القراء ويوهموا السامعين فنفى الله تعالى ما قالوه عن كلامه وأحكم آياته وكان ذلك في الحقيقة من فعل الشيطان وإلقائه . ٤٩ب – ٥٠أ

(١) انظر تفسير القرطبي ٢/٨٥

(٢) سورة النجم آية ٢١

(٣) ما بين المعقوفتين فيهما طمس خفيف والذي ظهر لي أن ما أثبته هو النص والله أعلم

(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٢/٨٥ – ٨٦

(٥) انظر : تحقيق ابن حجر رحمه الله تعالى لهذه المسألة في فتح الباري ٨/٤٣٩ .

(٦) سورة النجم آية ١٩ – ٢٠

(٧) ما بين المعقوفتين ذهب بعض معانيها فهي إما يخبطوا أو يحبطوا والله أعلم .

ومما يذكر في معرض التعلق به أيضاً قصة ابن أبي السرح[١] وهي مشهورة والتعلق به لا وجه له أصلاً وغايته أن شخصاً كفر بالله وكذب واختلق في حال كفره ؛ وأقوال الكفار كثيرة جداً لا التفات إليها[٢] .

---

(١) هو : عبد الله بن أبي السرح الذي شفع له عثمان بن عفان ﷺ عام الفتح توفي بالرملة سنة ست وثلاثين للهجرة .

انظر السير ٣/٢٣ والطبقات الكبرى ٧/٤٩٦ وشذرات الذهب ١/٤٤

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيميه عن الرسول بوجه عام : إن كان صادقاً في قوله أنه رسول الله كان معصوماً في ما يخبر به عن الله لا يجوز أن يكذب في شيء منه لا عمداً ولا خطأ ووجب إتباع الكتاب الذي جاء به من عند الله ولم يمكن رد شيء مما ذكر أنه جاء به من عند الله وإن كان كاذباً في كلمة واحدة مما أخبر به عن الله فهو من الكذابين المفترين ... والواحد من المسلمين وإن كان الله لا يؤاخذه بالنسيان والخطأ بل والرسول أيضاً وإن لم يكن يؤاخذ بالنسيان والخطأ في غير ما يبلغه عن الله عند السلف والأئمة وجمهور المسلمين لكن ما يبلغه عن الله لا يجوز أن يستقر فيه خطأ فإنه لو جاز أن يبلغ عن الله ما لم يقله ويستقر ذلك ويأخذه الناس عنه معتقدين أن الله قاله و لم يقله الله كان هذا مناقضاً لمقصود الرسالة و لم يكن رسولاً لله في ذلك بل كان كاذباً في ذلك وإن لم يتعمده وإذا بلغ عن الله ما لم يقله وصدق في ذلك كان قد صدق من قال عن الله غير الحق ومن تقوَّل عليه ما لم يقله وإن لم يكن متعمداً ويمتنع في مثل هذا أن يصدقه الله في كل ما يخبر به عنه أو أن يقيم له من الآيات والبراهين ما يدل على صدقه في كل ما يخبر به عنه مع أن الأمر ليس كذلك ومن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقاً في كل ما يخبر به عن الله لا يجوز أن يكون في خبره عن الله شيء من الكذب لا عمداً ولا خطأ وهذا مما اتفق عليه جميع الناس من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم لم يتنازعوا أنه لا يجوز أن يستقر في خبره عن الله خطأ وإنما تنازعوا هل يجوز أن يقع من الغلط ما يستدركه ويبينه فلا ينافي مقصود الرسالة كما نقل من ذكر تلك الغرانيق العلا وأن شفاعتها لترتجى هذا فيه قولان للناس :

منهم من يمنع ذلك أيضاً وطعن في وقوع ذلك ، ومن هؤلاء من قال : إنهم سمعوا ما لم يقله فكان الخطأ في سمعهم والشيطان ألقى في سمعهم ؛ ومن جوز ذلك ، قال إذا حصل البيان = =

=ونسخ ما ألقى الشيطان لم يكن في ذلك محذور وكان ذلك دليلاً على صدقه وأمانته وديانته وأنه غير متبع هواه ولا مصر على غير الحق ، وإذا كان نسخ ما جزم بأن الله أنزله لا محذور فيه فنسخ مثل هذا أولى أن لا يكون فيه محذور واستدل على ذلك بقوله :﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد * وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ سورة الحج الآيات ٢٦- ٢٧ ، وعلى كل قول فالناس متفقون على أن من أرسله الله وأقام الآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله لم يكن ما يبلغه عنه إلا حقاً وإلا كانت الآيات الدالة على صدقه دلت على صدق من ليس بصادق وبطلان مدلول الأدلة اليقينية ممتنع والصدق الذي هو مدلول آيات الأنبياء وبراهينهم وهو أن يكون خبره عن الله مطابقاً لمخبره لا يخالفه عمداً ولا خطأ ولو قال قائل أنا لا أسمي الخطأ كذباً أو قال إن المخطئ لا أثم عليه في خطأه قيل له هذا لا ينفع هنا فإن الآيات دلت على أن الله أرسله ليبلغ عنه رسالاته والله لا يرسل من يعلم أنه يخبر عنه بخلاف ما قال له كما لا يجوز إرسال من يتعمد عليه الكذب بل الواحد من الناس لا يرسل من يعلم أنه يبلغ خلاف ما أرسله به ولو علم أنه يقول عليه ما لم يقل وأرسله مع ذلك لكان جاهلاً سفيهاً ليس بعليم حكيم فكيف يجوز ذلك على أعلم العالمين وأحكم الحاكمين وأيضاً فإن الآيات والبراهين دلت على صدقه في كل ما يبلغه عن الله وأن الله مصدقه في كل ما يبلغه عنه فيمتنع أن لا يكون صادقاً في شيء من ذلك ويمتنع أن يصدق الله في كل ذلك من لا يصدق في كل ذلك فإن تصديق من لا يصدق كذب ، والكذب ممتنع على الله وإذا تبين أن من ذكر أنه رسول الله إما أن يكون رسولاً صادقاً في جميع ما يبلغه فيمتنع مع هذا تناقض أخباره لأنها كلها صادقة وإما أن يكون غير صادق ولو في كلمة فلا يكون رسولاً لله فلا يحتج بشيء مما يخبر به عن الله .

الجواب الصحيح ٣٣/٢ .=

وأما قصة ذي اليدين فقد تقدم الكلام على ما يتعلق بالنسيان منها باختصار[١] والذي يخص هذا الموضع الكلام على قوله: ((كل ذلك لم يكن))[٢] في جواب ذي اليدين لما قال له أقصرت الصلاة أم نسيت .

أما من جوز الخلف في الخبر نسياناً أو غلطاً فلا يحتاج إلى جواب عن ذلك ويقول : أخبر النبي ﷺ عما كان يظنه وكان ناسياً .

ومن لا يُجَوّز ذلك احتاج إلى جواب وذكروا وجوهاً :

أحدها : أن قوله : ((كل ذلك لم يكن)) يعني المجموع ؛ وهذا الجواب ضعيف يرد عليه بالرواية الأخرى : ((ما قصرت الصلاة وما نسيت))[٣] .

الثاني : إن ذلك إخبار عما ظنه ﷺ فكأنه قال : لم تقصر الصلاة وليس في ظني أني نسيت .

=ويقول رحمه الله تعالى : قال الله تعالى:﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾ سورة الحج آية ٢٥ .

فهذا رفع لشيء ألقاه الشيطان و لم يترله الله لكن غايته أن يظن أن الله أنزله وقد أخبر أنه نسخه)) منهاج السنة النبوية ٢٩١/٥ وكما أنه نسخ وإزالة لشيء ألقاه الشيطان فإنه سواء كان غايته أن يظن أن الله أنزله أو أن الرسول سهى وقاله فإن الله عزَّ وجلَّ قد بين أنه من إلقاء الشيطان لا من قول الله ولا من عند رسول الله ثم بين أنه نسخه وأزاله والله أعلم .

انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٧٨/٢ فإنه توسع وبين في الرد مع جميع الوجه

(١) انظر ص ١٠٠ .

(٢) روى أبو هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ صلى صلاة فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال : أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت ، فقال رسول الله ﷺ : ((كل ذلك لم يكن)) ... الحديث ، رواه مسلم ٤٠٤/١ حديث رقم ٥٧٣ .

(٣) انظر صحيح ابن حبان ٤٠٥/٦ رقم ٢٦٨٨ ، والبخاري ١٨٢/١ رقم ٤٦٨ .

٥٠أ-٥٠ب **الثالث** : أن ذلك عائد إلى السلام أي / أني سلمت قصداً لا ناسياً . ونقل القاضي عياض وجهين آخرين :

أحدهما : أنه نفى النسيان من قبل نفسه فإنه لم ينس وإنما نسي كما قال : ((أُنَسَّى لأَسِنَّ)) [١] ، وكما قال : ((بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت لكنه نُسِّيَ)) [٢]

والوجه الآخر : الفرق بين النسيان والسهو ؛ فالنسيان غفلة وكان النبي ﷺ متزهاً عن ذلك ؛ والسهو شغل فكان مشغولاً بالصلاة وقرة عينه فيها عن عددها فهو ساه لا ناس)) [٣] .

ومما يتعلق بالفتوى مما احتج به الخصوم : قصة داود وسليمان في قوله تعالى :﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً ﴾[٤] وينبغي أن نقرر قبل ذلك أن الخلاف بين العلماء مشهور في جواز حكم النبي ﷺ بالاجتهاد وأنه لا يجب عليه التوقف إلى نزول الوحي ، فإن جوزنا الحكم

---

(١) سبق الكلام عنه ص١٠٠ .

(٢) رواه مسلم ٥٤٤/١ حديث رقم ٧٩٨٠ ، ٣٢ باب فضائل القرآن ، والبخاري بنحوه ١٩٢٣/٤ رقم ٤٧٥٢ ، ٢٦ باب نسيان القرآن ورقمه بالكتاب ٥٠٣٩ في ٧٠٣/٨ كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن ، مسلم ٥٤٤/١ حديث رقم ٧٩٨٠ ، ٣٢ باب فضائل القرآن .

(٣) الشفا ٨٧/٢

(٤) سورة الأنبياء ٧٨ — ٧٩

بالاجتهاد فهل يجوز الخطأ ؟ فيه خلاف لكن لا يقر عليه[١] فعلى هذا القول لا إشكال في هذه الواقعة وعلى القول الآخر غايته أنه خص سليمان بذكر الفهم قال : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾[٢] وليس فيه أن داود لم يفهم ولا أنه حكم بخلاف الحق فإن/ قيل كيف خص سليمان بذلك قلنا : إنما خص سليمان بذلك لأن أمر داود في النبوة والحكمة كان متقرراً معلوماً فأثنى على سليمان لأنه كان في بداية أمره ولهذا قال في تمام الآية : ﴿ وكلاً آتينا حكماً وعلماً ﴾[٣] لئلا يتوهم من تخصيص سليمان ما ذكرتم

٥٠ب – ٥١أ

ومن ذلك قصة أسارى بدر وأخذ الفداء عنهم والقصة مشهورة وفيها قول النبي ﷺ : ((لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه غير عمر))[٤]

---

(١) انظر مثلاً فتح الباري ٤٩/٤ ، شرح النووي ١٠١/٩ والمحصول ٩/٦ وروضة الناظر : عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق : د.عبدالعزيز عبدالرحمن السعيد ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ٣٥٦/٢ والإحكام للآمدي ٢١٥/٤ عند المسألة العاشرة

(٢) سورة الأنبياء آية : ٧٩

(٣) سورة الأنبياء آية ٧٨

(٤) تحفة الطالب : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، تحقيق : عبدالغني بن حميد بن محمود الكبيسي ، دار حراء ، مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، ٤٦٨/٢ رقم ٣٦١ ، وقال عنه : هذا الحديث بهذا اللفظ لم أره في شيء من الكتب ، ثم ذكر ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه أن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن سبب بكائه وبكاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأن الرسول ﷺ قال : ((أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة .. الحديث)) رواه مسلم ١٣٨٥/٣ حديث رقم ١٧٦٣ ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، وقد يكون رجوع الضمير في عذابهم إلى المشركين والله اعلم .

وقوله : ((لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة[١] فهذا يدل على وقوع الخطأ في تلك الواقعة[٢] .

والجواب : أن هذه الواقعة ليس فيها شيء يتعلق بالنبي ﷺ فإن النبي ﷺ شاور أصحابه في أمر الأسارى فاختاروا الفداء غير عمر وفادوا ؛ فنحن لا نسلم أن النبي ﷺ شاورهم من قبل نفسه بل كان الأمر قد فوض إليهم من قبل الله تعالى وكان الأولى لهم أن يختاروا القتل لما فيه من إبادة أعداء الله تعالى وإهلاكهم فلما اختاروا الفداء قدموا مصلحة أنفسهم ومصلحة العسكر وقوته على هذه المصلحة فلهذا عوتبوا ؛ وقد رُويَ أن جبريل نزل على النبي ﷺ وقال له خير أصحابك بين أن يأخذوا الفداء / ويقتل منهم في العام المقبل نظير الأسارى وبين قتل الأسارى فاختاروا أخذ الفداء لتقوية المسلمين[٣] فبين الله تعالى أن

١٥أ – ١٥ب

(١) رواه مسلم ٣/١٣٨٣ ، ١٨ باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر حديث رقم ١٧٦٣ ، ورواد البيهقي في السنن الكبرى ٦/٣٢٠ ، ١٩ باب ما جاء في مفاداة الرجال منهم بالمال ، رقم ١٢٦١٢ ـــ ١٢٦٢٢ ، وأحمد في مسنده ١/٣٠ رقم ٢٠٩ ـــ ٢٠٨

(٢) ومما أجاب به القاضي عياض رحمه الله تعالى ما نقله عن القاضي بكر بن العلاء وهو : ((أن الله تعالى أخبر نبيه في هذه الآية ـــ آية المعاتبة على أخذ الفداء ـــ أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بأزيد من عام فهذا كله يدل على أن فعل النبي ﷺ في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة)) ، الشفا ١/١٠٠ .

(٣) انظر : سنن الترمذي ٤/١٣٥ رقم ١٥١٧ ، ١٨ باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء ، وصحيح ابن حبان ١١/١١٩ رقم ٤٧٩٥ ، ذكر تخيير الله جل وعلا أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر بين الفداء والقتل

هذا الذي ظنوه أولى لم يكن أولى وإنما الأولى خلافه ؛ ولم يكن تـرك الأولى في ذلك صادر من النبي ﷺ ولهذا وقع الخطاب للأمة لا للنبي ﷺ .

وأما قوله : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾(١) فعن الاحتجاج به جوابان :

أحدهما : أن ذلك بيان للحكم وكان الإثخان قد حصل فليس مـذكوراً في معرض الرد على النبي ﷺ

الثـاني : أن المراد بيان مزية النبي ﷺ على غيره من الأنبياء في إحلال الغنائم ولم تحل لأحد من قبله ؛ وفي إحلال الأسارى قبل الإثخان فبين حال الأنبيـاء قبله وما خص به عنهم

وبه يخرج الجواب عن قوله : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخـذتم عذاب عظيم ﴾(٢) فإن الكتاب الذي سبق : إحلال الغنائم وإحـلال الأسـر فلولا ذلك كان حكمهم حكم غيرهم من الأمم في منع الأسر والغنائم .

وقد ذكرت في ذلك وجوه أُخر تضعف عن هذا الوجه الذي ذكرناه فلا نطيل بها .

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا/ وتعلم الكاذبين ﴾(٣) وقد ذكر في ذلك أجوبة كثيرة ومن أجودها قـولهم : أن ((عفا)) هاهنا استفتح بها الكلام تلطفاً في المعاتبة لئلا تقع المفاجأة بالمعاتبة فقدم ما يزيل إيحاش ذلك .

٥١ب -٥٢أ

(١) سورة الأنفال آية : ٦٧

(٢) سورة الأنفال آية : ٦٨

(٣) سورة التوبة آية : ٤٣

والثاني : أن عفى لا يوجب تقدم ذنب فإن العفو في اللغة عدم الإلزام[١] كما قال : ((عفا الله عنكم عن صدقة الخيل))[٢] أي لم يوجبها فكأنه قال : لم يلزمك الله ذنباً فيما فعلت

والثالث :أن الله تعالى كان خيره في الإذن بقوله :﴿ فأذن لمن شئت منهم ﴾[٣] فلم يقع منه إلا ما إذن له فيه .

وعندي فيه وجه رابع : أن الإذن هاهنا كان لاستبانة حالهم فأراد النبي ﷺ أن يأذن لهم في الخروج ليبن[٤] هل يخرجون أم لا ؟ واستئذانهم كان في الخروج فكأنه قال هلاّ اكتفيت بمجرد استئذانهم في الخروج دليلا على نفاقهم فإن الأمر بالخروج كان عاماً فما الحاجة الداعية إلى الأذن الخاص فيه ؛ لا يقع ذلك الأمر إلا من متردد مرتاب وتكون ((حتى)) متعلق ((بأذنت)) يعني : لَم أذنت لهم قاصداً أن يتبين لك الذين صدقوا ومجرد استئذانهم كاف فإن حال

---

(١) انظر لسان العرب ٧٢/١٥ و ٧٨ مادة عفو

(٢) انظر سنن ابن ماجة ٥٧٠/١ ، ٤ باب زكاة الورق والذهب رقم ١٧٩٠ عن علي ، وسنن الترمذي : ١٦/٣ ، ٣ باب ما جاء في زكاة الذهب والورق رقم ٦٢٠ عن علي ، وسنن الدارمي ٤٦٧/١ ، ٧ باب في زكاة الورق رقم ١٦٢٩ عن علي .

ومسند الإمام أحمد ١٢١/١ رقم ٩٨٤ والطبراني في المعجم الصغير ٢٦٢/١ رقم ١١٣٦ وفيه ابن أبي ليلى من مسند ابن عباس ﷺ وفيه أيضاً ٣٨٧/١ بسند آخر ليس فيه ابن أبي ليلى من مسند علي ﷺ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((ثم ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة ٦٧٥/٢ حديث رقم ٩٨٢ باب لا زكاة على المسلم في عبده وفرسه . والهيثمي : ضعف الرواية التي عن ابن عباس عند الطبراني لأن فيها : محمد بن أبي ليلى وفيه كلام ، ٦٩/٣ باب صدقة الخيل والرقيق وغيره .

(٣) سورة النور آية : ٦٢

(٤) أي ليتضح ويتبين والله أعلم .

المؤمن أن لا يستأذن في الجهاد وإنما يستأذن المنافق المرتاب كما قال في الآيتين اللتين بعـــدها : ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * / إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾[1] فهذا دليل آخر على أنهم لم يكونوا يريدوا الخروج وإنما قصدوا ذلك لعلك تأذن لهم في القعود فيقعـــدون بـــإذن ويستتر حالهم فكأنهم لشدة نفاقهم لم يستأذنوا في القعود وإنمـــا اســـتأذنوا في الخروج رجاء أن يؤذن لهم في القعود فقصد النبي ﷺ إقامة الحجة عليهم وبيان حالهم في النفاق وأنهم كذبوا في استئذانهم في الخـــروج فـــبين الله تعـــالى أن استئذانهم دليل كاف في نفاقهم فلهذا قال :﴿ عفا الله عنك ﴾ والله أعلم[2] .

٥٢أ-٥٢ب

وأما ما يتعلق بالأفعال وصدور المعاصي فيها فقد اعترضوا بوجوه :

الأول : قصة آدم وقد أكثر الناس الكلام فيها وذكروا اعتذارات كثيرة فمنهم من يجعل إقدامة على فعل المنهي عنه كان نسياناً ؛ ومنهم من يجعله متـــأولاً ؛ ومنهم من يجعله اغتراراً بيمين إبليس ؛ والله تعالى قد بين في القرآن أنه نسي ، وقيل لم ينس إلا عداوة إبليس ومنه من حمل قوله تعالى:﴿ وعصى آدم ربه ﴾[3] يعني : أولاد آدم ؛ ومنهم من حمله على صدور الذنب قبل / النبوة ؛ ومنـــهم من قال : كان الذنب صغيرة ومنهم من قال : هو من بـــاب تـــرك الأولى ؛

٥٢ب-٥٣أ

(١) سورة التوبة ٤٤ - ٤٦

(٢) وانظر الشفا ٢/٩٨

(٣) سورة طه آية ١٢١

والكلام في هذه القصة مشهور جداً فلا نطيل فيه إذ هو موجود في كل كتاب يتعلق بذلك على أبسط الوجوه ؛ والظاهر أنه كان قبل النبوة بدليل قوله :﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾[١] [٢] .

ومن ذلك قصة يوسف وفيها مواضع :

الأول : صبره على الرق ولم يعلمهم وجوابه لعل ذلك كان قبل النبوة أو لم يوجبه الله تعالى عليه أو قال ولم يُسْمَع[٣] .

الثاني : ما نقل من الهم ؛ والهم بالمعصية معصية .

وجوابه : أن ما ينقله المفسرون من تلك الصورة الفظيعة لم يدل عليها عقل ولا نقل ؛ بل النقل دلَّ على براءته وهو في القرآن في مواضع منها شهادة الله تعالى له بقوله :﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾[٤] حتى قال :﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾[٥] ومنها : شهادة الشاهد الذي هو من أهلها وهو الذي نطق في المهد أو كان كبيراً ، ومنها شهادة امرأة العزيز بقولها :﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾[٦] وقولها :﴿ أنا راودته عن نفسه وإنه لمن

---

(١) سورة طه آية ١٢٢

(٢) وانظر الشفا ٢/١٠٠

(٣) حتى وإن سموه رقاً إلا أنه على الصحيح ليس رقاً فإن الرق عجز حكمي سببه الكفر فإن لم يكن كذلك فليس برق وهو منتف ههنا ، والله أعلم .

(٤) سورة يوسف آية ٢٣

(٥) سورة يوسف آية ٢٤

(٦) سورة يوسف آية ٣٢

الصادقين ﴾[١] وامتناعه من الخروج من السجن حتى ظهرت براءته دليل على ذلك .

وقد نقل الوقوف على قوله :﴿ فكذبت ﴾[٢] ويبتدئ بقوله :﴿ وهو من الصادقين ﴾[٣] فيكون / ذلك تصديقاً من الله تعالى وهو وقف حسن . ٥٣أ-٥٣ب

وأما قوله : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾[٤] فجوابه : أن قوله :﴿ وهم بها ﴾ محمول على الهم الذي هو استشعار لليقين لا على أمر زائد مزعوم أو فعل والدليل على الفرق بين الهم والعزم قول كعب بن زهير :

فكم فيهم من سيد متوسع ومن فاعل للخير إن هم أو عزم[٥]

فعطف الهم على العزم[٦] فدّل على تغايرهما . وقد أورد على هذا أنه يستعمل في العزم كثيراً وتبادر إلى الفهم فيكون حقيقة فيه فلا يكون حقيقة في غيره دفعاً للاشتراك وهذا بعينه ينعكس على القابل به ولو سلم لجعل حقيقة في قدر مشترك فيسقط استدلالهم بحمله على أحد المعنيين .

---

(١) سورة يوسف آية ٥١

(٢) سورة يوسف آية ٢٧

(٣) سورة يوسف آية ٥١

(٤) سورة يوسف آية ٢٤

(٥) ديوان كعب بن زهير ، صنعة : أبي سعيد السكري ، شرح ودراسة : د. مفيد قميحة ، دار الشواف للطباعة والنشر ، الرياض ، السعودية ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ص١٣٨ .

(٦) الصواب أنه عطف العزم على الهمّ .

وقد أجيب بأن ((هم)) جواب ((لولا)) وهو بعيد لأنه لا يجوز تقديم جوابهـا عليها لأنها تجري مجرى الشرط وله صدر الكلام لكن يمكــن أن يقــال : إن الجواب محذوف دلّ عليه قوله :﴿ همَّ بها ﴾ تقديره : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ؛ ولا يكون قوله :﴿ وهمَّ بها ﴾ داخلاً في حيز القسيم ويكون الوقـف عند قوله :﴿ ولقد همت به ﴾ .

ومنهم من أجاب : بأن همه بها كان هماً بدفعها عن نفسه يعني : همت به ؛ وهم بها أن يدفعها عن نفسه / لولا أن رأى برهان ربه ولا يقال : إذا كان الهم إنما كان بدفعها فكيف قال :﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾[١] لأنا نقول : ربما كان الهم بالدفع على وجه يخشى عاقبته فأراه الله تعالى برهانه أن يـدفع عنـه السـوء والفحشاء ولا يحوجه إلى هذا الدفع[٢] .

٥٣ب – ٥٤أ

الثالث :أن جعله السقاية في رحل أخيه ومناداتـه علـى إخوتـه : ﴿ إنكـم لسارقون﴾[٣] وجوابه : لعل ذلك بأمر أخيه وإعلامه واتفاقه معه عليـه ؛ ولعـل المناداة على أخوته ما كانت بأمره ؛ أو لما تقدم من الفعل مع يوسف .

---

(١) سورة يوسف آية ٢٤

(٢) وفي قوله سبحانه وتعالى :﴿ لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ دليل على أنه لم يقـارف أي سوء وأي فحشاء فإن الهم على قولهم لا تخرج عن أحدهما وقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى ببراءته منهما ولو قلنا أنه قارف شيئاً من ذلك فحاصله أنه لم يصرف عنه وهو خلاف الآية والله أعلم . وانظر الشفا ١٠٢/٢

(٣) سورة يوسف آية ٧٠

الرابع : قوله :﴿ وخروا له سجداً ﴾[١] فكيف سجد أبوه وإخوته فرضي بـذلك؟
وجوابه : لعل السجود كان لله تعالى شكراً لما حصل من النعمة وأضافه إلى يوسف لأنه كان بسببه ؛ ويحتمل أن يكون سجوداً بمعنى الخضوع لا بمعنى وضع الجبهـة على الأرض لأنه كان ملكاً فسلموا عليه سلام الملوك على الوجه الذي يسلم بـه على الملوك في التعظيم والخضوع[٢] لهم وبه يخرج الجواب عن قولـه :﴿ هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾[٣] ويحتمل أن يكون قوله تعالى
:﴿ هذا تأويل رؤياي ﴾ إشارة إلى أمر معنوي من رفعة القدر وبلوغ النهايـة في المترلة ؛ أو تكون رؤيا أخرى غير هذه المذكورة .

ومن ذلك : قصة موسى مع القبطي وهي قبل النبوة وكان قتله له خطأ /[٤] ٥٤أ -٥٤ب
وقصته مع أخيه هارون ليس فيها ما يعظم الجواب عنه وقصته مع الخضر ليس فيها ذنب له ولا للخضر فإن ذلك كان بأمر الله تعالى وفي قصة موسى والخضر كلام لا يليق بهذا المختصر .

ومن ذلك قصة داود وما يرويه القصاص من حديث امرأة أوريا ووقوعهـا في قلب داود وتجهيزه إياه في غزاة حتى قتل وتزوجها وأن الملائكة تسورت عليه الحائط في صورة خصوم إلى غير ذلك فاعلم أن هذه القصة لا تصح ولا تروى عن ثبت من جهة يحتج بها وإنما هي جارية مجـرى القصـص الـتي يرويهـا الإخباريون وأهل المغازي والأحاديث المنقولة عن الأولين فلا عبرة بـذلك ؛

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٠ .

(٢) وقد يكون السجود مثل سجود الملائكة لآدم حسب أمر الله والله أعلم

(٣)سورة يوسف آية ١٠٠

(٤) وانظر الشفا ٢/١٠٣

ولا تُنسب إلى نبي كريم فعدم ثبوتها من جهة النقل يكفي في الجواب ثم إنا نقول : إنه في الآيات ما يدل على استحالة تلك الصورة وذلك لأن الله تعالى أثنى على داود ثناء الأنبياء إلى قوله :﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾[١] وأتمه بقوله :﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ﴾[٢] فكيف يتوهم عاقل أن الاعتراض وقع بين المدحين بهذه الصورة الفظيعة ولو جرى هذا لآحاد الناس لاستهجنهم العقلاء ولقالوا أنت في مدح شخصٍ كيف تُجري ذمة في أثناء مديحك / العظيم ثم تنعطف على مدحه والثناء عليه ؟ إن كلام الله تعالى لمصون عن ذلك ؛ وأيضاً فإن الله تعالى قال :﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴾[٣] فجعلوا أهل هذه القصة ملائكة ثم قالوا إنهم قالوا لداود :﴿ لا تخف خصمان ﴾[٤] ولم يكونوا خصمين فنسبوهم إلى الكذب وكذلك في قولهم : ﴿ بغى بعضنا على بعض ﴾[٥] وفي قولهم :﴿ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ﴾[٦] تعريضاً بما حكوه من صورة حديث أوريا وزوجته ولم يكن لأحد منهم نعجة ولا زوجة فنسبوا ملائكة الله تعالى إلى الكذب ونسبوا نبي الله إلى ما نسبوه وإنما كان الأمر أن قوماً تسوروا على

٥٤ب – ٥٥أ

---

(١) سورة ص آية ٢٠
(٢) سورة ص آية ٢٦
(٣) سورة ص آية ٢١
(٤) سورة ص آية ٢٢
(٥) سورة ص آية ٢٢
(٦) سورة ص آية ٢٣

داود لقصد سوء فلما رأوه مستيقظاً لا يمكنهم الوصول معه إلى مقصودهم اخترعوا الخصومة وعلم بحالهم داود فلم يكشف سترهم ولم يؤاخذهم بل جرى على عادة أنبياء الله تعالى في الرفق بهم والرأفة والرحمة وعلم أن ذلك اختبار وابتلاء من الله تعالى فخر راكعاً وأناب واستغفر لهؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل ؛ وقوله :﴿ فغفرنا له ذلك ﴾[١] يعني غفرنا ذنبهم لأجله فإنه استغفر لهم فأثنى الله تعالى عليه بقوله :﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾[٢] ومن الناس من تكلف الجواب عن تلك القصة بأجوبة لا حاجة إلى ذكرها / فإنها تجري مجرى التأويلات التي هي خلاف الظاهر بعد ثبوت القضية ولا حاجة إلى التزام ثبوت قصة يلزم منها التعرض إلى نبي كريم وهي غير ثابتة ولا صحيحة[٣] .

٥٥أ – ٥٥ب

والقول في قصة سليمان في الخيل كالقول في هذه القصة ويحمل اللفظ فيها على ظاهره من الثناء على سليمان بتوليه أمرها بنفسه ومسحه لها بيده وردها عليه بعد أن توارت ولا يحمل على الشمس وقوله :﴿ إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي ﴾[٤] تمدح بأنه يحب محبة الخير فهي زيادة في محبة الخير ونشأ له ذلك الحب عن ذكر ربه والله أعلم بمراده .

---

(١) سورة ص آية ٢٥

(٢) سورة ص آية ٢٥

(٣) وانظر الشفا ٢/١٠٢

(٤) سورة ص آية ٣٢

وأما فتنته التي قال الله :﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾[١] فهي مبينة في الحديث عن النبي ﷺ من قوله : ((لأطوّفن الليلة على مائة امرأة كلهن يأتين بفارس يقاتل في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله نسياناً فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل))[٢] ؛ وما ينقل من قصة العفريت وجلوسه على سرير ملكه وتصرفه عنه لا يصح بل هو من القصص التي ذكرناها ؛ وسؤاله الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده قيل فيه لأنه قرنه بغيره من السؤال فأحب أن يعرف إجابته ؛ وقيل ليكون معجزة لنبوته وحجة له على من خالفه وقيل ليعبد الله معه / ولا يشغله ملكه عنه فيكون في مقام الغني الشاكر وحجة على كل ملك ولا يعمل عمله[٣] ؛ وقد ذكر المعترضون غير ذلك من وجوه الاعتراض أضربنا عنها لركتها .

٥٥ب -٥٦أ

وأما ما يتعلق بنبينا ﷺ فقد ذكروا غير ما تقدم قوله :﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ﴾[٤] وقوله :﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾[٥] وأمثاله ؛ ولا حجة في شيء منه على صدور ذنب . وأما المعاتبات التي جرت في غير هذه الصورة فحاصلها يرجع إلى المعاتبة على ترك الأولى إذا [ترك][٦] التحفظ ؛ ومناصب الأنبياء

---

(١) سورة ص آية ٣٤

(٢) رواه البخاري بنحوه : ٢٠٠٧/٥ رقم ٤٩٤٤ ، رر٨ باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي .

(٣) وانظر الشفا ١٠٤/٢

(٤) سورة الفتح آية ٢

(٥) سورة الشرح آية ٢

(٦) ما بين المعقوفتين غير واضحة وهذا الذي أثبته يظهر لي أنه أقرب لرسم الكلمة والله أعلم .

تصان عن الهفوات ؛ وحسنات الأبرار سيئات المقربين والذي يحتاج إلى الكلام عليه لإزالة اللبس فيه والوهم قصة زينب المذكورة في سورة الأحزاب في قوله :﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ﴾[١] إلى آخرها ، وللمفسرين فيها بعض الاختلاف ولابد من ذكر القصة ليبنى الكلام عليه وذلك أن زينب بنت جحش أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ خطبها رسول الله ﷺ لمولاه زيد بن حارثه وكان النبي ﷺ اشترى زيداً[٢] في زمن الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه فلما خطب زينب ظنت أنه يخطبها لنفسه فرضيت ثم علمت أنه يخطبها لزيد / فكرهت ذلك وكرهه أخوها عبد الله فأنزل الله تعالى :﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾[٣] فرضيت زينب وأخوها بذلك وجعلا الأمر لرسول الله ﷺ فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً فدخل بها ثم وقع في نفس رسول الله ﷺ تزوجها فألقى الله تعالى بغضها في قلب زيد فجاء إلى النبي ﷺ وطلب طلاقها فقال له النبي ﷺ : ((أمسك عليك زوجك واتق الله)) وأعلم الله تعالى نبيه ﷺ أنها ستكون من أزواجه فلما طلقها زيد

٥٦أ -٥٦ب

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧

(٢) هو زيد بن حارثة رضي الله عنه من بني كلب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة رضي الله عنها فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم منها .

انظر : فتح الباري ٨٧/٧ .

وهذا خلاف ما ذكر المؤلف عفى الله عنه من أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتراه زمن الجاهلية والصواب ما نقلته عن ابن حجر رحمه الله .

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٦

وانقضت عدتها قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : ((أذكرها عليَّ فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها فقلت : يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذنٍ))[١] ولما ابتنى بها أولم بشاة[٢] / هذا خلاصة ما ذكر من قصة زينب ونعود إلى ما يتعلق بالمقصود وقد أكثر المفسرون وغيرهم القول في هذه الآيات التي نزلت في شأن زينب ؛ وفي قوله : ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾[٣] وقال بعضهم : عوتب على إخفاء محبتها[٤] . وقال بعضهم : على إخفاء ما أراده بالتزوج بها[٥] وروي عن عائشة رضي الله عنها وعن ابن مسعود أنهما قالا : وما نزلت على النبي ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية[٦] . وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً مما

٥٦ب – ٥٧أ

---

(١) رواه مسلم بنحوه ١٠٤٨/٢ ، ١٥ باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب رقم ١٤٢٨ لكنه ليس كل الرواية بل من قوله لزيد : ((اذكرها)) .

وانظر فتح الباري ٣٨٣/٨ عند حديث رقم ٤٧٨٧ .

(٢) انظر معجم الطبراني الكبير ٢٣/٢٤

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٧

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٩٠/١٤ وزاد المسير ٣٧٨/٦

(٥) انظر : زاد المسير ٣٧٨/٦ وتحفة الأحوذي ٤٩/٩

(٦) الطبري ١٣/٢٢ ، انظر تفسير ابن كثير ٣٨٥٣١ وتفسير القرطبي ١٨٩/١٤

أوحي إليه لكتم هذه الآية : ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس﴾[١] [٢]
إلى غير ذلك من الأقوال المروية في هذه الآية .
وفي الحقيقة هذه الآيات فيها من التنبيه على جلالة قدر النبي ﷺ وعلو منصبه وخصوصيته عند الله تعالى ما لا يعلمه سواه وليس فيها بحمد الله تعالى عتاب له على أمر فيه نقيصة ولا معصية ولا ارتكاب منهي ؛ فإن توهم متوهم ذلك من قوله :﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾[٣] فهو في نهاية الغلط وسوء الفهم كيف وفي الآيات الكريمة ما ينفي ذلك الوهم ويصد / عنه ويبين أن اللفظ غير محمول عليه فإن سياق هذه الآيات كلها تدل على وجوب طاعة النبي ﷺ وأن أفعاله وأقواله مُتبعة مقبولة مُقتدى بها لا تجري منه سدى ؛ ولا يقدرها الله على لسانه ويديه إلا عن إرادة إرشاد الأمة وهدايتهم ، فلا يُخالف ولا يتأول عليه في أمرٍ ولا يقال له : لو كان ولا كيف كان ألا ترى إلى أول الآيات كيف عتب على مخالفة أمره بتزويج زيد وكيف توعد مخالفه وعاصيه وحكم عليه بالضلال المبين حتى أسرعت زينب وأخوها إلى نكاح زيد مع

٥٧أ -٥٧ب

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧ .
(٢) رواه مسلم ١/١٦٠ حديث رقم ١٧٧ والبخاري بنحوه عن أنس ٦/٢٦٩٩ حديث رقم ٦٩٨٤ ، ٢٢ باب وكان عرشه على الماء وفيه افتخارها على زوجات النبي ﷺ .
يقول ابن حجر رحمه الله تعالى : والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعا لقبولهم)) .
فتح الباري ٨/٥٢٤
(٣) سورة الأحزاب آية ٣٧

شرف زينب وعلو منصبها ونسبها وأراد الله تعالى بذلك بيان وجوب طاعة رسوله فيما قضاه على يديه ولسانه وأنه لا عبرة بعادات العرب وما كانوا يرونه من الاحتياط لأنسابهم وأن لا ينكحون أشرافهم الموالي وكان هذا من أعظم ما يتمسكون به في عوائدهم ويفتخرون بأنسابهم ويغضبون ويأنفون ويخشون العار ؛ فبين الله تعالى لهم أن لا حكم إلا له وأن شرعه هو المتبع وطاعته وطاعة رسوله هي الواجبة ولا خِيَرَة لهم مع ذلك فلما أذعنوا لذلك وأطاعوا فيه استقر في نفوسهم أن طاعة / الرسول واجبة فيما كان من قبيل الأقوال وأنه القدوة في ذلك المتبع ثم بين وجوب الإقتداء به في تشريع الأفعال فشرع له من الفعل في شأن زينب أيضاً ما يقتدى به ويتأسى بفعله فيه وبين به ما يحل لأمته منه وأخبر نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه ولم يأمره بالإعلان بذلك والإخبار به فاستحيا النبي ﷺ من زيد أن يأمره بطلاقها ليتزوجها وعلم أن الله تعالى سيمضي له ما قدره فلهذا لما استأمره في طلاقها قال له :﴿ أمسك عليك زوجك واتق الله ﴾[1] على ما تقتضيه الشريعة الهادية ومكارم الأخلاق من الأمر بحسن الصحبة والتوفيق بين الزوجين ولم يكن ذلك رداً لأمر الله تعالى ولا خروجاً عن حكمه بل فعل ذلك مع علمه أنها ستصير زوجته وقوفاً مع ما اقتضاه التشريع الإلهي من التوفيق الذي ذكرناه ؛ فالذي أخفاه في نفسه هو ما أخبره الله تعالى به من صيرورة زينب زوجة له ولو لم يكن عين له الوقت فهو قائم بمقتضى التشريع في قوله :﴿ أمسك عليك زوجك

٥٧ب- ٥٨أ

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧

واتق الله ﴾[١] مثاب على ذلك مشكور عليه ولهذا بين الله تعالى كمال منصبه وتمكنه من القيام بما أمره الله تعالى / وأنه لم يقف مع مقتضى البشرية لرغبته في نكاحها والله قد أعلمه أنها زوجته ؛ ولا اقتضى له ذلك التفريط فيما استحبه الله تعالى له ولغيره من الأمة عند الاستشارة والمؤامرة في طلاق الزوجة لاسيما مثل زينب فقام في مثل هذه الحال بما أمر به وندب إليه فأعلن الله ذلك في كتابه إعلاماً بمقام نبيه وأنه لم يمنعه الميل الذي كان عنده إلى زينب وما أخبره الله تعالى فيما قدره في نكاحها أن نصح مولاه وأرشده فقام بأمر الله تعالى .

٥٨أ – ٥٨ب

وأثبت ولم يمنع ذلك ما قدره الله تعالى وأمضاه فهذا هو قوله :﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه ﴾[٢] يعني أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالعتق أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه مما أعلمه الله تعالى به أنها ستصير زوجته فإخفاؤه لذلك حتى لا ينسب إلى فراقها من زوجها بوجه ؛ وهو متحقق أن الله تعالى يفعل ذلك [كما] [٣] وعده فهذا كما تراه سيق لمدح النبي ﷺ وبيان عَليِّ مقامه ؛ ومن الذي يقدر على مثل هذه الحال أن يكون له ميل إلى أمرٍ أحله الله تعالى له ووعده به وتبدو له مقدماته / وتقع أسبابه وهو واقف مع أمر الله تعالى لا يخبر بميل ولا يفرط في مستحب ولا يقول هذا الذي عزمت عليه لابد وأن يقع بل يصبر إلى أن يأتيه به الله تعالى

٥٨ب – ٥٩أ

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٣) ما بين المعقوفتين منطمس في المخطوطة وهو على وجه التقريب وبه يستقيم الكلام والله أعلم .

كما وعده لا يفعل ذلك إلا من برئ من الحظوظ البشرية وكمـل مقامـه في طاعة ربه وقربه إليه والله أعلم حيث يجعل رسالاته[١] .

ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون الله تعالى أمره تجلية الحال وأنـه إذا قضـى زيداً منها وطراً زوجه إياها ليتم مقصود التشريع في حل أزواج الأدعياء بعـد قضاء الوطر فلما استأمر زيد النبي ﷺ في طلاق زينب وذكر تعظمهـا عليـه لشرفها لم يكن قضى منها الوطر قبل ذلك فقال : أمسك عليك زوجك واتق الله في أن لا تطلقها قبل قضاء الوطر ليتم المراد من تشريع الحكم ولم يعلمـه حقيقة الحال فأعلم الله تعالى أمته بذلك ليعرفوا قدر معرفته وما أطلعه الله عليه من حقائق أمره وسر قضائه وقدره فهو في معرض الثناء عليه والتنبيـه علـى عظم شأنه .

وأما قوله :﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾[٢] فليس هو على ما يظنه مـن جهل مواقع الكلام وخفي عليه ما يجب للأنبياء من التنـزيه والبراءة من مثل / هذه الأمور بل قوله : ﴿ وتخشي الناس ﴾ متصل بقوله : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ يعني والله أعلم : وتخفي في نفسك ما الله مبديه مما أعلمك الله تعالى به لئلا يقول الناس أمر مولاه بطلاق زوجته ليتزوجها ؛ ولا يعلمون أن ذلك من عند الله تعالى ولم يكن مأموراً في ذلك الوقت بالإعلام بهذا إذ لم يكن حضر وقت الأمر به لكون زينب في نكاح زيد ولم يطلقها .

٥٩أ - ٥٩ب

(١) وانظر فتح الباري ٥٢٤/٨ — وتفسير ابن كثير ٤٩٢/٣

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٧

والخشية هنا : الحياء فترك الإعلام بذلك في غير وقته حياء من الناس وخشية أقوالهم وذلك محمود إذ الحياء والخشية مما يستحيا منه ويخشى مثله إذا لم يعارض أمر الله تعالى ؛ ولم يكن فيه مخالفةُ الشرع من الأمور المحمودةِ المطلوبة شرعاً ثم قال : ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ يعني والله أعلم : في إمضاء ما أمرك به من نكاح زينب وذلك بعد أن طلقها زيد فلم يتفق زمن الخشيتين حتى يتعارضا ؛ ويقال : إنه خشي الناس فنبهه الله تعالى على أنه أحق بالخشية معاتبة بل بهذه الآية ثبت الحكم والتشريع في نكاح زينب فكأنه والله أعلم قيل : إن كنت خشيت الناس وقت خشيتهم وهو قبل طلاق زيد لزينب ووضعت الخشية في موضعها فالآن قد طلقها زيد وقد / أُمِرتَ بتزويجها لئلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم فقم بأمر الله تعالى فإنه أحق أن يخشى فقوله :﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ إعلام للأمة أنه إنما تزوج زينب بأمر الله تعالى له تشريعاً للأمة وتبليغاً لهم هذا الحكم لئلا يعترض معترض أو يقول قائل شيئاً مما كان يخشاه النبي ﷺ ؛ ولينبه على أن تزوجه بها لم يكن من قبيل الرخص والتخفيفات أباحه له ما كان ميل نفسه إليه بل هو من العزائم التي اقتضاها تبليغ الأمة كيفية الشرع وما فرض لهم فلهذا قال :﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ يعني الآن بعد أن زوجناكها فأمض ما أمضيناه وامتثل ما أمرناه فقد بان أن خشيته حياءً من الناس كان قبل الطلاق فلم يكن معنى الآية أنه خشي الناس في حالة كان أحق أن يخشى الله فيها فترك خشية الله تعالى لخشية الناس معاذ الله من ذلك .

٥٩ب – ٦٠أ

ثم إن الله تعالى أوضح ذلك بقوله :﴿ فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ﴾[(١)]
وهذا يبين ضعف قول من قال إن النبي ﷺ أحبها قبل ذلك وتمنى طلاقها ليتزوج بها فإن ذلك وإن صح في معناه بعض النقل لكن هو من قول الراوي / ١٦٠ – ٦٠ب لا من نص قول رسول الله ؛ والقرآن قاضٍ على ذلك بقوله :﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج ﴾ ..الآية .

ثم أتبعه إتماماً للمعنى ورداً على من في قلبه مرض بقوله :﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ﴾[(٢)] وبين أن ذلك :﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴾[(٣)] فكان هذا شرعاً عاماً في الرسل صلوات الله عليهم أجمعين ؛ ثم أزال اللبس في ذلك بقوله في صفتهم:﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾[(٤)] فبين للأمة وللناس كافة أن الرسل لا يخشون أحداً إلا الله فلم يبق في الآية الأولى متعلق ؛ بل بهذا التصريح أزال ذلك الموهوم ؛ وفيه تنبيه أن النبي ﷺ كذلك إما بطريق العموم ويكون قوله :﴿ الذين يبلغون ﴾ عاماً في كل من ذكر في الآية المتقدمة ؛ أو بطريق الأولى لأنه إذا كانت حالة غيره من الأنبياء كذلك وهو أكمل وأتم في كل مقام فبطريق الأولى لن يكون كذلك ثم لم يبق

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧
(٢) سورة الأحزاب آية ٣٨
(٣) سورة الأحزاب آية ٣٩
(٤) سورة الأحزاب آية ٣٩

لقائل مقالاً بقوله : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[1] فقد بان بحمد الله تعالى أن في هذه الآيات من مدح النبي ﷺ وبيان شرفه وعزَّ مقامه وعلو منصبه وكمال / فضله ما ليس لأحد سواه ؛ ووراء ما ذكرناه من البسط في ذلك والبيان ما لا يسعه هذا المختصر ؛ وفيما ذكرناه تنبيه بقليل على كثير لمن نوَّر الله بصيرته وأراه الحق والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

٦٠ب- ٦١أ

(١) سورة الأحزاب آية ٤٠

تذنيب :

إن قلت كررت في هذه المسألة ذكر الكبائر والصغائر وفرقت بين أحكامها في العصمة على بعض الأقوال وبعض الأحوال فما الكبائر والصغائر قلت:

قد تقدم أن المختار عند المحققين من الأشاعرة أن كل ذنب كبيرة[1] وأنه ليس في معاصي الله تعالى صغيرة فإن كل ذنب مخالفة ؛ ومخالفة أمر الله تعالى ونهيه

---

(١) اعترض الفخر الرازي في تفسيره على هذا القول وبين بالأدلة ما ينجلي بها أن في الذنوب كبائر وأن فيها صغائر ، تفسير الفخر الرازي ٦٠/١٠ .

ويقول ابن حجر رحمه الله تعالى عن الكبيرة والصغيرة : (وقد اختلف السلف فذهب الجمهور إلى أن من الذنوب كبائر ومنها صغائر) فتح الباري ٤٠٩/١٠ .

وفي شرح الطحاوية قال المؤلف رحمه الله تعالى : " اختلف العلماء في الكبائر على أقوال ؛ فقيل : سبعة ، وقيل : سبعة عشر ، وقيل ما اتفقت الشرائع على تحريمه وقيل : ما يسد باب المعرفة بالله ، وقيل : ذهاب الأموال والأبدان ، وقيل : سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها وقيل : لا تعلم أصلاً أو إنها أخفيت كليلة القدر ، وقيل إنها إلى السبعين أقرب ، وقيل : كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ، وقيل : إنها ما يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب وهذا أمثل الأقوال .

واختلفت عبارات السلف في تعريف الصغائر : منهم من قال : الصغيرة ما دون الحدين حد الدنيا وحد الآخرة ، ومنهم من قال : كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار ، ومنهم من قال : الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة والمراد بالوعيد ، الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا أعني المقدرة فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب ، وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة كالشرك والقتل والزنا والسحر وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ونحو ذلك كالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشهادة الزور وأمثال ذلك ، وترجيح هذا القول من وجوه :

أحدها : أنه هو المأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينة وابن حنبل رضي الله عنهم وغيرهم=

كيف يقال فيها صغيرة ؟ ولكن قد ورد في القرآن العظيم ما يدل على أن في الذنوب صغائر وفيها كبائر ، وكذلك ورد في الحديث الصحيح على ما سنورده وجماهير الفقهاء يطلقون ذلك ويفرقون في باب العدالة بين الإقدام على الكبائر والصغائر وعباراتهم في ضبط ذلك مختلفة وأقوالهم منتشرة وسنسوق ذلك مُبيّناً إن شاء الله تعالى وذلك أن المشهور من أقوال سلف الأمة

=**الثاني** : أن الله تعالى قال :﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً ﴾ فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر .

الثالث : أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب فهو حد متلقى من خطاب الشارع .

الرابع : أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر بخلاف تلك الأقوال .

فإن من قال سبعة أو سبعة عشر أو إلى السبعين أقرب مجرد دعوى ومن قال ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه يقتضي أن شرب الخمر والفرار من الزحف والتزوج ببعض المحارم والمحرم بالرضاعة والصهرية ونحو ذلك ليس من الكبائر وأن الحبة من مال اليتيم والسرقة لها والكذبة الواحدة الخفيفة ونحو ذلك من الكبائر وهذا فاسد،ومن قال ما سد باب المعرفة بالله أو ذهاب الأموال والأبدان يقتضي أن شرب الخمر وأكل الخنزير والميتة والدم وقذف المحصنات ليس من الكبائر وهذا فاسد ، ومن قال إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر وهذا فاسد لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر ومن قال إنها لا تعلم أصلاً أو أنها مبهمة فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره والله أعلم "

شرح العقيدة الطحاوية تأليف علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ، تحقيق : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة العاشرة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م . ٢/٥٢٥ .

وخَلَفَها الفرق بين الكبيرة والصغيرة وعدُّ بعض الذنوب / من الصغائر وبعضها من الكبائر ؛ وأن الصغائر هي التي تقع مُكفَّرَة بالأعمال الصالحة التي وقع التكفير بها كالصلاة والصوم وباجتناب الكبائر ، وأصحاب القول الأول يروون القول به عن ابن عباس رضي الله عنهما وأنه قال : كل ما عصي الله به فهو كبيرة[1] وفي رواية : كل ما نهى الله تعالى عنه فهو كبيرة[2] وفي رواية وليس

٦١أ – ٦١ب

في معاصي الله تعالى صغيرة[3] . واحتج القائلون بهذا القول من المعقول والمنقول .

أما المعقول : فإن الكبيرة في المعصية نسبة إما إلى نعم مَن عُصي أو إلى عَظَمَة من عُصي ولا أعظم ولا أكبر من نعمة الله تعالى ولامَنِّه فعصيانه كبيرة بالنسبة إلى نعمه وإلى جلاله .

وأما المنقول : فقوله تعالى: ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾[4] وحقيقة الاستثناء أن يكون من الجنس فالمستثنى إما أن يكون من الكبائر فيكون اللمم كبيرة أو من الفواحش فيكون اللمم فاحشة أو منهما ويحصل المقصود فإن أحداً لم يخص اسم الفواحش بما دون الكبيرة بل كثير منهم يخص اسم الفاحشة بالكبيرة ؛ وقد رُوي القول بأن الاستثناء من الجنس

---

(١) شعب الإيمان ٢٧٣/١ وبنحوه تفسير الطبري ٤١/٥ ومثله تفسير ابن كثير ٤٨٧/١

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٤٠/١٨ رقم ٢٩٣ ويقول عنه الهيثمي رجاله ثقات إلا أن الحسن مدلس وعنعنه . انظر : مجمع الزوائد ١٠٣/١ .

وفي شعب الإيمان بسند مختلف ٢٧٣/١ رقم ٢٩٢ وتفسير الطبري ٤٠/٥ ، وشرح النووي على صحيح مسلم : يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ ، ٨٤/٢ .

(٣) انظر : فتح الباري ٤٠٩/١٠ .

(٤) سورة الشورى آية ٣٧

عن جماعة من السلف منهم أبو هريرة ﷺ ومجاهد / والحسن ، وإحدى الروايات عن ابن عباس ﷺ[1] .وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : اللمم : ما دون الشرك[2] ، وفي رواية السدي[3] أنا أبا صالح سُئل عن اللمم فقال : هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فقال ابن عباس : لقد أعانك عليها ملك كريم[4] وعن الكلبي أنه قال : هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة ثم يتوب منه[5] وفي صحيح البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : ((إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه))[6] فهذا تصريح عن ابن عباس أن هذه الأمور من اللمم وهي مستثناة من كبائر الإثم والفواحش استثناءً متصلاً[7] ؛ لا يقال : قوله كبائر الإثم يدل على انقسامه إلى كبائر وغيرها لأن

٦١ب – ٦٢أ

---

(١) تفسير البغوي ٢٥٢/٤ .

(٢) تفسير الطبري ٦٧/٢٧ وتفسير القرطبي ١٠٨/١٧

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي السدي أحدى موالي قريش مات سنة سبع وعشرين ومائة ، انظر : السير ٢٦٤/٥ والطبقات الكبرى ٣٢٣/٦ وطبقات المحدثين ٤٤٤/١ وشذرات الذهب ١٧٤/١ ، تفسير الطبري ٦٧/٢٧ ، تفسير القرطبي ١٠٨/١٧

(٤) تفسير ابن كثير ٢٥٧/٤ وانظر تفسير البغوي ٢٥٢/٤ إلا أنه لم يجعل قول أبي صالح برواية السدي والله أعلم .

(٥) تفسير البغوي ٢٥٢/٤ .

(٦) رواه مسلم : ٢٠٤٦/٤ رقم ٢٦٥٧ ، ٥ باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ، والبخاري ٢٤٣٨/٦ رقم ٦٢٣٨ ، ٨ باب : وحرام على قرية .

(٧) انظر : عرض الأقوال في تفسير الطبري ٢٧/ ٦٤ – ٦٧

أحد المضافين لابد أن يكون أخص من الآخر لأنا نقول هذا مثل قولهم عـين الشيء وكل الدراهم وهو استعمال شائع .

والأكثرون على قسمة الذنوب إلى كبائر وصغائر وهو أيضاً مروي عن ابـن عباس[١]. وقد دلَّ / على ذلك الكتاب والسنة واستعمال الفقهاء من السلف والخلف. ٦٢أ – ٦٢ب

فمن أدلة القرآن: قوله تعالى:﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً ﴾[٢] وجه الاحتجاج بهذه الآية أن الله تعالى جعل اجتناب الكبائر شرطاً في تكفير السيئات فلو كان الكل كبائر لم يتحقق تكفيره ؛ وفي الآية بحث لابد من التنبيه عليه وهو أن الله تعـالى جعـل اجتنـاب الكبائر شرطاً في تكفير الصغائر وقد بين النبي ﷺ أن من الأعمال الصالحة ما هـو مكفر كالصلوات الخمس والجمعـة وصـوم رمضـان[٣] والحـج والعمـرة[٤]

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٠٨/١٧

(٢) سورة النساء آية ٣١

(٣) انظر : صحيح مسلم ٢٠٩/١ حديث رقم ٢٣٣ يشير إلى حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول : ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لمـا بينهم إذا اجتنبت الكبائر)) رواه مسلم ٢٠٩/١ حديث رقم ٢٣٣ باب الصـلوات الخمـس والجمعة إلى الجمعة ...

(٤) يشير إلى حديث أبي هريرة – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال : ((العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة رواه مسلم ٨٣/٢ ، حديث رقم ١٣٤٩، ٩،باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة .

والوضوء[١] وصوم عرفة وصوم عاشوراء[٢] ؛ وفي القرآن أن فعل الحسنة يكفر السيئة في قوله : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾[٣] وكذلك في حديث النبي ﷺ : ((وأتبع الحسنة السيئة تمحها)) [٤] فأما أن يكون هذا التعليق في قوله : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ﴾[٥] على حد قوله : ﴿ واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾[٦] وقوله : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته ﴾[٧] وقوله : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً ﴾[٨] وقوله: ﴿ فلا جناح عليكم أن / تقصروا من الصلاة إن خفتم ﴾[٩] وأمثال ذلك مما ٦٢ب – ٦٣أ

---

(١) يشير إلى حديث عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال حين توضأ : ((من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه ...)) رواه مسلم ٢٠٧/١ حديث رقم ٢٢٩ باب فضل الوضوء

(٢) يشير إلى حديث قتادة – رضي الله عنه – وفيه قول الرسول ﷺ : ((.. صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده ، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله)) رواه مسلم ٨١٨/٢ حديث رقم ١١٦٢ باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر .

(٣) سورة هود آية ١١٤

(٤) انظر المستدرك على الصحيحين ١٢١/١ رقم ١٧٨ ، وقال عنه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأنظر أيضاً سنن الترمذي ٣٥٥/٤ رقم ١٩٧٨ باب ما جاء في معاشرة الناس .

(٥) سورة النساء آية ٣١

(٦) سورة البقرة آية ١٧٢

(٧) سورة البقرة آية ٢٨٣

(٨) سورة النور آية ٣٣

(٩) سورة النساء آية ١٠١

ليس فيه المعلق على الشرط عدماً عند عدمه أو لا يكون كذلك فـإن كـان الأول هو الظاهر فاجتناب الكبائر مُكفر بالصغائر وكذلك كل ما ذكر تكفيره ؛ وقول النبي ﷺ في بعض هذه الكفارات : ((ما اجتنبت الكبـائر))[١] أو ((ما لم تغش الكبائر))[٢] لأن لا يتوهم أن الكفارة تقع للكبائر والصغائر لا أن شرط تكفير الصلوات للصغائر اجتناب الكبائر إذ لو كان كذلك لما وقعت الصلوات مكفرة لشيء لأنه إما أن يكون مع أداء الصلوات قـد اجتنبـت الكبائر أولا ؛ فإن كان قد اجتنبت الكبائر فاجتنابه للكبائر كاف في الـتكفير فلا تقع الصلوات مكفرة لشيء ؛ وإن لم يكن قد اجتنبت الكبائر فلا تكفـر الصلوات الصغائر لفوات شرط التكفير فيتعين حمل قولـه : ((مـا لم تغـش الكبائر)) على أن المراد أن الصلوات لا تكفر الكبائر التي وقعت وإن كانت تكفر الصغائر فضلاً من الله تعالى ورحمة وتكثيراً لطرق الخير .

وإن كان الاحتمال الثاني : وهو أن المعلق على الشرط عدمٍ عنْدَ عَدَمِه فيكون تكفير هذه الأعمال / للصغائر مشروط باجتناب الكبـائر وهـذا بعيـد لأن اجتناب الكبائر كاف في التكفير فلا تقع هذه الأعمال على هذا القول مستقلة بالتكفير أصلاً[٣] . ٦٣أ-٦٣ب

---

(١) صحيح مسلم ٢٠٩/١ رقم ٢٣٣ ، ٥ باب الصلوات الخمس

(٢) صحيح مسلم ٢٠٩/١ رقم ٢٣٣

(٣) يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (إن صوم رمضان والصلوات الخمس إنما تكفر ما بينـهما إذا اجتنبت الكبائر فرمضان والجمعة إلى الجمعة لا يقويا على تكفير الصغائر إلا مع انضمام ترك الكبائر إليها فيقوى بمجموع الأمرين على تكفير الصغائر) .

الجواب الكافي محمد بن أبي بكر الزرعي واختصره ابن القيم الجوزيه نشر دار الكتـب العلميـة بيروت ص١٣ .

==

ومن الدليل على انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر قول الله تعالى :﴿ وكل كبير وصغير مستطر ﴾[(١)] وقوله :﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾[(٢)] [(٣)] ومما احتجوا به قوله تعالى : ﴿ وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾[(٤)] فعطف العصيان على الفسوق فدلّ على انقسام الذنوب إلى فسوق وعصيان وهي الصغائر والكبائر ؛ ولقائل أن يمنع الاستدلال من هذه الآية[(٥)] .

واحتجوا من السنة : بما روى عبد الله بن مسعود ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ : أي الذنوب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : ((أن تجعل لله نداً وهو

=ويقول : أيضاً : ((وهذه الأعمال المكفرة لها ثلاث درجات

أحدها : أن تقصر عن تكفير الصغائر لضعفها وضعف الإخلاص فيها والقيام بحقوقها بمنزلة الدواء الذي ينقص عن مقاومة الداء كمية وكيفية .

الثانية : أن تقاوم الصغائر ولا ترتقي إلى تكفير شيء من الكبائر .

الثالثة : أن تقوى على تكفير الصغائر وتبقى فيها قوة تكفر بها بعض الكبائر .

الجواب الكافي ص٨٧

(١) سورة القمر آية ٥٣ .

(٢) سورة الكهف آية ٤٩ .

(٣) ومثله قوله تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ سورة الزلزلة آية ٧ — ٨ .

(٤) سورة الحجرات آية ٧ .

(٥) على تأويل الفسوق يعني الكذب والعصيان يعني ركوب ما نهى الله عنه خلاف أمر رسول الله ﷺ وتضييع ما أمر الله به . والله أعلم .

انظر : تفسير ابن جرير الطبري ١٢٦/٢٦ .

خلقك)) قال : قلت : إن ذلك لعظيم . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : ((أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك)) قال : قلت ثم أي ؟ . قال : ((أن تزاني في حليلة جارك)) فأنزل الله تصديقها :﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾[١] [٢]

٦٣ب – ٦٤أ وبما روى أبو بكرة قال : كنا عند / رسول الله ﷺ فقال : ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وقول الزور وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت))[٣] وبما روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((اجتنبوا السبع الموبقات)) قيل يا رسول الله وما هن ؟ قال : ((الشرك بالله تعالى والسحر وقتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات))[٤] ، وبما روى عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ((من الكبائر شتم الرجل والديه)) فقالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : ((نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٨ .

(٢) رواه البخاري ١٧٨٤/٤ رقم ٤٤٨٣ ، ٢٥٤ باب قوله : والذين لا يدعون مع الله ... ، ورواه مسلم ٩٠/١ رقم ٨٦ ، ٣٧ باب كون الشرك أقبح الذنوب .

(٣) رواه البخاري بنحوه ٢٢٢٩/٥ رقم ٥٦٣١ ، ٦ باب عقوق الوالدين من الكبائر ، ورواه مسلم ٩١/١ رقم ٨٧ .. ٣٨ باب بيان الكبائر وأكبرها .

(٤) رواه البخاري ١٠١٧/٣ رقم ٢٦١٥ ، (٢٤) باب قول الله تعالى :﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى .. ﴾ ورواه مسلم ٩٢/١ رقم ٨٩ ، (٣٨) باب بيان الكبائر وأكبرها

أمه فيسب أمه)) [١] وهذه الأحاديث في صحيح مسلم وغيره [٢] ، وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : ((الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالـدين وقتل النفس واليمين الغموس)) [٣] فهذه الأحاديث ومثلها دال على الفـرق بين الصغائر والكبائر وأن في الذنوب / ما هو أكبر وفيها ما هـو أصـغر وفي الاستدلال بها نظر فإنه ليس فيها إلا إثبات كبائر في الـذنوب ولـيس فيهـا حصرها ولا إثبات أن غيرها صغائر [٤] .

٦٤أ – ٦٤ب

وأصحاب هذا القول مختلفون في حصر الكبائر وحدها والفرق بينـها وبـين الصغائر ؛ وأصل الاختلاف يرجع إلى قولين:

أحدهما : أن الكبائر محصورة .

والثاني : أنها غير محصورة .

والقائلون بأنها محصورة اختلفوا في أنها محصورة بنوعها وعددها أو بوصفها .

والقائلون بأنها غير محصورة منهم من يقول : يمكن التوصل إلى معرفتها ومنهم من يقول لا يمكن ذلك .

---

(١) رواه مسلم ٩٢/١ رقم ٩٠ ، (٣٨) باب بيان الكبائر وأكبرها ، كتاب الإيمان ، والبخاري بنحوه ٢٢٢٨/٥ رقم ٥٦٢٨ ، (٤) باب لا يسب الرجل والديه ٨١ كتاب الأدب .

(٢) وهي كما قال ويتضح ذلك برواية مسلم التي أشرت إليها .

(٣) انظر صحيح البخاري ٢٥١٩/٦ رقم ٦٤٧٦ ، (١) باب قول الله تعالى :﴿ ومن أحياها ﴾ ٩١ كتاب الديات ، والنسائي ٨٩/٧ رقم ٤٠١١ ، (٣) باب ذكر الكبائر

(٤) بالنظر لقوله تعالى :﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ الزلزلـة آية ٦ – ٧ ، يتضح أن هناك ما يثبت وجود الصغائر بدليل من القرآن والله أعلم

فأما من يقول إنها محصورة بعينها فمنهم من عدها ثلاثة يروى ذلك عن ابن مسعود ﷺ أنه قال : ((الكبائر ثلاث : الإياس من روح الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله)) [١] وعنه أنها أربع : ((فزاد معها الإشراك بالله تعالى)) [٢] .

وقيل هي سبع : يُروى ذلك عن علي ﷺ وعدها : ((الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله تعالى وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم وأكل الربا والفرار من الزحف والتعرب[٣] بعد الهجرة))[٤]، وعن عبيد بن / عمير[٥] مثل ذلك ٦٤ب – ٦٥أ

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٤١/٥

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٥٦/٩ وقال عنه الهيثمي : إسناده صحيح انظر : مجمع الزوائد ١٠٤/١ ، وانظر : زاد المسير ٦٥/٢ وتفسير القرطبي ١٦٠/٥

(٣) التعرب بالعين المهملة هو : أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً ، وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه من غير عذر يعدونه كالمرتد)) .

النهاية في غريب الأثر : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري / تحقيق : طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ٢٠٢/٣ ، وفي نفس الأثر الذي ورد فيه هذا اللفظ بيان في نفس المعنى انظر لسان العرب ٥٨٧/١ وانظر : تفسير الطبري ٣٨/٥ .

وورد بالغين المعجمة في روايات أخرى سيوردها المؤلف لاحقاً ولها نفس المعنى .

(٤) انظر الطبري ٣٧/٥ وزاد المسير ٦٣/٢

(٥) هو : عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي أبو عاصم المكي ولد بمكة في حياة الرسول ﷺ من ثقات التابعين وأئمتهم .

توفي سنة ثلاث وسبعين للهجرة وقيل سنة أربع وسبعين .

انظر : السير ١٥٦/٤ وطبقات المحدثين ٣٤/١ وطبقات الحفاظ ٢٢/١ والطبقات الكبرى ٤٦٣/٥ والإصابة ٦٠/٥ رقم ٦٢٤٧ وصفوة الصفوة ٢٠٧/٢

وقال : وليس منهن كبيرة إلا وفيها آية من كتاب الله تعالى :﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ﴾[١] ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً ﴾[٢] ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾[٣] ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة﴾[٤] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾[٥] والتعرب بعد الهجرة : ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ﴾[٦] ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾[٧] [٨] .

---

(١) سورة الحج آية ٣١

(٢) سورة النساء آية ١٠

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٥

(٤) سورة النور آية ٢٣

(٥) سورة الأنفال آية ١٥

(٦) سورة محمد آية ٢٥

(٧) سورة النساء آية ٩٣ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٣٨/٥ وتفسير ابن كثير ٤٨٧/١ وأصله في المستدرك على الصحيحين بدون الاستشهاد بالآيات ١٢٧/١ رقم ١٩٧

ويروى مثله عن عبيدة[١] وذكر بدل القذف البهتان[٢] ، ومثله عن عطاء ذكر بل القذف والتعرب بعد الهجرة : شهادة الزور وعقوق الوالدين[٣] ؛ ومنهم من قال هي تسع وروي ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما فذكرها وزاد السحر والإلحاد في المسجد الحرام[٤] ويروى عن ابن مسعود أنه قال:افتحوا سورة النساء إلى قوله:﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ﴾[٥] فكل ما نهى الله تعالى عنه في هذه الآيات فهو من الكبائر[٦] . قال ابن جرير : وهي ما جاءت به الرواية عن النبي ﷺ وجميعها خمس : الشرك/ بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس المحرم قتلها ويدخل فيه قتل ولده خوف أن يطعم معه وقول الزور

٦٥أ – ٦٥ب

---

(١) هو : عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الهمداني الكوفي أبو عمرو وأبو مسلم ، من أصحاب عبد الله بن مسعود ﷺ ، اسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين و لم يره .

مات سنة اثنتين وسبعين للهجرة على الصحيح وقيل ثلاث وسبعين وقيل أربع والله أعلم .

انظر : طبقات الحفاظ : ٢٢/١ وسير أعلام النبلاء ٤٠/٤ وطبقات الفقهاء ٨٠/١ وشذرات الذهب ٧٨/١ .

(٢) تفسير الطبري ٣٨/٥ وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ٤٨٧/١ .

(٣) انظر: زاد المسير ٦٤/٢ ، تفسير ابن كثير ٤٨٧/١ .

(٤) انظر المستدرك على الصحيحين بنحوه ١٢٧/١ رقم ١٩٧ والمعجم الكبير ٤٧/١٧ رقم ١٠١ وقال الهيثمي عنه : رجاله موثوقون ، مجمع الزوائد ٤٨/١ ، وسنن أبي داود ١١٥/٣ رقم ٢٨٧٥ وسنن البيهقي الكبرى ٤٠٩/٣ رقم ٦٥١٥ ، تفسير الطبري ٣٧/٥ وتفسير القرطبي ١٥١/٥

(٥) سورة النساء آية ٣١

(٦) انظر : زاد المسير ٦٦/٢

وتدخل فيه شهادة الزور واليمين الغموس ؛ والسحر ؛ والفرار من الزحف ؛ والزنا بحليلة الجار[١] . وقال صاحب القوت[٢] : الكبائر سبع عشرة :

أربعة في القلب وهي : الشرك بالله تعالى ؛ والإصرار على معصيته ، والقنوط من رحمته ، والأمن من مكره .

وأربعة في اللسان وهي : شهادة الزور ؛ وقذف المحصنات ؛ واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلاً أو يُبطل بها حقاً ، وقيل : هي التي يقطع بها مال مسلم باطلاً وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار ؛ والسحر .

وثلاث في البطن : وهي : شرب الخمر والمسكر من كل شراب ؛ وأكل مال اليتيم ظلماً ؛ وأكل الربا وهو يعلم .

واثنتان في الفرج : الزنا واللواط .

واثنتان في اليدين : وهما القتل والسرقة .

وواحدة في الرجلين وهي : الفرار من الزحف .

وواحدة في جميع البدن وهي : عقوق الوالدين[٣] .

---

(١) انظر تفسير الطبري ٤٣/٥

(٢) هو : محمد بن علي بن عطية الحارثي ، أبو طالب المكي المنشأ العجمي الأصل من شيوخ الصوفية .

توفي سادس جمادى الآخرة ببغداد سنة ست وثمانين وثلاثمائة للهجرة .

انظر: سير أعلام النبلاء ٥٣٦/٦ وشذرات الذهب ١٢٠/٢ والبداية والنهاية ٣١٩/١١ ووفيات الأعيان ٣٠٣/٤ والنجوم الزاهرة ١٧٥/٤ .

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب ، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، أبو طالب المكي ، دار صادر ، المطبعة الميمنية بمصر ، ١٣٠٦هـ ، ١٤٨/٢ .

واعترض الغزالي[١] على هذا الحصر[٢] .

وأما من يقول أنها محصورة / بوصفها فقد اختلفوا فُيروى عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الكبيرة : كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب[٣] . ويُروى ذلك عن الحسن[٤] والضحاك وسعيد بن جبير . قالوا : كل ما جاء في القرآن مقترناً بذكر الوعيد فهو كبيرة[٥] . ٦٥ب – ٦٦أ

وعن الحسين بن الفضل[٦] : هي ما سماه الله في القرآن عظيماً أو كبيرة نحو

---

(١) هو : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الشافعي زين الدين أبو حامد ، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة للهجرة وقيل سنة أحدى وخمسين ، توفي بطوس صبيحة يوم الاثنين رابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة للهجرة والله أعلم .

انظر : سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩ وطبقات الفقهاء ٢٤٨/١ ، وطبقات الشافعية ٢٩٣/٢ والبداية والنهاية ١٧٣/١٢ ووفيات الأعيان ٢١٦/٤ .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين محمد بن محمد الغزالي دار المعرفة بيروت ٢٠/٤ حيث أورد مجموعة أخرى مثل فقء العين وقطع اليدين وضرب اليتيم وغيرها وفي ٢١/٤ منه أنه لم يرد في الوحي عدد حاصر للكبائر ثم بين أن الكبائر على ثلاث مراتب إحداها ما يمنع من معرفة الله تعالى ، والثانية : ما يتعلق بالنفوس ، والثالثة : ما يتعلق بالأموال .

(٣) تفسير الطبري ٤١/٥ وشعب الإيمان ٢٧٠/١ رقم ٢٩٠ وشرح النووي ٨٥/٢ وفتح الباري ٤١٠/١٠ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٤٢/٥ .

(٥) المصدر السابق ٤٢/٥ وانظر عما سبق أيضاً إحياء علوم الدين ١٧/٤ وزاد المسير ٦٣/٢ .

(٦) هو : الحسين بن الفضل بن عمير بن قاسم بن كيسان البجلي أبو علي الكوفي النيسابوري . ولد قبل الثمانين ومائة وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين في شعبان وهو ابن مائة وأربع سنين في نيسابور .

انظر : سير أعلام النبلاء ٤١٤/١٣ ترجمة رقم ٢٠٢ ، ولسان الميزان ٣٠٧/٢ والإرشاد في معرفة علماء الحديث : الخليل بن عبدالله بن أحمد الخليلي القزويني ، تحقيق : د. محمد سعيد=

قوله : ﴿ إنه كان حوباً كبيرا ﴾ [١] وقوله : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [٢] [٣]
وعن سفيان الثوري [٤] : أن الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى [٥] واحتج بما روى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ((ينادي منادٍ من بطنان العرش يوم القيامة : يا أمة محمد : إن الله تعالى قد عفا عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي)) [٦] .

=إدريس ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ٨١١/٢ وشذرات الذهب ١٧٨/١ وطبقات المفسرين ٤٨/١ والعبر ٧٤/٢

(١) سورة النساء آية ٢

(٢) سورة لقمان آية ١٣

(٣) مدارج السالكين : محمد بن أبي بكر الزرعي اختصار ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، ٣٢١/١

(٤) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع وينتهي نسبه إلى ملكان بن ثور ويكنى أبا عبد الله .
ولد سنة خمس للهجرة ومات بالبصرة في أول السنة وقيل في شعبان سنة أحدى وستين ومائة ودفن عشاءً .
انظر: طبقات المحدثين ٦٠/١ والسير ٢٢٩/٧ ، والطبقات الكبرى ٣٧١/٦ ووفيات الأعيان ٣٨٦/٢ .

(٥) مدارج السالكين ٣٢٢/١ .

(٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية الألباني ٤٣٩/٣ رقم ١٢٧٩ ، وأورده ابن القيم في مدارج السالكين ٣٢٢/١ .

وقال ملك بن مغول[١] : الكبائر : ذنوب أهل البدع ، والسيئات : ذنوب أهل السنة[٢] .

وقيل : الكبائر : ذنوب العمد ، والسيئات : الخطأ والنسيان وما أكره عليه وحديث النفس المرفوعة عن هذه الأمة .

وقيل الكبائر : ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس ، والصغائر : ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام)) [٣] ٦٦أ – ٦٦ب

وقال السدي : الكبائر : ما نهى الله تعالى عنه من الذنوب ؛ والسيئات مقدماتها وتوابعها ما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهها .

وقيل الصغائر : ما يستصغره العباد ؛ والكبائر ما يستفظعونه ويخافون موقفه[٤] ؛ ويروى عن أنس ﷺ أنه قال : إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات[٥] ويروى عن زيد بن أسلم[٦] أنه قال : كل ذنب لا يصلح معه عمل كالشرك بالله تعالى والكفر

---

(١) هو : مالك بن مغول بن عاصم بن غزية بن خرشة الإمام الثقة المحدث أبو عبد الله البجلي الكوفي توفي سنة ١٥٩ هـ وقيل ١٥٨هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء ١٧٥/٧ رقم ٦٥ .

(٢) مدارج السالكين ٣٢٢/١

(٣) مدارج السالكين ٣٢٣/١

(٤) مدارج السالكين ٣٢٣/١

(٥) رواه البخاري بنحوه ٢٣٨١/٥ رقم ٦١٢٧ (٣٢) باب ما يتقى من محقرات الذنوب

(٦) هو : زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب ﷺ يكنى أبا أسامة ويقال : أبو عبد الله .
مات بالمدينة في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .
انظر : طبقات الحفاظ ٦٠/١ والطبقات الكبرى القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، تحقيق : زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية الطبعة =

بآيات الله تعالى ورسله ومن دعى لله ولداً أو صاحبة كبيرة ؛ وأما ما يصلح معه العمل فإن الله يغفر السيئات بالحسنات[١] ، وكأن هذا القائل لا يرى الكبائر إلا كفراً .

وأما من يقول : هي غير محصورة ولكن يمكن التوصل إلى ضبطها فقد تشعبت أقوالهم في ضبطها ونذكر من أقوالهم ما يقرب :

قال الغزالي رحمه الله تعالى في البسيط : الضابط الشامل المعنوي في ضبط الكبيرة : أن كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف وحذر[٢] ندم كالمتهاون / بارتكابها والمستجرئ عليه اعتياداً فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون كبيرة . ٦٦ب ـ ٦٧أ

وما يحمل على فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة ؛ هذا كلامه في البسيط[٣] . وذكر في كتاب الإحياء فصلاً طويلاً في ذلك خلاصته : أن الكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع لأن الكبيرة والصغيرة من المضافات ؛ وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى ما دونه صغير بالنسبة إلى ما فوقه[٤] ، وقال : والحق في ذلك أن الذنوب

=الثانية ١٤٠٨هـ ، ٣١٤/١ وسير أعلام النبلاء ٣١٦/٥ وشذرات الذهب ١٩٤/١ والعبر في خبر من غبر ١٨٣/١ .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤٨٧/١ وانظر معناه في مدارج السالكين ٣٢٥/١

(٢) يستقيم الكلام أكثر بحرف ((الواو)) إذا وضع هنا وليس في المخطوط حرف الواو ولربما أنه سقط سهواً والله أعلم

(٣) لم أجد الكتاب فيما تيسر لي والله أعلم .

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي ٢٠/٤

منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه وإلى ما يعلم أنه من الصغائر وإلى ما يشك فيه ، والطمع في حد حاصر أو عدد جامع طلب لما لا يمكن فإنه يتوقف على السماع من رسول الله ﷺ ولم ير ذلك محصوراً[1] . قال : وربما قصد الشرع إبهامه ليكون العباد منه على وجل نعم لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق وأما أعيانها فتعرف بالظن والتقريب ، ونعرف أيضاً أكبر الكبائر / فأما اصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته . وبيانه أن المقصود الأقصى ببعثة الأنبياء عليهم السلام : أن يعرف العبد نفسه وربه ولا يتم ذلك إلا في الدنيا فحفظها مقصود تابع للدين ؛ والمتعلق منها بالآخرة النفوس والأموال فأكبر الكبائر ما يسد باب معرفة الله تعالى ويليه ما يسد باب حياة النفوس ويليه ما يسد باب المعائش فهن ثلاث مراتب : حفظ المعرفة على القلوب والحياة على الأبدان ، والأموال على الأشخاص ولم تختلف الملل في هذه الثلاثية فالكبائر على ثلاث مراتب : ٦٧أ – ٦٧ب

الأولى : ما يمنع المعرفة : وهو الكفر ويتلوه الأمن من مكر الله تعالى ؛ والقنوط من رحمته ، وتتلوه البدع المتعلقة بذاته وصفاته وأفعاله وبعضها أشد من بعض وتنقسم إلى ما يعلم أنه داخل تحت الكبائر المذكورة في القرآن وما يعلم أنها غير داخلة وما يشك فيه ؛ وطلب رفع الشك من القسم المتوسط طمع في غير المطمع .

المرتبة الثانية : النفوس ؛ إذ بقاؤها وسيلة إلى المعرفة .

فمن الكبائر : القتل ويلحق به قطع الأطراف وكل ما يفضي إلى الهلاك كالحرابة وبعضها أكبر من بعض وفي / هذه الرتبة تحريم الزنا لتشويشه ٦٧ب – ٦٨أ

(١) إحياء علوم الدين ٢١/٤

الأنساب وإبطاله التوارث والتناصر وبعثه على المقاتلة ففيه وسيلة إلى إعدام النفوس وكذلك اللواط فيه دفع الوجود وهو قريب من قطع الوجود .
المرتبة الثالثة : الأموال : وهو سبب لبقاء النفوس فما أخذ منها وأمكن استرداده لم يعظم الأمر فيه وإن أخذ بطريق يعسر تداركه إما بخفية كالسرقة أو لضعف طالبه كمال اليتيم ؛ أو لعسر طريق التدارك كشهادة الزور واليمين الغموس فجدير أن تكون من الكبائر قال : وأما أكل الربا فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضي مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبتعد أن تختلف الشرائع في مثله .
والمصير إلى أن أكل دانق بالخيانة والغصب كبيرة من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك ؛ وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضرورياً في الدين .
وأما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير أن يكون من الكبائر لأن العقل محفوظ كما أن النفس محفوظة لكن هذا لا يجري في قطرة الخمر ولا شك أنه لو شرب ماء فيه قطرة خمر/ لم يكن كبيرة والقطرة وحدها في محل الشك. ٦٨أ – ٦٨ب
وإيجابُ الشرعُ الحدَّ يدل على تعظيم أمره فيعد من الكبائر بالشرع فإن ثبت إجماع فيه وجب الإتباع وإلا فللتوقف فيه مَجَال .
وأما القذف بالزنا فقد عظم الله أمره ؛ وأظن الصحابة كانوا يعدون ما وجب فيه الحد كبيرة فبهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس ؛ ومن حيث اختلاف الشرائع فيه لا يدل القياس على أنه كبيرة .

وأما السحر فهو بحسب ما فيه من كفر وضرر(١) وأما الفرار من الزحف فهو من حيث القياس في محل التوقف لكن دل الحديث على تسميته كبيرة فيلحق بالكبائر فإذا رجع حاصل الأمر إلى أن نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع .

وكذلك تنقسم إلى ما علم أنه لا يكفر قطعاً وإلى ما ينبغي أنه يكفر وإلى ما يتوقف فيه ؛ والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والإثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب الله تعالى أو سنة رسول ﷺ وإذ لا مطمع فيهما فرفع الشك محال)) (٢)

قلت : بين هذا الكلام الذي قاله في الإحياء وما قاله في البسيط بعض الاختلاف وسببه / أنه هنا نظر إلى تحقيق معنى الصغيرة والكبيرة من حيث ٦٨ب – ٦٩أ

(١) يقول الغزالي عنه : فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره الأحياء ٢٣/٤ ، والصواب والله اعلم : أن السحر قرين الشرك فهو كفر محض وكما سبق فإن السحر لا ينعقد من الساحر إلا في حال وقوع الشرك منه .

فإيقاع السحر على المسحور أيا كان سواء هلاك أو مرض أو غيره يقوم به شيطان من الجن تحقيقاً لطلب الساحر وهذا الساحر لا يستجاب له طلب في هذا الخصوص لدى شياطين الجن إلا بعد أن يقدم لهم العبودية سواء من دون الله أو مع الله فلذلك خرج من دائرة المعصية وأصبح شركاً ، أما كونه يعد من الكبائر وهو من الشرك فإن الشرك نفسه من الكبائر بالنص قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

من ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((اجتنبوا السبع الموبقات . قيل : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله تعالى والسحر .... الحديث))

رواه البخاري ١٠١٧/٣ رقم ٢٦١٥ باب ٢٤ قول الله تعالى : إن الذين يأكلون أموال اليتامى . ورواه مسلم ٩٢/١ رقم ٨٩ باب ٣٨ بيان الكبائر وأكبرها

(٢) انظر أحياء علوم الدين ٢١/٤ ـــ ٢٣

كونها ذنباً ومعصية سواء كانت مما تخرم العدالة أو لا تخرمها ؛ وفي البسيط إنما قصد ضبط الذنوب التي تخرم العدالة وقد أشار إلى قريب من هذا المعنى في آخر هذا الفصل في الإحياء وذكر معناه : ((أنا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر وأن الشهادة نفياً وإثباتاً لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة إلا مالا يخلو عنه الإنسان غالباً لضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس { وهو }[1] الظن والكذب في بعض الأقوال وسماع الغيبة وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائداً على حد المصلحة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه في الدين فهذه ذنوب لا ينفك عن قليلها وكثيرها إلا بالعزلة والمجاهدة بخلاف لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد[2] ومجالسة الشراب في وقت الشرب والخلوة بالأجنبيات وإلى مثل هذا المنهاج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردها لا إلى الكبيرة / والصغيرة[3] .

٦٩أ – ٦٩ب

(١) ما بين المعقوفتين في الإحياء ٢٤/٤ بدلا عنها لفظ : ((وسوء)) وبه يستقيم الكلام

(٢) النرد : شيء يلعب به فارسي معرب وهو النردشير ، وشير بمعنى حلو لسان العرب ٤٢١/٣ مادة نرد والنهاية في غريب الأثر ٣٨/٥ ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طارق أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ، وأيضاً النرد : الكعب الذي يلعب به . كتاب العين ٢٢/٨ باب الدال والراء والنون .

(٣) انظر إحياء علوم الدين ٢٤/٤

وقال ابن الصلاح[١] : الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عِظماً يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة وَوُصِفَ بكونه عظيماً على الإطلاق[٢] فهذا فاصل لها عن الصغيرة وإن كانت كبيرة بالإضافة إلى ما دونها فليس يطلق عليها الوصف بالكبر والعظم إطلاقاً ثم إن لكبر الكبيرة وعظمها إمارات تعرف بها منها : إيجاب الحد والإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة ووصف فاعلها بالفسق نصاً واللعن[٣] .

قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام[٤] : إذا أردت معرفة الصغائر من الكبائر فأعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فإن

---

(١) هو : عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي أبو عمرو ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة للهجرة ، وتوفي فجر الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة للهجرة ، وصلي عليه بجامع دمشق .

انظر : طبقات الحفاظ ٥٠٣/١ وطبقات الفقهاء ٢٦٤/١ ، والسير ١٤٠/٢٣ وشذرات الذهب ٢٢١/٣

(٢) فتاوى ابن الصلاح ، عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان الشهر زوي ، تحقيق : د . موفق عبدالقادر ، مكتبة العلوم والحكم ، عالم الحكم بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ص١٤٨

وانظر : شرح النووي على مسلم ٨٥/٢ .

(٣) فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبو عمرو ، تحقيق / د . عبد المعطي أمين قلعجي ط١ ، ١٤٠٦ دار المعرفة بيروت ١٤٧/١ ـ ١٤٨

(٤) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب أبو محمد سلطان العلماء الشيخ عز الدين الدمشقي الشافعي ، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة للهجرة ، توفي في مصر عاشر جمادي الأولى سنة ستين وستمائة للهجرة ودفن بالقرافة والله اعلم .

انظر : البداية والنهاية ٢٣٥/١٣ ، وشذرات الذهب ٣٠١/٢ ، وطبقات الشافعية ٢٠٩/٨ والنجوم الزاهرة ٢٠٨/٧

نقصت من أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو أربت عليها فهي من الكبائر فمن شتم الرب أو الرسول أو استهان[١] أو كذب واحداً منهم أو ألقى المصحف في القاذورات فهو من أكبر الكبائر وإن لم يصرح الشرع به وكذلك إذا أمسك امرأة محصنة لمن زنى بها أو أمسك مسلماً لمن يقتله فمفسدة ذلك أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر ، وإذا دل/ الكفار على عورة المسلمين مع علمه أنهم يستأصلونهم بدلالته ويَسْبُون حريمهم بجريرته ويأخذون أموالهم ويزنون بنسائهم ويخربون ديارهم فهو أعظم مفسدة من توليه يوم الزحف . كذلك لو كذب على إنسان كذباً يعلم أنه يقتل بسببه .

٦٩ب-٧٠أ

قال : وفي الوقوف على تساوي المفاسد وتفاوتها عِزَّةٌ لا يهتدي إليها إلا من وفقه الله تعالى ، والوقوف على التساوي أعز من الوقوف على التفاوت ولا يمكن ضبط المصالح والمفاسد إلا بالتقريب ثم قال في أواخر هذا الكلام : الأولى أن نضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه إشعاراً صغر الكبائر بذلك[٢] هذا خلاصة ما وقفت عليه من الضوابط التي تميز بين الصغيرة والكبيرة عند من يرى أن الكبائر محصورة بوصفها أو عوارضها .

وأما من يقول : لا يمكن التوصل إلى ذلك ففي كلام الغزالي في الإحياء الذي نقلناه آنفاً ما يشير إلى هذا المعنى ونقل عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هي ؟ قال : هي إلى السبعين أقرب وفي رواية : هي إلى سبع مائة

---

(١) المصدر فيه زيادة ((بالرسل)) وبه يستقيم الكلام والله أعلم

(٢) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، دار الكتب العلمية بيروت ص١٩ ـــ ٢٢

أقرب[1] قال الواحدي[2] : الصحيح أنه ليس للكبائر حد / يعرفه العباد ٧٠أ – ٧٠ب تعرف به وتميز به من الصغائر تميز إشارة ولو عرف ذلك لكانت الصغائر مباحة ولكن الله تعالى يعلم ذلك وأخفاه عن العباد ليجتهد كل أحد في اجتناب ما نهى عنه رجاء أن يكون مجتنباً للكبائر ونظير هذا في الشريعة إخفاء الصلاة الوسطى في الصلوات وليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الإجابة في الجمعة .

وههنا مذهب أخر في تمييز الكبائر عن الصغائر ليس من مذاهب أهل السنة بل هو مبني على أصول المعتزلة : إن النظر في ذلك إلى ما استحق العبد من الثواب بطاعاته ومن العقاب بالمعصية فإن كان ثوابه أرجح إذا أحبط الثواب بالعقاب فالمعصية صغيرة وإن كان عقابه أرجح فهي كبيرة[3] وهذا فاسد مبني على فاسد إذ لا يعرف خلافاً في أن شرب اليسير من الخمر كبيرة أو أكل درهم بالربا أو من مال اليتيم فإذا فعله من اشتغل طول عمره بالتوحيد والتسبيح والتقديس والطاعات فإما أن يقولوا عقابه على هذا اليسير أعظم من

---

(١) تفسير الطبري ٤١/٥ وتفسير القرطبي ١٥٩/٥ وشرح النووي على صحيح مسلم ٨٤/٢

(٢) هو : الإمام المفسر على بن أحمد بن محمد بن على الواحدي النيسابوري أبو الحسن الشافعي ولد بنيسابور وتوفي فيها بعد مرض طويل وكانت وفاته في جمادي الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة للهجرة وكان من أبناء السبعين والله اعلم .

انظر : طبقات المحدثين ١٣٤/١ ، وشذرات الذهب ٣٣٠/٢ ،وسير أعلام النبلاء ٣٣٩/١٨ ووفيات الأعيان ٣٠٣/٣ وطبقات الفقهاء ٢٣٦/١

(٣) انظر : كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق : د . محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد ، الناشر مكتبة الخانجي مصر مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م ص٣٩٠

ثواب طاعاته أولاً فإن قالوا ذلك فقد أبطلوا قاعدة الحسن والقبح وإن لم يقولوا به لزمهم أن لا يكون ذلك كبيرة فهذا ما أردنا ذكره / في الصغائر والكبائر من الذنوب وهو مما ساقه الكلام في عصمة الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام والله اعلم .

٧٠ب – ٧١أ

تتمة : الإجتناب المكفر ما وقع طاعة لله تعالى . قال الغزالي : ((هو وقع مع القدرة والإرادة كمن تمكن من امرأة فكف نفسه عن المواقعة ؛ ويقتصر على نظر ولمس فكفه لنفسه ومجاهدته لها مكفر لما وقع منه من المقدمات فلو كان عنيناً أو امتنع لخوف أمر أخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلاً وكذلك من لا يشتهي الخمر لو أبيحت لما شربها لا يكون تركها مكفراً عنه لما يتعاطاه من مقدماتها كسماع الملاهي المحرمة[1]

وهذا الذي ذكره الغزالي حسن[2] والقصد أن يقع الإجتناب طاعة لله تعالى وتركاً لما نهى الله تعالى عنه لكونه نهى عنه والله اعلم .

تنبيه : في كلام العلماء ما يقتضي أن الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة وَرُوِىَ عن ابن عباس : لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار[3]

---

(١) انظر الأحياء ٤/٢٢

(٢) هذا الكلام يفتح الباب على مصراعيه للزنا وذلك أنه إذا كانت مقدمات الجماع بمن لا يحل جماعها صغائر مكفرة بترك ذلك الجماع المحرم فإنه دعوة للذة المحرمة يدعوى مغفرتها بترك الكبيرة وهذا معارض بقاعدة سد الذرائع أولا ولقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ وكل استمتاع محرم دون الوطء فهو قرب للزنا بقدره ومعلوم أن سبب الشرك في نبي آدم هو وضع صور للصالحين وليست كالشرك لكنها بذرته ثم أثمرته فمنع الصور قطع وحسم لمادة الشرك وكذلك ما يقرب للزنا يجب قطعه قطعا لفاحشة الزنا والله اعلم

(٣) انظر تفسير الطبري ٥/٤١ ، وشعب الإيمان ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ٥/٤٥٦ رقم ٧٢٦٨=

وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنهما . قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : ((الإصرار على الصغيرة بمثابة ارتكاب /الكبيرة . وذكر حد الإصرار : أن تتكرر المعصية منه تكراراً يشعر بقلة مبالاتة بذنبه إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك[1] . وقال ابن الصلاح : ((المصر من تلبس أضداد التوبة باستمرار العزم على المعاودة أو استدامة الفعل بحيث يدخل به ذنبه في

٧١أ-٧١ب

=وجامع العلوم والحكم ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ص١٧٩وأفاد أنه روي مرفوعاً من وجوه كمال .

وروي عن أبي هريرة ﷺ انظر : مسند الحارث الحارث بن أبي إسامة (زوائد الهيثمي) ، الحافظ نور الدين الهيثمي ، تحقيق : حسين أحمد صالح الباكري مركز خدمة السنة والسيرة النبوية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م الطبعة الأولى ٣٢١/١ .

وكذلك روي عن الرسول ﷺ في مسند الشهاب ، محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي و تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٦م ٢٠٤/٢ رقم ١١٨٩ .

قال إسماعيل العجلوني : ((رواه أبو الشيخ والديلمي عن ابن عباس رفعه وكذلك العسكري عنه في الأمثال بسند ضعيف لاسيما ورواه ابن المنذر في تفسيره عن ابن عباس من قوله والبيهقي عن ابن عباس موقوفاً وله شاهد ثم البغوي ومن جهة الديلمي عن أنس مرفوعاً ورواه إسحاق بن بشر في المبتدأ عن عائشة لكن حديثه منكر وأخرجه الطبراني عن أبي هريرة وزاد في أخره ... لكن في إسناده بشر ورواه الثعلبي وابن شاهين في الترغيب عن أبي هريرة ، كشف الخفا إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ، تحقيق : أحمد القلاش مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ٤٩٠/٢ رقم ٣٠٧١

(١) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، ص٢٢/١،٢١ .

حيز ما يطلق عليه الوصف بصيرورته عظيماً[١] أو كبيراً وليس لزمان ذلك وحدَّه[٢] حصر))[٣]

وأما ما قاله ابن عبد السلام من أن اجتماع الصغائر المختلفة الأنواع بحيث يشعر بمجموعها ما يشعر به أصغر الكبائر يكون بمثابة الكبيرة ففيه نظر إذ إلحاق الصغيرة بالكبيرة عند الإصرار عليها . قد روي عن السلف وفي الإصرار على النوع الواحد قلة مبالاة قد تُلْحِقُ فاعله بفاعله ، وأما اختلاف أنواع الصغائر فلا يكاد يخلو عنه إلا الأفراد وقد قدمنا كلام الغزالي رحمه الله تعالى فيما تنخرم به العدالة وذكر أنواعاً من الصغائر لا تخرم العدالة منها الغيبة وسماعها ؛ والذي قال ابن عبدالسلام هو مقتضى ما ذكر من الضابط بين الكبيرة والصغيرة

(١) في الفتاوى بواو العطف وليس بأو

(٢) في الفتاوى بدل حده : عدده

(٣) فتاوى ابن الصلاح ١/١٤٨ ـــ ١٤٩

الباب الثالث

لفظ الصديق ومعناه وشرفه

٧١ب – ٧٢أ

لفظ الصديق ومعناه وشرفه /

الصديق : فعيل من الصدق[١] ، والصدق أصله في القول ، وهو مخصوص بالخبر دون غيره من الكلام ، وهو مطابقة الخبر للمخبر عنه ، وتوسع فيه حتى قيل في كل خبر ماضياً ومستقبلاً وعداً أو غير وعد كما قال تعالى في حق إسماعيل : ﴿ إنه كان صادق الوعد ﴾ [٢]وقد يتوسع فيه عن الخبر إلى الاستفهام والسؤال لما يُفهم من حال المستفهم السائل فيكون صدقه في حاله الذي دل عليه كلامه ؛ والعبارة الشاملة للنوعين أن يقال :الصدق مُطابقَة القول للضمير والمخبر عنه معاً ؛ فمتى لم يطابق أحدهما صح وصفه بالكذب ألا ترى أن الله تعالى وصف المنافقين بالكذب لما أخبر عنهم : يقولون للنبي ﷺ ﴿ نشهد إنك لرسول الله ﴾ [٣] فقال : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾[٤] مع مطابقة خبرهم للمخبر عنه لكن لم يطابق في ضمائرهم لأنهم لم يكونوا على اعتقاد ذلك[٥] .

---

(١) انظر : لسان العرب ١٩٣/١٠ مادة صدق والقاموس المحيط ١١٦١/١ مادة صدقة والعين ٥٦/٥ باب القاف والصاد والدال

(٢) سورة مريم آية : ٥٤

(٣) سورة المنافقون آية : ١

(٤)نفس الحاشية السابقة

(٥) انظر المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٧ مادة صدق ، ويقول ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسير ذلك : ((والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد إنك لرسول الله وذلك أنها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك))

تفسير ابن جرير الطبري ١٠٦/٢٨

واختلفت عبارات العلماء في تفسير في[1] نفس الصديق ومعناه وقد ورد في الشرع ذكر الصديق في مواضع ؛ ويجمعها كلها المبالغة في الصدق وبكثيره . أقوال العلماء : فقيل : الصديق من كثر منه الصدق ؛ وقيل من لم يكذب قط ؛ / وقيل من لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق ، وقيل الصديق من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله .

٧٢أ - ٧٢ب

واشتهر في عرف الشرع لمن بلغ بصدقه في قوله وفعله إلى درجة تلي درجة الأنبياء

وللفقراء وأهل المعارف في هذا المعنى كلام لطيف المرام خفي الإشارة ليس من حظ الفقيه التوسع فيه ولا الخوض في شرحه إلا من جمع الله تعالى له مواد الهداية [بقيم][2]، [أيده][3] العناية وسنذكر منه طرفاً لطيفاً في الفصل الثاني ننبه علىا غيره وأما ورود هذا اللفظ في الشرع فقد ورد في القرآن العظيم في مواضع منها قوله تعالى :﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾[4] قال المفسرون الآية نزلت على سبب وفيه أقوال حاصلها يرجع إلى أن المؤمنين أو بعضهم أحزنهم بعدهم عن النبي ﷺ في الجنة لكونه في درجة الأنبياء وهم دون ذلك فنزلت الآية ليبين الله تعالى

---

(١) يستقيم الكلام بحذف حرف الجر ((في)) فتكون العبارة : واختلفت عبارات العلماء في تفسير نفس الصديق ومعناه ، لكن هكذا في المخطوط والله أعلم .

(٢) هذه الكلمة لم تتضح جيداً فهي إما : أمده أو أيده والله أعلم .

(٣) هذه الكلمة لم تتضح جيداً أو الذي اثبته هو أقرب شيء ما ظهر لي من رسم الكلمة والله أعلم .

(٤) سورة النساء آية ٦٩

أنه[١] لا يفارقونه في الآخره كما لم يفارقونه في الدنيا وليس المراد أنهم معه في درجة واحدة بل المراد أنهم لا يحجبون عنه ولا يبعدون / عنه مع تفاوت الدرجات[٢] ٧٢ب – ٧٣أ
واختلفت عبارات المفسرين في تفسير الصديق فقال ابن المظفر[٣] من صدق بكل أمر الله تعالى لا يخالجه في شيء منه شك وصدق الأنبياء فهو صديق[٤]
وقال الكلبي : الصديقون : أفاضل أصحاب النبي ﷺ واختار هذا القول : البغوي[٥] . وقال مقاتل[٦] الصديقون : أول من صدق بالأنبياء حين عاينوهم

---

(١) هكذا في المخطوط ويستقيم الكلام لو كانت : ((أنهم)) بدل : ((أنه)) والله أعلم .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٦٣/٥ وتفسير القرطبي ٢٧١/٥ وزاد المسير ١٢٦/٢ وتفسير الفخر الرازي ١٣٦/١٠ .

(٣) هو : أبو الحسن محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن محمد البغدادي ولد ببغداد في شهر محرم سنة ٢٨٦ هـ محدث العراق حافظ مجود مات في جمادى الأولى سنة ٣٧٩ هـ يوم الجمعة انظر : سير أعلام النبلاء ٤١٨/١٦ رقم ٣٠٦ وطبقات الحفاظ ٣٩٠/١ وشذرات الذهب ٩٦/٢ والنجوم الزاهرة ١٥٥/٤ .

(٤) لم أعثر عليه فيما تيسر لي من مراجع

(٥) هو : الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي له التفسير وشرح السنة وغيرها ، توفي بمرو الروز بخراسان في شوال سنة ستة عشر وخمسمائة وعاش بضع وسبعين سنة وقيل عاش ثمانين سنة وقيل جاوز الثمانين .
انظر طبقات المحدثين ١٥١/١ وطبقات الحفاظ ٤٥٧/١ وسير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩ وشذرات الذهب ٤٨/٢ وطبقات الشافعية ٢٨١/٢ ووفيات الأعيان ١٣٦/٢ والنجوم الزاهرة ٢٢٤/٥ .
واختياره في تفسيره معالم التتريل تحقيق : خالد العك ومروان سوار دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ٤٥٠/١ .

(٦) مقاتل بن سليمان بن بشر البلخي الأسدي مولاهم الخرساني ، قيل إنه ولد بعد وفات الضحاك ، أي سنة ست ومائة للهجرة بأربع سنين ، أي في سنة وتوفي بالبصرة سنة خمسين ومائة للهجرة وقيل بضع وخمسين ومائة . ==

وقال الزجاج[١] الصديقون : أتباع الأنبياء . وقد ذكر فخر الدين الرازي ما يدل على اختياره قول من قال : أنه أول من صدق الرسل ؛ فإنه قال ذلك وأكده بما روي أن النبي ﷺ قال : ((ما عرضت الإسلام علىا أحد إلا وله كبوة إلا أبو بكر فإنه لم يتلعثم)) [٢] هذا ذكره وأشار إلى أن فيه دلالة على سبق إسلامه وإلا لزم أن يكون الرسول أخَّر عرض الإسلام عليه ؛ وكان له في ذلك مزية أخرى فإنه صار قدوة لغيره لأنه كان كبير القدر عالي المحل فاقتدى به غيره ولم يزل يجاهد عن الله تعالى ورسوله ﷺ في ابتداء الإسلام إلى تمامه ، وأجمع من يعتد بقوله من المسلمين على تسليم هذا اللقب له وأنه / أحق الناس به ؛ ويؤخذ من ذلك أن مرتبة الصديقية تلي مرتبة النبوة[٣] على ما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

٧٣أ – ٧٣ب

=انظر: شذرات الذهب ٢٢٧/١ ، ١٢٤/١ وسير أعلام النبلاء ٢٠١/٧ وتاريخ بغداد : أحمد بن علي بن أبو بكر الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .١٦٠/١٣ ووفيات الأعيان ٢٥٥/٥

(١) هو : إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج البغدادي أبو إسحاق النحوي ، مات في جمادى الأولى سنة أحدى عشرة وثلاثمائة للهجرة وقيل سنة عشرة وثلاثمائة وقيل توفي يوم الجمعة التاسع عشر من جمادى الآخر سنة عشرة وثلاثمائة وقد أناف على ثمانين سنة والله أعلم انظر: شذرات الذهب ٢٥٩/١ ، وسير أعلام النبلاء ٣٦٠/١٤ والبداية والنهاية ١٤٨/١١ ووفيات الأعيان ٤٩/١

(٢) تفسير ابن كثير٤٤/٢والرياض النضرة للطبري٥/٢الفصل التاسع في خصائص أبي بكر ﷺ

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٣٨/١٠ كما أنه أورد الأقوال في معنى الصديق إلا أنه لم ينسبها إلى قائليها كما فعل المؤلف هنا .

وقد قال أبو القاسم الراغب هاهنا كلاماً حسناً فقال : فأما درجات الارتقاء فأولها أن يرتدع الإنسان عن المآثم ويهجرها ويندم عليها ويعزم على ترك معاودتها وذلك أول درجة التائبين المطيعين لله تعالى ولرسوله ﷺ .

وثانيها : أن يقوم بالعبادات :الموظفة عليه على قدر وسعه وذلك درجة الصالحين .

وثالثها : أن يبحر في تعلم الخير الحقيقي في تعاطي الحسنات من غير تلفت إلى السيئات والمحظورات بمجاهدة هواه وإماتة شهواته وذلك منزلة الشهداء

ورابعها : أن يكون مع هذه الأحوال المتقدمة يرضى ظاهراً وباطناً بقضاء الله تعالى فلا يتزعزع تحت حكمه ولا يتسخط شيئاً من أمره ويعلم أن الله تعالى أولى به من نفسه وذلك درجة الصديقين ؛ قال : وهذه المنازل الأربعة هي المراد بقوله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء / والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾[1] [2] .

٧٣ب – ٧٤أ

ومن المواضع الذي ورد فيها هذا اللفظ في القرآن قوله تعالى :﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة ﴾[3] وقيل وصفت بالصديقية كما وصف به الأنبياء لأنها لما كلمها جبريل وصدقته عند نزوله إليها استحقت اسم الصديقية بذلك وهي المرتبة التي ليس بعدها إلا النبوة ؛ وقيل شرح ذلك مشهور في قوله تعالى :﴿ وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من

---

(١) سورة النساء آية ٩٦

(٢) لم أجده فيما توفر لدي من مراجع

(٣) سورة المائدة آية ٧٥

القانتين﴾[١] فبذلك سميت صديقة . وقيل : سميت صديقة بالمعنى الذي بيناه أولاً وهي الدرجة العالية للأولياء على ما بيناه من معنى الصديق[٢] ومن ذلك قوله تعالى في وصف إبراهيم ﷺ : ﴿ إنه كان صديقاً نبياً ﴾[٣] وكذلك في وصف إدريس ؛ وهذه الصديقية درجة عالية مع النبوة تلازمها وقد تنفك الصديقية عن النبوة وقد بينا فيما تقدم أن النبوة ليست أمراً يرجع إلى ذات العبد ولا إلى عرض من أعراضه ولا صفة من صفاته بل هي عبارة عن إرسال الله تعالى إلى العبد بذلك ؛ والصديقية مرتبة يجعلها الله تعالى / للعبد بما اتصف به من معنى الصديق الذي تقدم شرحه فلهذا صح وصف الشخص الواحد بأنه صديق وأنه نبي ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحديد :﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴾[٤]

٧٤أ-٧٤ب

وقد احتج بهذه الآية من يرى أن كل مصدق بالله تعالى ورسله فهو صديق إذ هو ظاهر الكلام ، وهذا قول مجاهد[٥] ولا حجة له فيها لوجهين :

أحدهما : أن من الناس من قال في هذه الآية : المراد بها قوم مخصوصون قيل هم ثمانية أنفس سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام : أبو بكر وعلي

---

(١) سورة التحريم آية ١٢

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٥٢/١٢

(٣) سورة مريم آية ٤١

(٤) سورة الحديد آية ١٩ .

(٥) انظر : قوله في تفسير الفخر الرازي ٢٠٢/٢٩ لكن في تفسير ابن جرير عند هذه الآية نسب القول لمجاهد بأن كل مؤمن شهيد ، تفسير ابن جرير ٢٣١/٢٧ ، وكذلك مثله في زاد المسير ١٧٠/٨

وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة ، وتابعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله تعالى بهم لما علم الله تعالى من صدق نيته ، قاله الضحاك[١]

الوجه الثاني : أن الكلام يحتمل أن يكون متصلاً بما قبله ويكون هذا وصفاً للمصدقين والمصدقات المذكورين في الآية قبلها ؛ وفي الآية كلام آخر يختص بالشهداء نذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد ورد لفظ الصديق في الحديث النبوي في مواضع كثيرة ، والذي يحتاج إلى الكلام عليه في غرضنا موضعان :

٧٤ب — ٧٥أ

أحدهما : قوله / من حديث : ((وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله تعالى صديقاً))[٢] وفي هذا ترجيح لقول من يرى أن الصديق من كثر منه الصدق واعتاده لقوله : يتحرى الصدق .

والموضع الثاني : ما روى أنس أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان صعدوا أُحداً فرجف بهم فضربه رسول الله ﷺ وقال : ((اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان))[٣] ففرق هاهنا بين المقامات الثلاثة وخص الصديقية بأبي

---

(١) انظر قوله في تفسير الفخر ٢٩/٢٠٢ وهو أيضاً في زاد المسير ٨/١٧٠ لكن الفخر لم ينسبه إلى الضحاك .

(٢) سنن أبي داود ٤/٢٩٧ رقم ٤٩٨٩ وانظر البخاري ٥/٢٢٦١ رقم ٥٧٤٣ ، (٦٩) باب قول الله تعالى :﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ وانظر : مسلم ٤/٢٠١٢ رقم ٢٦٠٧ (٢٩) باب قبح الكذب وحسن الصدق .

(٣) بنحوه صحيح ابن حبان ١٤/٤١٦ رقم ٦٤٩٢ لكنه عن سهل بن سعد ، ومسند الإمام أحمد ٥/٣٣١ رقم ٢٢٩٦٤ — ٢٢٨٦٢ ، عن سهل بن سعد وبنحوه البخاري ٣/١٣٤٤ رقم ٣٤٧٢ .

بكر ﷺ مع أن الشهادة للنبي ﷺ وللباقين وذكر في الحديث لكل منـــهم مــا يميزه عمن دونه وسيأتي إشباع القول في ذلك لله تعالى .

الفصل الثاني

فضل الصديقية

وقد تقدم الكلام في تفسير الصديق فمن رأى أن الصديق هو الذي صدق الله تعالى ورسوله : لم يخالجه شك في شيء من ذلك ، فكأنه يقول : الصديق هو المؤمن الصحيح الإيمان العلي الدرجة فيه ؛ ففضائل الصديق فضائل المؤمن وفضائل الصديقية فضائل الإيمان الصحيح وفضائل الإيمان لا تخفى فهو أصل الفضائل وأسها به تنال الدرجات / وتصح للعبد مقامات القرب لأنه إذا لم يحصل الإيمان فيكيف ما فوقه وليس غرضنا ذكر فضائل الإيمان لأن المقصود ذكر ما ينال به الدرجة التي تقتضي التفضيل على درجة الشهادة ؛ والصديق على هذا القول لا يقال هو أفضل من الشهيد ولا من العالم المرضي وإنما القصد ذكر فضيلة الصديقية على قول من يرى أنه تالي النبي في الرتبة فمن فضائلها : أنها من أوصاف النبيين قال الله تعالى :﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ﴾[1] .

٧٥أ – ٧٥ب

فمدحه بالصديقية وهو إبراهيم الخليل ﷺ . ومن فضائله قوله تعالى :﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾[2] ومن فضائله ما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة)) وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

(١) سورة مريم آية ٤١

(٢) سورة النساء آية ٦٩

٧٥ب – ٧٦أ

والصالحين﴾[١] / فعلمت أنه خير))[٢] وكفى بهذا فضيلة قوم اختار النبي ﷺ مرافقتهم وهم مع الأنبياء ؛ وهذه الفضيلة لا تختص بالصديقين بل هي لهم وللشهداء .

ومن يقول الصديق لا يطلق إلا على السابقين إلى تصديق الرسل كأبي بكر ﷺ فكفى بذلك شرفاً وتقدماً ، وقد قال الله :﴿ السابقون السابقون * أولئك المقربون﴾[٣] وذكر ما أعد لهم من الخير الذي لهم[٤] ؛ يشاركهم فيه أصحاب اليمين فهذه المعاني يكون الصديق تالي النبي في الدنيا والآخرة فإن قلت : فقد قال الله تعالى :﴿ أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾[٥] فجعل المؤمنين بإيمانهم بالله ورسوله صديقين وشهداء ولم يشترط غير ذلك قلت : يحتمل أن يكون قوله : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله ﴾[٦] متصلاً بما قبله من تمام أوصاف من تقدم ذكره في قوله :﴿ إن المصدقين والمصدقات

---

(١) سورة النساء آية ٦٩

(٢) رواه البخاري ١٦٧٥/٤ رقم ٤٣١٠ ، (٩٢) باب فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ، ومسلم بنحوه ١٨٩٣/٤ رقم ٢٤٤٤ ، كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة .

(٣) سورة الواقعة ١٠ – ١١

(٤) هكذا في المخطوط ويستقيم الكلام أكثر لو جعلنا : ((لهم)) : لم ، أو أضفنا ((لم)) بعدها ، والله أعلم .

(٥) سورة الحديد آية ١٩ .

(٦) سورة النساء آية ١٥٢

﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم﴾[١] ويكون من اتصف بهذه الصفات كلها هو الصديق

ويكون المراد بالشهيد من يشهد على الناس يوم القيامة وقد قرئ :﴿إن المصدقين والمصدقات﴾[٢] بالتخفيف[٣] فبهذا صاروا صديقين / وقد ذكر بعض العلماء الوقف عند قوله : ﴿أولئك هم الصديقون﴾[٤] وأن ابتداء الكلام من قوله : ﴿والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾[٥] [٦] وأنه فرق في هذه الآية بين مقام الصديقين ومقام الشهداء ووصف الصديقين بالأوصاف المتقدمة ثم قال :﴿والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾[٧] يعني بالشهداء الأنبياء الذين شهدوا على الناس يوم القيامة فأبهم جزاؤهم لعظمته فقال :﴿عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾ وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٨] وهذا معنى حسن وفي الآية كلام آخر أشار إليه

٧٦أ - ٧٦ب

---

(١) سورة الحديد آية ١٨

(٢) سورة الحديد آية ١٨

(٣) تفسير الطبري ٢٧/٢٣٠.

(٤) سورة الحديد آية ١٩

(٥) سورة الحديد آية ١٩

(٦) تفسير الطبري ٢٧/٢٣٠

(٧) سورة الحديد آية ١٩

(٨) يشير بذلك : إلى حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن=

الشيخ محي الدين بن العربي[١] سيأتي في هذا الفصل إن شاء الله وقد ذكر أبو الحكم بن راكان[٢] في تفسيره في هذه الآية ما لفظه يعطى هذا: إن المؤمنين بالله ورسله صديقون شهداء لكنهم في ذلك على درجات فأفضلهم في ذلك أتباع الرسل باليقين والعلم والعمل وهم الذين أوجب الله تعالى الإيمان على عباده المؤمنين بوجودهم وهم الذين يأتون يوم القيامة زمراً تلو الأنبياء ؛ قال الله تعالى :﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل / ٧٦ب – ٧٧أ من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾[٣] أي بالمقيمين الصلاة وهؤلاء هم إخوان الرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم الذين حافظوا على عهده وحفظوا وصاياه واتبعوا هديه لهم أجرهم على أعمالهم ولهم نورهم لتصديقهم وإيمانهم،قال رسول الله ﷺ:((يدخل الجنة من أمتي سبعون ألف أو سبعمائة ألف مع كل زمرة سبعون ألف أو سبعمائة ألف بغير حساب أول زمرة منهم صورهم على صورة القمر ليلة البدر ثم على أشد كوكب إضاءة في السماء))[٤]

=شئتم : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾)) رواه البخاري ١١٨٥/٣ حديث رقم ٣٠٧٢ باب ما جاء في صفة الجنة والله أعلم .

(١) هو : محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ولد سنة ستين وخمسمائة للهجرة . ومات بدمشق في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة للهجرة والله أعلم انظر : سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣ ، والبداية والنهاية ١٥٦/١٣ وشذرات الذهب ١٩٠/٣

(٢) لم أعثر عليه لكثرة من يكنى أبا الحكم إلا أني لم أجد بينهم من هو ابن راكان والله أعلم .

(٣) سورة النساء آية ١٦٢

(٤) لم أجد حديث بهذا النص لكن روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي حازم عن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف – لا يدري أبو حازم أيهما قال – متماسكون آخذ بعضهم بعضاً لا يدخل أولهم حتى يدخل=

جعلنا الله تعالى منهم وألحقنا بهم . وقال[١] في موضع آخر : قسم الله تعالى العباد أربعة أقسام :

الصديقون وأتباعهم وكان أولاً لهم : أبو بكر ﷺ .

ثم الفقهاء وحملة الدين ومقدمو الناس ؛ والناس أتباع لهؤلاء فكان عمر ﷺ أولاً لهم .

ثم الملوك أولو الأمر ووزعة الناس الناظرون لهم الحافظون لجملتهم وكان عثمان ﷺ أولاً لهم ظهر ذلك في معاوية ﷺ .

ثم العلماء بالله تعالى وآياته وهم حملة علوم الصديقين ومعارف المؤمنين من العلم المكنون ، وكان علي بن أبي طالب ﷺ / أوّلاً لهم ، وكان للصديقية تبع ٧٧أ – ٧٧ب

=آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر)) صحيح البخاري ٢٣٩٩/٥ حديث رقم ٦١٨٧ باب صفة الجنة والنار .

وأورد الترمذي رحمه الله تعالى حديثاً عن طريق أبي أمامة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألف وثلاث حثيات من حثياته)) وقال عنه هذا حديث حسن غريب ، سنن الترمذي ٦٢٦/٤ رقم ٢٤٣٧ .

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أن حذيفة بن اليمان ﷺ يقول : غاب عنا رسول الله ﷺ يوماً فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج فلما خرج سجد سجدة فظننا أن نفسه قد قبضت فيها فلما رفع رأسه قال : ((إن ربي تبارك وتعالى استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم فقلت : ما شئت أي رب هم خلقك وعبادك ، فاستشارني الثانية فقلت له كذلك ، فقال : لا أحزنك في أمتك يا محمد وبشرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ...))

مسند الإمام أحمد ٣٩٣/٥ رقم ٢٣٣٨٤ ، وقال عنه الهيثمي : إسناده حسن ، مجمع الزوائد ٦٨/١٠ .

(١) أي أبو الحكم بن راكان .

كالعمرين ودولتهما ، ولم يكن لحملة العلم المكنون دولة بعد سوى الذي كان أوّلاً لها وذلك مسطر إن شاء الله تعالى .

وبذلك ترجع الصديقية في هذه على الصديقية الأولى كما ترجع النبوة بعيسى بن مريم على نبوة محمد صلوات الله عليهم وسلامه[١] . هذا آخر كلامه الذي قصدنا نقله .

واعلم أن أكثر العلماء والفقراء وأهل المعارف مطبقون على أن مقام الصديقية تلو مقام النبوة وأنه من أعلى المقامات عند الله تعالى واسم الصديق لا يقع في عرفهم إلا على من علا مقامه وحصل له من درجة القرب إن لم يبق بعد مقامه إلا النبوة ، فكل صديق ولي الله تعالى وليس كل ولي لله تعالى صديقاً ؛ وقد قال الغزالي رحمه الله تعالى: ليس بعد الصديقية إلا النبوة فمن تخطى مقام الصديقين وقع في مقام الأنبياء وناهيك به مقاماً ورتبة .

قال الحكيم الترمذي[٢] رحمه الله تعالى في كلامه : الصديقون أمان أهل الأرض وهم خلفاء النبيين لما خلت الأرض من النبوة شكت إلى الله تعالى وعجت / فروي في الحديث أنه قال : سوف أجعل عليك أربعين صديقاً كلما مات واحد أبدل الله تعالى مكانه[٣] .

٧٧ب — ٧٨أ

---

(١) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع والله أعلم .

(٢) هو : محمد بن علي بن الحسن بن بشر الخراساني أبو عبد الله وفي تاريخ وفاته أقوال : أحدها أنه غير معروف ، والثاني : أنه بعد سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة ، والثالث : أنه في سنة عشرين وثلاثمائة للهجرة .

انظر : طبقات الحفاظ : ٢٨٦/١ وشذرات الذهب ٢٢٠/١ وسير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٣ وطبقات الشافعية ٢٤٥/٢ وطبقات المفسرين(٢) ٥٦/١

(٣) انظر : نوادر الأصول في أحاديث الرسول ، مؤلفه : محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي ، تحقيق : د . عبد الرحمن عميرة دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢م ٩٨/٢ ولم=

وفي كلام آخر له قال : وأما العيون فهي أربع : تسنيم ، وزنجبيل ، وكافور ، وسلسبيل . فالأبرار لهم الكافور خاصة ؛ والأبرار هم الصادقون ، وأما المقربون فلهم التسنيم خاصة وهم الصديقون[١] .

قال سيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر[٢] المشهود له بالتقديم والولاية في كلام له : وأما قسم خاص الخاص من الصدق فهو لا يوصل إليه بالمكاسب والوسائل والتقليد لأن الصدق على الحقيقة خلعة فضل من جناب الحق تعالى على باطن الإنسان فتظهر على الظاهر قوة في مواطن الهلكة ما هي على وصف البشر فيرى كما قال الله تعالى :﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى ﴾[٣] ويكون قيم هذا من المتفضل عليه بالنعمة ؛ أشهده بالنعمة منه وحده ولم يكن بينهما واسطة فيكون بدايته من هذا الحال نهايته كما ورد : جذبة من جذبات الحق توازن عمل الثقلين[٤] هذا كان منزل الصديق ﷺ خرج في بدايته يريد ماء ليسبح فوجد / عينا فنزل فيها ليسبح فوقع في صدره شطر من الإيمان [٥] فشهد ٧٨أ – ٧٨ب

=أجد من خرجه فيما تيسر لي من مراجع ، علماً أن هذه الرتب والتقسيمات لا يسندها دليل صحيح فيما أعلم وهي من ترهات الصوفية ويرون أنهم أهل تلك المقامات وهو ما سيتضح من نقل المؤلف لاحقاً لبعض أقوالهم .

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٢٧/١٩

(٢) لم يتضح لي يريد به مع إمكان أنه المراد عبدالقادر الجيلاني والله أعلم .

(٣) سورة الروم آية ٥٠

(٤) كشف الخفاء (العجلوني) ٣٩٧/١ رقم ١٠٦٩ وتحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين محمد بن البشير بن محمد حسن ظافر المدني أبو عبد الله ، المحقق محيي الدين مستو ط١ تاريخها ١٤٠٥ دار ابن كثير دمشق ١٣٣/١

(٥) لم أجد من قال بذلك فيما توفر لدي من مراجع ممن يقتدى به لكن الصوفية يريدون أن يجعلوا لهم سلفاً بهذا الكلام وأمثاله والله اعلم

شهادة الحق بالحق وعرف صحة رسالة المصطفى بالنظر لا بالخبر فضعفت البشرية لمقابلة حال الصدقية في البداية كما ضعفت بشرية المصطفى ﷺ في البداية في مقابلة الحالة النبوية لما نزل عليه الوحي ؛ فوقع الصديق في العين فابتلت أثوابه فقام وأتى بيته فخلعها والتفَّ في عباءةٍ فوافقته ملائكة السماء في ذلك الوقت فلما لقي الرسول ﷺ وقال له : أنا رسول الله فقال له : صدقت . ومن ثم وقعت الشهادة له : ((ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بسرٍ وقر في صدره))[1] والنبي ﷺ قد أعلم أن في الأرض صديقاً أيضاً .

وهذا كان الأصل الذي ظهر فرعه يوم موت النبي ﷺ طلع المنبر بجنان قوي غير متعتع وتحته المهاجرون والأنصار وهذا قد شهر سيفه يقول : من قال أن محمداً مات علوته بسيفي هذا وهذا قد قعد وهذا قد ارتج عليه وصاحب الوقت قوي [بقوي][2] يقول لما طلع المنبر : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله / رب محمد فإن الله رب محمد حي لم يمت ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾[3] فلما كان له من

٧٨ب – ٧٩أ

---

(١) نقد المتقول محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق : حسن السماعي سويدان ، دار القادري ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ص١٠٤ رقم ١٥١ ، وقال عنه : فصل ما وضع في فضائل الصديق رضي الله عنه ، قد وضع جهلة المنتسبين إلى السنة في فضائل الصديق وذكر هذا الحديث ونسبه إلى أبي بكر بن عياش

(٢) مابين المعقوفتين أوله حرف غير معجم والأظهر ما أثبته والله أعلم .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٤٤

الحق مثل هذا ظهر منه مثل هذا وقوله : ((لأقاتلنهم ولو بابنتي هـاتين)) [١]
إفهم ولا يحملك الهوى فتهوى .
واعلم أن الملك لله يعطي من يشاء ما يشاء ويمنع من يشاء ما يشاء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وصاحب هذا القسم صادقاً صديقا[٢] . انتهى كلامه .
قال أبو العباس الإقليشي[٣] رضي الله عنه في كلام له .
((والذين تم لهم الصدق هم الصديقون بُولِغَ في صفة صدقهم لكونهم في المرتبة العليا من الصدق وليس فوقهم في الرتبة إلا النبيون الذين أخذوا الصدق من معدنه ورأوا النور في مطلعه وهؤلاء لما صدقوهم ودانوا بالصدق في جميع أمورهم كانوا صديقين ؛ ولشرف أبي بكر في هذا المقام لزمه هذا الاسم وصار له علماً من الأعلام فإذا قيل الصديق علم أنه أبو بكر على التحقيق)) [٤]
وقال النعري[٥] : الصديقية في القلب والصدق في اللسان .

---

(١) لم أجده فيما توفر لدي من مراجع
(٢) لم أجده فبما توفر لدي من مراجع .
(٣) هو : أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الأندلسي الداني ، أصل أبيه من إقليش مدينة بالأندلس وسكن دانية وبها ولد ونشأ .
توفي بقوص وقيل بمكة سنة خمسين وخمسمائة للهجرة وقيل أحدى وخمسين وخمسمائة للهجرة والله أعلم .
انظر : شذرات الذهب ١٥٤/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣٥٨/٢٠ ، والعبر في خبر من غبر ١٣٩/٤ .
(٤) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع
(٥) لم أعثر عليه لكثرة من سمي النعري

٧٩أ – ٧٩ب قال / الشيخ محيي الدين بن العربي البحر الزاخر في المعارف الإلهية[١] : ((ومن الأولياء الصديقون رضي الله عنهم تولاهم الله تعالى بالصديقية قال الله تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴾ [٢] فالصديق من آمن بالله ورسله عن قول المخبر لا عن دليل سوى النور الإيماني الذي يجده في قلبه المانع له من تردد أو شك يدخله في قول الرسول المخبر وتعلقه على الحقيقة الإيمان بالرسول ويكون الإيمان بالله تعالى على جهة القربة لا على إثباته إذ كان بعض الصديقين قد ثبت عندهم وجود الحق ضرورة أو نظراً ولكن ما ثبت كونه قربة ثم إن الرسول إذا آمن به الصديق آمن بما جاء به توحيده الإله وهو قوله : ((قولوا لا إله إلا الله)) [٣] ، و﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [٤]فعلم أنه واحد في ألوهيته من حيث قوله فاعلم انه لا إله إلا الله فذلك يسمى إيماناً ويسمى المؤمن به على هذا الحد صديقاً[٥] ثم قال : فقد بان لك مرتبة الصديقية وأن الصديق هو صاحب النور الإيماني الذي يجده ضرورة في غير قلبه كنور البصر الذي جعله الله تعالى في البصر فلم يكن للعبد / فيه كسب ، لذلك نور ٧٩ب – ٨٠أ

---

(١) أخطأ المؤلف في وصف ابن العربي وإلا فحقه أن البحر الزاخر في الضلالات الإلحادية .

(٢) سورة الحديد آية : ١٩

(٣) عن طارق بن عبد الله المحاربي قال : ثم رأيت رسول الله ﷺ في سوق ذي المجاز وعليه حلة حمراء وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ... الحديث)) رواه ابن خزيمة ٨٢/١ رقم ١٥٩ وابن حبان ٥١٧/١٤ رقم ٦٥٦٢ والحاكم في المستدرك ٦٦٨/٢ رقم ٤٢١٩

(٤) سورة محمد آية : ١٩

(٥) هذا شطح وخيال ولا أساس له ولا دليل عليه ولكن الصوفية هكذا يعملون خيالاتهم بالألفاظ ليضلوا الناس ويوهموهم بأنهم أصحاب علم ومعارف والعلم والمعرفة بريئان منهم والله أعلم .

الصديق في بصيرته ولهذا قال : أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم من حيث الشهادة ونورهم من حيث الصديقية فجعل النور للصديقية والأجر للشهادة وهي بنية مبالغة في التصديق[١] .

والصديق كشريب وخمير وسكير فليس بين النبوة الرسالية التي هي نبوة التشريع ، والصديقية مقام ولا منزلة فمن تخطى رقاب الصديقين وقع في النبوة))[٢] ثم قال : ((ولكل رسول صديق إما من عالم الإنس أو من عالم الجن ؛ فكل من آمن عن نور في قلبه ليس له دليل من خارج سوى قول الرسول: ((قل)) ولا يجد توقفاً وبادر فذلك الصديق فإن آمن[٣] نظرٍ ودليلٍ من خارج أو توقف عند القول حتى أوجد الله تعالى ذلك النور في قلبه فآمن فهو مؤمن لا

---

(١) توحيد الصوفية هذا يوضحه ابن تيمية بقوله عن الواحد منهم ((قد تنعقد في قلبه مقاييس فاسدة ومواجيد فاسدة يحكم بمقتضاها في الربوبية أحكاماً فاسدة مثل أحكام المتصوفة الغلاة منهم ــ إلى اعتقاد أن الرب هو الوجود المطلق الذي لا يتميز وأن عين الوجود هو عين الخالق وأنه ليس وراء السماوات والأرض شيء آخر إنما هذه الأشياء كلها مراتب للصفات وأن الربوبية والإلهية مراتب ذهنية شكوكية وأما في الحقيقة فليس إلا عن ذاته فالمحجوبون يرون المراتب والمكاشف ما يرى إلا عين الحق ويحسبون ويحسب كثير بسببهم أن هذا التوحيد هو توحيد الصديقين الذين عرفوا الله وحالهم كما يقول أحدهم : القرآن يوصل إلى الجنة وكلامنا يوصل إلى الله)) بتصرف مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد ، التصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ، ٦٥/٢ .

(٢) الفتوحات المكية ، محيي الدين ابن عربي ، مكتبة الوراق على الإنترنت http://alwaraq.com/ ص١٣٢٧ .

(٣) يحتمل سقوط حرف ((عن)) أو نحوه لكنه هكذا في المخطوط .

صديق فنور الصديق معد قبل وجود المصدق به ونور المؤمن غير الصديق يوجد بعد قول الرسول قل لا إله إلا الله)) (١) .

وقال في فصل آخر في كلام طويل : الصديقية نور أخضر بين نورين يحصل بذلك النور شهود عين ما جاء به المخبر من خلف حجاب الغيب إلى أن قال : والصديقية مستندها من الأسماء الإلهية المؤمن ولذلك أثرها في المخلوقات / ٨٠أ - ٨٠ب الإيمان وكذلك أسماؤهم المؤمنون الصديقون لهم النور لصدقهم إذ لولا النور لما عاينوا صدق المخبر وصدق الخبر من خلف حجاب هذا الهيكل فطوبى لهم ثم طوبى وحسن مآب)) (٢) .

وقال في فصل آخر : ((أجزاء الصديقية بضعة وسبعون جزء على عدد شعب الإيمان(٣) الذي يجب على الصديق التصديق بها وليست الصديقية إلا الإتباع ؛ والأنبياء أتباع الشرائع صديقون لأنهم يتلقون التشريع بصفة الإيمان فهم صديقون . قال : والأجزاء التي تحصل بها الصديقية : منها سلامة العقل ، والفكر الصحيح ، والخيال الصحيح ، والإيمان بصدق المخبر، وإن حالة(٤)

---

(١) الفتوحات المكية ١٣٢٨ و لم أجد ما يعضد هذا الكلام لا في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة الكرام رضي الله عنهم ولا في أقوال السلف رحمهم الله تعالى والله اعلم .

(٢) الفتوحات المكية ص١٤٤٢ .

(٣) وهذا من خبث الصوفية حيث يريد أن يتقرب إلى الناس بإيهامهم أن خيالاتهم متوافقة مع النص الشرعي وإلا فإن كلامه هذا لا أصل له .

(٤) في المصدر : أحاله .

العقل الذي ليس بصحيح ؛ قال : فإذا كان بهذه المثابة حصلت له الصـــديقية ويكون هذا المجموع أجزاءها . قال : وهذا هو النور الأخضر)) [١] .

وكلام أهل المعارف في تحقيق مقام الصديقية . وذكر فضله لا يحصر في هـــذا المختصر فلنقتصر على هذا القدر ففيه الإشارة إلى المعنى ؛ والغرض الأعظـــم بيان أن مقام الصديقية يتلو مقام النبوة ظاهراً ليُعلَم أن هذه الرتبة في أي مقامٍ تكون ويبنى على ذلك القولُ في التفصيل فيما بعد / إن شاء الله تعالى . ٨٠ب – ٨١أ

تنبيه : الذي دلت عليه كلمات أكثر القوم أنه ليس بين النبوة والصديقية مقام آخر وقد صرح بذلك الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى وقال : ليس بين الصديقية والنبوة مقام ومن تخطى رقاب الصديقين وقع في النبوة ؛ والنبوة باب مغلق وكان يقول : لا تتخطوا رقاب الصديقين[٢] .

وقد قدمنا كلام الإقليشى في ذلك .

وذكر محيي الدين بن العربي : "أن بين نبوة التشريع وبين الصديقية مقاماً سماه مقام القربة وتكلم فيه وذكر أنه حصل له ذوقاً ولم يجد من يؤنسه وأنه بعـــد ذلك وجد فيه أبا عبد الرحمن السلمي [٣] وأخبره أنه قبض في ذلك المقـــام ولا

---

(١) الفتوحات المكية ص١٥٣٦- ١٥٣٧ . لكن لا يوجد نور أخضر في النصوص الشرعية إنما هذا محض خيال ودجل .

(٢) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع .

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي السلمي النيسابوري كبير الصوفية ، ولد في عاشر جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثلثمائة للهجرة وقيل في رمضان سنة ثلاثين وثلثمائة للهجرة ، وورد أنه كان يضع للصوفية الأحاديث ، وله تفسير فيه أشياء عـــدت مـــن زندقة الباطنية ، توفي بنيسابور ودفن بها وذلك في رجب وقيل يوم الأحد ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة للهجرة والله اعلم . ==

يبرح فيه ؛ وذكر له أن الخضر صاحبه في ذلك المقام وسماه له مقام القربة[(١)] .

وذكر الشيخ محيي الدين : أنه لما تحقق بهذا المقام رأى فيه لعلماء الرسوم من أهل الاجتهاد قدماً راسخةً لكنهم لا يعرفون أنهم فيه ورأى الإمداد الإلهي يسرى إليهم من هذا المقام ولهذا ينكر بعضهم على بعض ويخطئ بعضهم بعضاً لكونهم لا يعلمون من أين يستمدون وكلهم على حق كما أن الأنبياء كل على / شرعة ؛ والإيمان بكل واجب وهم ورثة الأنبياء لكن الأنبياء عرفوا من أين استمدادهم فلهذا بعضهم يشد من بعض لأن المقام حصل لهم ذوقاً فيعرفون مَن بعثهم وبماذا بعثهم حتى قال : ولو قال الخضر لموسى ﷺ من أول الأمر : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ [(٢)] لما أنكر عليه . وقال في إثناء كلامه : ولا نشك أن الأنبياء أصحاب الشرائع هم أرفع عباد الله من جميع بني آدم ومع هذا لا يبعد أن يحصل عند المفضول علم يخصه الله تعالى به ليس عند الفاضل)) [(٣)] ؛ ثم قال : ((ومن هذا المقام حصل لأبي بكر الصديق السر الذي

٨٠أ – ٨١ب

=انظر : شذرات الذهب ١٩٦/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٤٧/١٧ ، وطبقات المفسرين ٩٧/١ والعبر في خير من غبر ١١١/٣ ، والبداية والنهاية ١٢/١٢ ، وتاريخ بغداد ٢٤٨/٢ والنجوم الزاهرة ٢٥٦/٤

(١) الرتبة الشرعية والمقام الشرعي لا يكون إلا بدليل شرعي ولم أجد في القرآن الكريم ولا في السنة الشريفة ولا في أقوال الصحابة الكرام رضي الله عنهم ما يعضد هذه التقسيمات لكن الصوفية يعتمدون على خيالاتهم الفاسدة ومواجيدهم الفاسدة ما يفسدون به دين الله عز وجل ويفسدون به عباد الله فهم جند إبليس وجند الشياطين في احتيال الناس عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

(٢) سورة الكهف آية : ٨٢

(٣) الفتوحات المكية ص١٨٢٦ ثم إن هذا الكلام لا يصح في التكاليف الشرعية ؛ فإن غير النبي مأمور بالإقتداء بالنبي وكل نبي ورسول يأمر قومه الذين بعث إليهم باتباعه في العبادة =

وقر في نفسه وظهرت قوة ذلك السر مع رقّته وقول عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ حين أمر أن يصلي بالناس : إنه رجل أسيف (١) والنبي ﷺ يعرف منه بالسر الذي حصل عنده مالا تعرفه الجماعة فما بقي أحد يوم مات

=والإخلاص فيها لله رب العالمين فالقائم على دين الله هم رسل الله وأنبياؤه وعلى الأمم الإقتداء بهم واتباعهم ولا يقبل من واحد سواهم أي زيادة في الدين وفي حديث الثلاثة الذين سألوا عن عمل الرسول ﷺ وقال : أحدهم أصوم ولا أفطر والثاني قال : أصلي ولا أنام ، والثالث الذي قال : لا أتزوج النساء أن الرسول ﷺ أنكر ذلك منهم مع أن قصدهم ظاهر في القربة والعبادة لله سبحانه وتعالى فيما أرادوه وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ((ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)) رواه مسلم ١٠٢٠/٢ رقم ١٤٠١ وقال ﷺ ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) رواه مسلم ١٣٤٣/٣ رقم ١٧١٨ باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، فمن تبع هدى الله فلن يضل ولن يشقى ولا يمكن معرفة هدي الله إلا عن طريق الأنبياء والرسل .

يقول الله عز وجل : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ سورة البينة آية : ٥ ، والأمر بالعبادة لا يأتينا إلا عن طريق الأنبياء والرسل ومن جاءه أمر بالعبادة من الله مباشرة فلا يكون إلا نبي أو رسول . ولا يكون غير النبي أفضل من النبي ؛ كيف يكون ذلك والنبي قائده وقدوته وهاديه وأعلم بالله منه وأكثر تقوى لله منه وأكثر خشية لله منه هذا لا يكون البتة ، ثم لو قدر أن عند غير النبي علم في شرع الله لم يكن عندي النبي لكان ذلك الغير بهذا العلم أفضل من النبي و ((من جوز أن يكون غير النبي أفضل منه فهو من أقوال بعض ملاحدة المتأخرين من غلاة الشيعة والصوفية والمتفلسفة ونحوهم)) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، جمع وتحقيق : د . محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ، ١١٧/٢ والله اعلم

(١)رواه البخاري ٢٣٦/١ حديث رقم ٦٣٣ باب حد المريض أن يشهد الجماعة ، ومسلم ٣١٣/١ حديث رقم ٤١٨ باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ... من يصلي بالناس .

والأسيف : السريع البكاء والحزن . وأسيف : السريع الحزن الرقيق ، انظر : معجم العين ٣١٢/٧ باب السين الفاء ؛ والياء ولسان العرب ٥/٩ مادة أسف

رسول الله ﷺ إلا ذهل في ذلك اليوم وخولط في عقله وتكلم بما ليس الأمـر عليه إلا أبو بكر الصديق فما طرأ عليه من ذلك بل رقى المنبر وخطب الناس وذكر موت النبي ﷺ فقال : ﴿ من كان / يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ﴾ ثم تلا : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [1] ثم تلا : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [2] فسكن جأش الناس حتى قال عمر : والله ما كأني سمعت بهذه الآية إلا في اليوم [3] وهذا قوله عليه السلام : ((فإذا وجبت فلا تبكين باكية)) [4] وأما قبل وقوع الموت فالبكاء محمود وكذا فعل أبو بكر لما قام رسول الله ﷺ فقال : ((ما تقولون في رجل خير فاختار لقاء الله)) فبكي أبو بكر وحده من بين الجماعة وعلم أن رسول الله ﷺ قد نعى لأصحابه نفسه [5] فأنكر الصحابة عليه بكاءه

٨١ب- ٨٢أ

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤

(٢) سورة الزمر آية : ٣٠

(٣) انظر صحيح البخاري ١٣٤١/٣ حديث رقم ٣٤٦٧ باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا ، وصحيح ابن حبان ٥٨٩/١٤ حديث رقم ٦٦٢٠ باب وفاته ﷺ

(٤) المستدرك على الصحيحين ٥٠٣/١ رقم ١٣٠٠ عن جابر بن عتيك ، وسنن أبي داود ١٨٨/٣ رقم ٣١١١ باب فضل من مات في الطاعون عنه أيضاً ، وسنن النسائي ((المجتبى ١)) ١٣/٤ رقم ١٨٤٦ باب النهى عن البكاء على الميت ، وصحيح ابن حبان ٤٦١/٧ رقم ١٣٨٩ ذكر بيان بأن المصطفى ﷺ لم يرد بقوله : الشهداء خمسة نفيا عما وراء هذا العدد

(٥) روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : ثم خطب رسول الله ﷺ الناس وقال : ((إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما ثم الله)) قال : فبكى=

وهو كان أعلم فلما مات عليه السلام بكى الناس وضجوا ولم يبك أبو بكر امتثالاً لقوله : ((فإذا وجبت فلا تبكين باكية)) [١] هذا كله من السر الذي أعطاه هذا المقام ؛ فالذي ينبغي أن يقال : ليس بين محمدٍ وأبي بكر رجلُ لا أنه ليس بين الصديقية والنبوة مقام فإن الصديق تابع بطريق الإيمان فما أنكره متبوعة أنكر وما قرره متبوعة قرر وهذا حظ الصديق / من كونه صديقاً ومن كون مقامٍ آخر لا يَحكُم عليه حال الصديقية . ٨٢أ-٨٢ب

وقال في موضع آخر : وهذا المقام الذي أثبتناه بين الصدّيقيّة ونبوة التشريع الذي هو مقام القربة [٢] وهو للأفراد هو دون نبوة التشريع في المترلة عند الله تعالى وفوق الصديقية في المترلة عند الله تعالى وهو المشار إليه بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر ففضل به الصديقين إذ حصل له ما ليس من شرط الصديقيّة ولا من لوازمها فليس بين أبي بكر ﷺ ورسول الله ﷺ رجل لأنه صاحب

=أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا ... الحديث .

صحيح البخاري ١٣٣٧/٣ حديث رقم ٣٤٥٤ باب قول النبي ﷺ سدو الأبواب إلا باب أبي بكر ، ورواه مسلم بنحوه ١٨٥٤/٤ رقم ٢٣٨٢ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ .

(١) سبق تخريجه في الهامش قبل السابق .

(٢) هذا من خيالات الصوفية ولا مستند له من الوحي فيما أعلم والله اعلم ، وإذا كان قول الله تعالى : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ... ﴾ فيه بيان للرتب فإن القول الذي أورده المؤلف لابن عربي فيه إحداث مرتبة لم يرد بها دليل بناها على قاعدة فاسدة وقد تقدمت وتقدم التعليق عليها والله اعلم .

صديقية وصاحب سرّ فهو من كونه صاحب سر بين الصديقية ونبوة التشريع [١] انتهى كلامه[٢]

وهذا الكلام الذي ذكره ليس بعده نهاية في تحقيق مقام الصديقية ومقام العلم على ما سيتضح عند ذكر التفضيل وإنما نقلت كلامه وكلام من جرى مجراه من أهل الطريق لأنهم أعرف بحقائق هذه المقامات وأبصر بها لدخولهم فيها وتحققهم بها ذوقاً والمخبر عن الشيء ذوقاً مخبر عن عين اليقين [٣] فاسأل به

---

(١) الفتوحات المكية ١٨٢٨ – ١٨٢٩ .

(٢) يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى عن أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان وأنه قول وعمل : ((وأما أهل العلم والإيمان فجامعون بين الأمرين بين التصديق العلمي والعمل الحُبّي ثم إن تصديقهم عن علم وعلمهم وحبهم عن علم فسلموا من آفتي منحرفة المتكلمة والمتصوفة وحصلوا ما فات كل واحد منهما من النقص ، فإن كلام المنحرفين له مفسدتان :

أحدهما : القول بلا علم إن كان متكلما والعمل بلا علم إن كان متصوفاً .

وهو ما وقع من البدع الكلامية والعملية المخالفة للكتاب والسنة .

والثاني : فوت المتكلم العمل وفوت المتصوف القول والكلام ، وأهل السنة الباطنة والظاهرة كان كلامهم وعملهم باطنا وظاهراً بعلم وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرونا بالآخر فهؤلاء هم المسلمون حقا))

كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة ٤١/٢ ، والملاحظ على المتكلمين غالب ميلهم في العمل إلى مذهب الصوفية ، والملاحظ على الصوفية غالبا يبررون أفعالهم وترهاتهم بعلم الكلام وبذلك كل صنف من هؤلاء جمع الآفتين التي أشار ابن تيمية إلى أن كل صنف عنده آفة فاجتمعت الآفات عند كل فرقة فالقول بلا علم عندهما والعمل بلا دليل عندهما أيضاً .

(٣) لا يوجد مصدر يخبر عن مراد الله إلا الوحي ولا وحي إلا القرآن والسنة النبوية ويقول الله عز وجل : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ سورة آل عمران آية : ٨٥ ، ويقول عز وجل : ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ سورة الزمر آية : ٣ ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ قل إن=

خبيرا فقد بان بحمد الله تعالى فضل مقام الصديقية وحقيقته / وفضل المتصف به وأنه يتلو في الإيمان والتحقق بأعماله علماً ويقيناً وتقرباً إلى الله تعالى مقام النبوة ولنقتصر على هذا القدر ففيه بفضل الله وحمده مقنع لمن تدبره . ٨٢ب-٨٣أ

كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ سورة آل عمران آية : ٣١ ، ويقول سبحانه : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ سورة الحشر آية : ٧ ويقول ﷺ : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) رواه مسلم ١٣٤٣/٣ رقم ١٧١٨ باب نقض الأحكام الباطلة .

ولا يصح التلقي من الذوق ولا من المنامات ولا من المكاشفات التي يدعيها الصوفية ولا من الخيالات والشطحات ، ولا يقبل قول أحد في دين الله إلا إذا كان مرجعه ودليله كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما تبين بالوحي أو بفهم الصحابة ، وما خالف ذلك فهو مردود على قائله كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر بأبي هو وأمي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

الباب الرابع

في الشهيد والصالح

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في تفسير اللفظ وتحقيق معناه

وهو فعيل من شهد ، والشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة فيقال : شهد بمعنى رأى وبمعنى علم ، والشهيد : الشـاهد للشـيء والمشاهد له[١] .

وقد ذكر في الشرع بهذا المعنى في مواضع وذكر بمعاني ترجع إليه فمن ذلك أن الشهيد اسم من أسماء الله تعالى قال الله تعالى :﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾[٢] وقـال : ﴿ والله شهيد على ما تعملون ﴾[٣] وقـال :﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ﴾[٤] فالله شهيد بمعنى أنه عليم لا يخفى عليه شيء وبمعنى أنه مـبين للأشياء حاكم بها بالفضل قال الله تعالى :﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ﴾[٥]،[٦] .

وبمعنى مشهود إما في الدنيا فبالعلم والأدلة الواضـحة / وإمـا في الآخـرة ٨٣أ – ٨٣ب فبالمشاهدة والرؤيا وليس هذا موضع بسط القول في ذلك .

---

(١) انظر : لسان العرب ٢٣٨/٣ مادة شهد والقاموس المحيط ٣٧٢/١ مادة شهد .

(٢) سورة المجادلة آية ٦

(٣) سورة آل عمران آية ٩٨

(٤) سورة آل عمران آية ١٨

(٥) سورة الأنعام آية ١٩

(٦) ولزيادة معنى اسم الشهيد فإنه : الذي لا يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه ؛ بل هـو مطلـع على كل شيء مشاهد له عليم بتفاصيله وقيل يرجع معناه إلى صفة العلم وصفة الرؤيا ، وهـو سبحانه وتعالى أكبر كل شيء شهادة – شرح العقيدة الطحاوية ٩٥/١ ومعارج القبول ص٥٠ والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث أحمد بـن الحسـين البهقي ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ص٦١ .

ومن ذلك أن الأنبياء شهداء على الناس كل نبي شهيد على قومه قال الله تعالى :﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾[١] وقال الله تعالى :﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ﴾[٢] وقال تعالى حكاية عن عيسى ﷺ :﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم ﴾[٣] ولهذا بكى النبي ﷺ لما قرأ ابن مسعود عليه فيما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال له : ((اقرأ علي)) قال : قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : ((نعم)) فقرأت سورة النساء حتى إذا أتيت إلى هذه الآية :﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾[٤] قال : ((حسبك الآن)) فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[٥] . ومن ذلك أن هذه الأمة شهداء على الأمم فإنها تشهد على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم لعلم هذه الأمة بذلك بإخبار الصادق الذي خبره حق أقوى من المشاهد بالعيان ويشهد لذلك قوله تعالى :﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس / ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾[٦] . ٨٣أ-٨٣ب

(١) سورة النساء آية ٤١ ، وانظر تفسير الطبري ٩٢/٥ .

(٢) سورة النحل آية ٨٩ ، وانظر تفسير الطبري ١٥٩/١٤ .

(٣) سورة المائدة آية ١١٧

(٤) سورة النساء آية ٤١

(٥) رواه البخاري ٩٨/٨ حديث رقم ٤٥٨٢ كتاب التفسير ، باب فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، ورواه مسلم ٣٣٤/٦ حديث رقم ٨٠٠ كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة .

(٦) سورة البقرة آية ١٤٣

والوسط العدل والخيار[١] .

وقد روى أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ في حديث آخره : ((ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها وأكرمها على الله تعالى)) [٢]

قال عطاء[٣] : يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢/٧

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/٥ حديث رقم ٢٠٠٦١ ، وقال عنه الهيثمي رجاله ثقات – مجمع الزوائد ١٠/٣٩٧ باب في سعة أبواب الجنة .

وانظر : المستدرك على الصحيحين ٤/٩٤ برقم ٦٩٨٧ ذكر فضائل هذه الأمة على سائر الأمم ، والسنن الكبرى : أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : د. عبدالغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، ٦/٤٣٩ برقم ١١٤٣١ سورة ياسين وسنن البيهقي ٩/٥ حديث رقم ١٧٤٨٠ وسنن ابن ماجة ٢/١٤٣٣ حديث رقم ٤٢٨٩ وسنن الترمذي ٥/٢٢٦ حديث رقم ٣٠٠١ باب ومن سورة آل عمران ، والمعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ –١٩٨٣م ، ١٩/٤١٩ برقم ١٠١٢ .

(٣) هو : عطاء بن أبي رباح ، وأبو رباح اسمه أسلم ، أبو محمد المكي مولى بني جمح وقيل آل أبي خيثم من فهر ، وهو من مولدي الجَنَد ((بلدة باليمن)) من كبار التابعين .

ولد أثناء خلافة عثمان ﷺ وروي عنه أنه قال : ولدت لعامين خلوا من خلافة عثمان ﷺ وأنه قال : أعقل مقتل عثمان – توفي في رمضان سنة أربع عشرة ومائة أو خمس عشرة ومائة أو سبع عشرة ومائة عن ثمان وثمانين سنة والله أعلم .

انظر : طبقات المحدثين ١/٤٠ وطبقات الحفاظ ١/٤٥ وشذرات الذهب ١/١٤٧ وسير أعلام النبلاء ٥/٧٨ وطبقات الفقهاء ١/٧٥ وحلية الأولياء ٣/٣١٠ والطبقات الكبرى ٥/٤٦٧ ووفيات الأعيان ٣/٢٦١ ومسائل الإمام أحمد ١/٤٠٨ .

الأمم : ﴿ ألم يأتكم نذير ﴾(١) فينكرون ويقولون : ﴿ ما جاءنا من بشير ولا نذير ﴾(٢) فيسأل الله الأنبياء عليهم السلام فيقولون : كذبوا ؛ قد بلغناهم . فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية : من أين علموا وقد أتوا بعدنا فيسأل الأمة فيقولون : أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت علينا كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد فيُسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد لهم بصدقهم(٣) وقد روي معنى ذلك عن النبي ﷺ من رواية أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : ((يجاء بنوح فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم يا رب . فيسأل أمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير . فيقال من شهودك / فيقول محمد وأمته قال رسول الله ﷺ : فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾(٤)))(٥) .

٨٣ب-٨٤أ

(١) سورة الملك آية ٨

(٢) سورة المائدة آية ١٩

(٣) تفسير البغوي ١/٤٣ ، ١/١٢٣ وأشار إليه الواحدي في تفسيره : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي) علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، ١/١٣٥ ولم ينسبه لعطاء وكذلك انظر تفسير الطبري ٢/١٠ (والزهد لابن المبارك)، عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية بيروت ص٥٥٧

(٤) سورة البقرة آية ١٤٣

(٥) رواه البخاري٦/٢٦٧٥برقم٦٩١٧باب قوله تعالى:﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ .

ومن ذلك : الشهداء في هذه الأمة الذين خصهم الله تعالى بمزيد الكرامة وهم الذين قتلوا في سبيل الله تعالى على الوجه المشروع للشهادة ومن جرى مجراهم من الشهداء الذي حكم الشرع لهم بالشهادة .

وقد كثرت أقوال العلماء في سبب تسميتهم شهداء

وحاصل الأقوال ترجع إلى أن شهيداً فعيل شهد فهو إما بمعنى فاعل أي شاهد أو بمعنى مفعول أي مشهود له ، ومن قال بمعنى فاعل قال : سموا شهداء لأنهم شاهدوا الملائكة عند الاحتضار ؛ وقد يحصل لغير الشهداء .

وقيل سموا شهداء لمشاهدتهم الدارين دار الدنيا ودار الآخرة وهو ضعيف إذ كل من مات على حضورٍ كذلك .

وقيل سموا شهداء لأنهم يشاهدون عند الموت ما أعد الله تعالى لهم من الثواب الجزيل .

٨٤ب-٨٥أ

وقيل لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون في مدة البرزخ فهم مشاهدون / عند الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾[1] وكما قال النبي ﷺ : ((إن أرواحهم تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش))[2] .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٩

(٢) انظر بنحوه : صحيح مسلم ١٥٠٢/٣ برقم ١٨٨٧ باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة .. وسنن الترمذي ٢٣١/٥ برقم ٣٠١١ باب ومن سورة آل عمران ، وقال عنه الترمذي حديث حسن صحيح . وفي سنن ابن ماجة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ((... قال : أما إنا سألنا عن ذلك فقال : أرواحهم كطير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ...)) ٩٣٦/٢ برقم ٢٨٠١ باب فضل الشهادة في سبيل الله =

وقيل : لشهودهم هول الموت والمفارقة وبهذا استحقوا الدرجة العالية .
وقيل لأنهم شاهدون على غيرهم من الناس كرامة لهم فهم شهداء على هذه الأمة التي[١] الذين هم شهداء على الناس فكما أكرم الله تعالى هذه الأمة بالشهادة على الأمم أكرم هؤلاء بالشهادة على الأمة[٢] .
وقيل غير ذلك لكنه ليس بالقوي .
ومن قال : فعيل بمعنى مفعول قال : إنما سمي الشهيد شهيداً لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة .
وقيل لأن الأنبياء يشهدون لهم بحسن التبعية لهم .
وقيل لأن الله تعالى يشهد له بحسن نيته وإخلاصه أو يشهدون بما أعد الله تعالى له من الخير أو لأن الأمة تشهد له إلى غير ذلك من الأقوال[٣] .
واعلم أن جميع ما قدمناه من المعاني فاسم الشهيد فيه اسم مدح لمن سمي به .
وقد يطلق الشهيد في لسان الشرع على الشاهد / قال الله تعالى : ﴿واستشهدوا ٨٥أ-٨٥ب

=ورواه الطبراني في المعجم الكبير ١٨٣/٩ برقم ٨٩٠٥ عن ابن مسعود ، وذكر الهيثمي أن فيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس – مجمع الزوائد ٢٩٨/٥ باب في أرواح الشهداء .
وانظر بنحوه صحيح مسلم ١٥٠٢/٣ برقم ١٨٨٧ باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة .. وسنن الترمذي ٢٣١/٥ برقم ٣٠١١ باب ومن سورة آل عمران ، وقال عنه الترمذي حديث حسن صحيح . وفي سنن ابن ماجة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ((. قال : أما إنا سألنا عن ذلك فقال : أرواحهم كطير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ...)) ٩٣٦/٢ برقم ٢٨٠١ باب فضل الشهادة في سبيل الله
(١) هكذا في المخطوط وبحذف ((التي)) يستقيم الكلام والله أعلم .
(٢) انظر : عن سبب تسمية الشهيد بذلك فتح الباري ٤٢/٦ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ٢٤/١٣ .
(٣) انظر فتح الباري ٤٢/٦

شهيدين من رجالكم ﴾[1] ويطلق على الحاضر بقلبه . قال الله تعالى :﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾[2] ويطلق على المعاون أو من يعتد بحضوره قال الله تعـالى : ﴿ ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم ﴾[3] وهو بهذه المعاني لا يقتضي المدح لمن سمي به .

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

(٢) سورة قّ آية ٣٧

(٣) سورة القصص آية ٧٥

الفصل الثاني

فضيلة الشهادة وما يتعلق بذلك وأقسام الشهداء

قد تقدم أن الشهادة تقال على معانٍ وأن الرسل شـهداء وأن الصـديقون[١] شهداء وهذه الأمة شهداء وهذه المعاني كلها بمعنى الشهادة علـى النـاس ، وفضيلة هذه الشهادة ظاهرة إذ لا يشهد على الناس عند الله تعالى إلا من كان عنده عدلاً وكفى بذلك شرفاً وفضلاً .

وأما الشهادة بمعنى القتل في سبيل الله تعالى وما يلحق ففضلها كبير والأدلـة عليه ظاهرة متظاهرة ونذكر طرفاً منها ومن فضل الجهاد المؤدي إليها :

٨٥ب- ٨٦أ

قوله تعالى :﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في / سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ﴾[٢] الآية

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾[٣] وقولـه تعالى : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾[٤]

وقال تعالى في حق المجاهدين : ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً إلا كتب لهم به

---

(١) في المخطوط على الرفع والصواب اسم إن منصوب بالياء ولعله سبق قلم من المؤلف والله أعلم .

(٢) سورة التوبة آية ١١١

(٣) سورة الصف آية : ١١

(٤) سورة النساء آية : ٩٥

عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾[١]

وقال تعالى في الشهداء خاصة : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء / عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم *ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ﴾[٥] يعني الشهادة أو النصر والظفر[٦] والآيات في كتاب الله كثيرة .

٨٦أ-٨٦ب

وأما الأحاديث فكثيرة جداً لكن نذكر طرفاً في فضل الجهاد إذ هو مقدمة الشهادة ؛ وفي فضل الشهادة فمن ذلك :

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٠ ـــ ١٢١

(٢) سورة البقرة آية ١٥٤

(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٩ ـــ ١٧٠

(٤) سورة محمد آية : ٤ ـــ ٦

(٥) سورة التوبة آية ٥٢

(٦) انظر تفسير الطبري ١٥١/١٠ وصحيح البخاري ١٦٦١/٤ باب : والرسول يدعوكم في أخراكم ... وقال ابن عباس إحدى الحسنيين فتحاً أو شهادة

الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال : سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل قال : ((إيمان بالله ورسوله)) قيل ثم ماذا ؟ قال : ((الجهاد في سبيل الله)) قيل ثم ماذا ؟ قال : ((حج مبرور)) (١) .

وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ((لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها)) (٢) .

٨٦ب-٨٧أ

وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((رباط يوم في / سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها ؛ والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها)) (٣)

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : أي الناس أفضل ؟ قال : ((مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله)) قال ثم من ؟ قال : ((مؤمن في شعيب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره)) (٤)

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((تضمّن الله تعالى لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ما من كلمٍ يكلم في سبيل الله تعالى إلا جاء يوم القيامة

---

(١) رواه البخاري ١٨/١ برقم ٢٦ باب من قال أن الإيمان هو العمل ... ورواه مسلم ٨٨/١ برقم ٨٣ باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال

(٢) رواه مسلم ٢٩/١٣ حديث رقم ١٨٨٠ كتاب الأمارة باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله .

(٣) رواه البخاري ١٠٠/٦ حديث رقم ٢٨٩٢ كتاب الجهاد باب فضل رباط يوم في سبيل الله

(٤) رواه البخاري بنحوه : ٨/٦ حديث رقم ٢٧٨٦ كتاب الجهاد باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه .... ورواه مسلم ٣٨/١٣ كتاب الاماره باب فضل الجهاد والرباط حديث رقم ١٢٣ .

كهيئته يوم كلم لونه لو دمٍ وريحه ريح مسك ؛ والذي نفس محمد بيده لــولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكــن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني؛والــذي نفس محمد بيه لوددت أن أغزو في سبيل/الله فأقتــل ثم أغــزو فأقْتَــل ثم أغــزو فأقْتَل))[(١)]

٨٧أ-٨٧ب

وعن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال : ((لا أجده)) ثم قال : ((هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم لا تفتر وتصوم لا تفطر)) . فقال : ومن يستطيع ذلك ؟[(٢)]

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : ((من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق))[(٣)]

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : ((إن في الجنة مائة درجــة أعــدها الله تعــالى للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض))[(٤)]

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((من رضي بــالله ربــاً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة)) فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها علي يا رسول الله فأعادها عليه ثم قال : ((وأخرى يرفع الله تعالى بهــا العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)) قال

---

(١) رواه مسلم بنحوه ٢٣/١٣ حديث رقم ١٨٧٦ باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله

(٢) رواه البخاري ٦/٦ حديث رقم ٢٧٨٥ كتاب الجهاد باب فضل الجهاد والسير .

(٣) رواه مسلم بنحوه ٦٠/١٣ حديث رقم ١٩١٠ كتاب الإمارة باب ذم من مات ولم يغــز ولم يحدث نفسه بغزو .

(٤) رواه البخاري ١٤/٦ وهو جزء من حديث ٢٧٩٠ كتاب الجهاد ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله .

: وما هي يا رسول الله قال : ((الجهاد في سبيل الله . الجهاد في سبيل الله)) (١)

وعن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ / : ((أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله تعالى ، ومنيحة خادم في سبيل الله تعالى أو طروقة(٢) فحل في سبيل الله تعالى)) (٣) ٨٧ب-٨٨أ

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : ((ما أحد يدخل الجنة ويحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)) (٤) وفي رواية : ((لما يرى من فضل الشهادة)) (٥)

---

(١) رواه مسلم ٣١/١٣ حديث رقم ١٨٨٤ كتاب الإمارة باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهدين في الجنة من الدرجات

(٢) طروقة فحل يعني : مركوبة ، يعني ناقة أو فرس بلغت أن يطرقها الفحل يعطيه إياها ليركبها إعارة أو قرضاً أو هبة ، تحفة الأحوذي ٢١٠/٥ .

(٣) رواه الترمذي عن أبي أمامة ﷺ ١٦٨/٤ برقم ١٦٢٧ كتاب فضائل الجهاد وباب ما جاء في فضل الخدمة في سبيل الله وقال عنه الترمذي : حديث حسن غريب .

والمستدرك على الصحيحين بنحوه ١٠٠/٢ برقم ٢٤٥٢ عن عدي بن حاتم الطائي ﷺ وقال عنه صحيح و لم يخرجاه ، ومسند أحمد ٢٦٩/٥ برقم ٢٢٣٧٥ ، والمعجم الكبير ٢٣٤/٨ برقم ٧٩١٦ كلاهما عن أبي إمامة .

(٤) رواه البخاري ١٠٣٧/٣ حديث رقم ٢٦٦٢ كتاب الجهاد باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا رواه مسلم بنحوه ١٤٩٨/٣ حديث رقم ١٨٧٧ ، كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى

(٥) رواه مسلم بنحوه ١٤٩٨/٣ حديث رقم ١٨٧٧ كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ، والبخاري بنحوه ١٠٣٧/٣ رقم ٢٦٦٢ باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا .

وفي البخاري في الحديث الطويل الذي رواه سمرة ﷺ عن النبي ﷺ وهو في قوله : ((رأيت الليلة رجلين آتياني ... ذكر أنهما صعدا به الشجرة قال : فأدخلاني داراً هي أحسن أو أفضل لم أر قط أحسن منها ؛ قالا : أما الدار الأولى فلعامة المؤمنين وأما هذه فدار الشهداء)) وفي رواية أخرى : ((أنها مبنية بلبن الذهب والفضة)) [١] والآيات والأحاديث في فضل الجهاد والشهادة وفضل الشهادة كثيرة يعسر حصرها ويطول ذكرها فلنقتصر على ما ذكرناه ففيه حصول المقصود .

واعلم أن للشهيد الكامل المقتول في سبيل الله شرائط[٢] خصائص فمن الشرائط أن يقاتل / مخلصاً ومع الإخلاص أن يقاتل في سبيل الله تعالى[٣] ٨٨أ-٨٨ب لتكون كلمة الله هي العليا لما روى أبو موسى ﷺ أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه ، وفي رواية أخرى : يقاتل شجاعة ويقاتل حمية فمن في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فذلك في سبيل الله)) [٤]

وهذا دليل على أن العمل إنما يكون بالنية الصالحة فبها يعتبر وإذا لم تصح فيه النية فلا أثر له وهو دليل ظاهر على أن الفضل الذي ورد في الجهاد وما أعده

---

(١) رواه البخاري ٦٦/١ رقم ١٣٢٠ كتاب الجنائز ما قيل في أولاد المشركين

(٢) يستقيم الكلام بوجود حرف الواو والله اعلم

(٣) بمعنى الإتباع لرسول الله ﷺ والله اعلم

(٤) رواه البخاري ١٣٤/٣ رقم ٢٩٥٥ كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا بدون الرواية التي ذكرها المؤلف .

ورواه مسلم ١٥١٢/٣ حديث رقم ١٩٠٤ كتاب الإمارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، والرواية في الحديث الذي يليه مباشرة

الله تعالى للمجاهدين في سبيله مختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فمن قاتل لغير ذلك مما ذكر فليس في سبيل الله ؛ ويدل عليه ما في الحديث الآخر من قوله ﷺ : ((ما من كلم يكلم في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله))[١] معناه والله اعلم : ليس كل من يكلم في معركة كان في سبيل الله ، ولا يتعلق في ذلك بظاهر الحال بل الله أعلم بمن يكلم في سبيله فإن ذلك { معدوق }[٢] بالإخلاص والله أعلم فإنه من أفعال القلوب .

٨٨ب-٨٩أ

والحديث / الآخر في الثلاثة الذين يقضى فيهم يوم القيامة أول ما يقضى ؛ ومنهم المجاهد الذي يقول الله تعالى له : إنما قاتلت ليقال : جريء ؛ وقد قيل اذهبوا به إلى النار[٣] دليل واضح على التغليظ في تحريم الرياء والسمعة وأنه مما توعد عليه بالنار وأن المجاهد على هذا الوجه يستحق النار فلابد من إخلاص النية في الجهاد .

فإن قلت : كيف أخرج المقاتل شجاعة عن أن يكون في سبيل الله والشجاع تحمله شجاعته على القتال ولا يمكنه أن يبذل نفسه للقتل[٤] أن يكون شجاعاً ؛ فبذله لنفسه حتى قيل لتكون كلمة الله هي العليا لا ينفك عن كونه شجاعة ؟ قلت : المحذور أن يقاتل لإظهار شجاعته ؛ والذي يبعثه عليه الشجاعة أنه يقاتل ؛ وأما هذه الزيادة وهي أن يقصد بمقاتلته إعلاء كلمة الله تعالى فذلك

---

(١) رواه مسلم وما ذكره المؤلف جزء من حديث في ١٤٩٦/٣ برقم ١٨٧٦ باب فضل الجهاد

(٢) ما بين المعقوفتين معدوق هكذا ولعله سبق قلم وإلا فيستقيم الكلام أكثر لو كانت معقود والأصوب ((مقرون)) والله أعلم .

(٣) رواه مسلم بنحوه ١٥١٣/٣ حديث رقم ١٩٠٥ كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار .

(٤) يستقيم الكلام بوجود ((إلا)) هنا والله اعلم

ليس من مقتضى الشجاعة وهو الذي يستحق عليه الثواب إذ الباعث عليه قوة الإيمان والله اعلم .

ومن شرائط الشهادة الكاملة : أن يقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر فذلك هو الشهيد الكامل .

وأما المندوبات / والواجبات وأهلية الجهاد وشروطه ومتى يتعين وعلى من يتعين فمذكور في كتب الفقه مستقصى في أبوابه[1] لم يتصدَّ في هذا المختصر لذكره . ٨٩أ-٨٩ب

وأما خصائص الشهيد في سبيل الله فمنها أخروية ومنها دنيوية .

---

(١) انظر مثلاً : مختصر الخرقي ، أبو القاسم عمر بن الحسين الخرقي تحقيق : زهير الشاويش ، دار النشر المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ص ١٢٨ وما بعدها .

والمبدع : إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق . المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٠هـ ، ٣/ ٣٠٧ والكافي في فقه ابن حنبل : عبد الله بن قدامة المقدسى أبو محمد ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م،٤/٢٥١ .

المغني : عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى أبو محمد ، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥ ٩/١٦٢ .

والوسيط : محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، تحقيق : أحمد محمود إبراهيم و محمد محمد تامر ، دار السلام القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ٧/٤ .

والمبسوط : محمد بن أبي سهل السرخسى أبو بكر دار المعرفة بيروت ١٤٠٦ ١٠/٢

وشرح فتح القدير : محمد بن عبد الواحد السيواسى ، دار الفكر بيروت الطبعة الثانية ٥/٤٣٤

وبدائع الصنائع : علاء الدين الكاسانى ، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٢م ، ٧/٩٧ .

والتاج والإكليل : محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري أبو عبد الله ، دار الفكر بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ، ٣/٣٤٦ .

أما الدنيوية فلا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ولا يزال عنه الـدم علـى الجراحة لقول النبي ﷺ : ((أنه يأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دماً اللون لـون الدم والريح ريح المسك)) [1] وتفصيل ذلك مستقصى في كتب الفقه أيضاً[2]

وأما الأخروية فقد روي الترمذي[3] عن المقدام بن معدي كرب .

قال : قال رسول الله ﷺ : ((للشهيد عند الله ست خصال بغفر لـه في أول دفعة[4] ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفـزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار : الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ؛ ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه)) .

قال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب[5] .

---

(١) انظر صحيح مسلم ١٤٩٦/٣ رقم ١٨٧٦ باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله

(٢) انظر المراجع الفقهية في الهامش قبل السابق

(٣) هو : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى أو ابن شداد بن موسى بن الضحاك وقيل محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن بن عيسى السلمي الترمذي أبو عيسى .

ولد في حدود سنة عشرة ومائتين للهجرة ، ومات بترمذ في ثالث عشر من رجب سـنة تسع وسبعين ومائتين للهجرة والله اعلم .

انظر : طبقات المحدثين ١٠٤/١ والإرشاد ٩٠٤/٣ ، وطبقات الحفاظ ٢٨٢/١ وسـير إعـلام النبلاء ٢٧٠/١٣ ، والبداية والنهاية ٦٦/١١ ، والنجوم الزاهرة ٨١/٣ ، والكامل ٣٧٣/٦

(٤)الدفعة : ما دفع من سقاء أو إناء فانصب بمرة وكذلك الدم والمطر .

انظر لسان العرب ٨٧/٨ مادة دفع والعين ٤٥/٢ باب العين والدال والفاء

(٥) سنن الترمذي ١٨٧/٤ حديث رقم ١٦٦٣ باب في ثواب الشهيد إلا أن الترمزي قال عنه : هذا حديث صحيح غريب بزيادة : حسن ورواه غيره بنحوه .

مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : ١٣١/٤ حديث رقـم ١٧٢٢١ ، والطـبراني في الكبير ٢٦٦/٢٠ حديث رقم ٦٢٩ ، ومصنف عبد الرزاق ٢٦٥/٥ برقم ٩٥٥٩ وسـنن ابـن ماجة ٩٣٥/٢ برقم ٢٧٩٩ باب فضل الشهادة في سبيل الله . ==

فهذه خصائص ستة خص بها الشهيد في الآخرة .

ومن خصائصه الأخروية : حياته عند الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ بل أحياء عند

٨٩ب-٩٠أ

ربهم /يرزقون ﴾[(١)]

وقد صح الحديث في أرواح الشهداء وأنها في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل[(٢)] وفي هذا الحديث دليلان على مسألتين من مسائل أصول الدين :

أحدهما : أن الجنة والنار مخلوقتان :ومذهب أهل السنة وأكثر المسلمين أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان في وقتنا هذا وقال بهذا القول من المعتزلة : الجبائي وأبو الحسن البصري[(٣)] لكن مع قول المعتزلة بوجودهما الآن هل يفنيان أم لا ؟ لهم في ذلك اختلاف ؛ وخالف في وجودهما أكثر المعتزلة حتى أن منهم من يقول : باستحالة خلقهما قبل حلول المكلفين فيهما[(٤)] .

والدليل على وجودهما الكتاب والسنة .

=وقال الهيثمي عن رجال أحمد والطبراني ثقات مجمع الزوائد ٢٩٣/٥ ، وفي مسند أحمد أيضاً عن قيس الجذامي رجل كانت له صحبة ٢٠٠/٤ برقم ١٧٨١٨

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٩

(٢) سبق تخرجه .

(٣) هو محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين توفي في بغداد يوم الثلاثاء الخامس من ربيع الأخر سنة ست وثلاثين وأربعمائة للهجرة .

انظر : سير أعلام النبلاء ٥٨٧/١٧ ، وشذرات الذهب ٢٥٩/٢ ، والبداية والنهاية ٥٣/١٢ ، ووفيات الأعيان ٢٧١/٤ ، والنجوم الزاهرة ٣٨/٥

(٤) انظر : كتاب المواقف ٤٨٥/٣ والفرق بين الفرق ١٥٠/١ ، والتبصير في الدين ٧٦/١ ، والفصل في الملل ٦٨/٤ ، والغنية في أصول الدين ١٦٧/١

أما الكتاب : فالآيات التي ذكر فيها أن الجنة معدة للمتقين[1] ؛ والنار معدة للكافرين[2] والإعداد إنما يكون مع الوجود هذا هو المتبادر إلى الفهم .

قصة آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها دليل ظاهر على وجود الجنة وهي في القرآن العظيم في غير موضع وآيات القرآن شاهدة بذلك كثيرة جداً .

والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة صحيحة فيها ذكر الجنة والنار .

٩٠أ-٩٠ب

قد أخبر / النبي ﷺ برؤيتهما وبرؤية عمرو بن لحي في النار[3] .إلى غير ذلك من الأحاديث الصحاح الواردة في هذا المعنى[4] .

---

(١) قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ سورة آل عمران آية : ١٣٣ وقال تعالى : ﴿ وسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ..﴾ سورة الحديد آية : ٢١

(٢) قال تعالى : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ سورة البقرة آية : ٢٤ ، وقال تعالى : ﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ سورة آل عمران آية : ١٣١ ، انظر تفسير ابن كثير ٦٢/١

(٣) روى البخاري في صحيح عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : قال النبي ﷺ : ((رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب ١٢٩٧/٣ برقم ٣٣٣٣ باب قصة خزاعة ، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((رأيت عمر بن لحي بن قمعة بن خندف أبا بني كعب هؤلاء يجر قصبه في النار)) ٢١٩١/٤ برقم ٢٨٥٦ باب النار يدخلها الجبارون ...

(٤) من ذلك ما رواه مسلم عن أنس ﷺ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال : ((أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإني أراكم أمامي ومن خلفي)) ثم قال : ((والذي نفس محمد=

وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على وجود الجنة والنار[١] والمخالف[٢] في ذلك محجوج بالإجماع قبل ظهور الخلاف ولا حجة لهم في قوله تعالى :﴿كل شيء هالك إلا وجهه ﴾[٣] فإنه عام مخصوص وقد قال بموجبه بعضهم وأنها تفنى ثم تعود .

وهذا الحديث المذكور في أرواح الشهداء وأنها تسرح في الجنة وتأكل ثمارها دليل ظاهر على ما ذكرناه من وجود الجنة والنار ، والمخالف لهذا القول

=بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)) . قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ . قال : ((رأيت الجنة والنار)) صحيح مسلم ٣٢٠/١ رقم ٤٢٦ باب تحريم سبق الإمام .

وكذلك روى مسلم أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه : .. فقال : ((إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله)) قالوا : يا رسول الله : رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك كففت فقال : إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه بقية الدنيا ، ورأيت النار)) صحيح مسلم ٦٢٦/٢ رقم ٩٠٧ باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار وعنه بنحوه رواه البخاري ٣٥٧/١ برقم ١٠٠٤ باب صلاة الكسوف جماعة واتفق البخاري ومسلم على قوله ﷺ : ((عرضت عليَّ الجنة والنار)) كلاهما عن أنس بن مالك ﷺ البخاري ٢٠٠/١ برقم ٥١٥ باب وقت الظهر عند الزوال ومسلم ١٨٣٢/٤ برقم ٢٣٥٩ باب توقيره ﷺ ، وكذلك روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ أنه قال : ((واشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين ، نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ..)) الحديث رواه البخاري ١٩٩/١ رقم ٥١٢ ومسلم ٤٣١/١ برقم ٦١٧

(١) انظر : يقظة أولي الاعتبار ٣٧/١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٤٧٦/١

(٢) خالف في ذلك أكثر المعتزلة وطائفة من الخوارج ، انظر : الغنية في أصول الدين ١٦٧/١ وكتاب المواقف ٤٨٥/٣ والفرق بين الفرق ١٥٠/١ والفصل في الملل ٦٨/٤ والتبصير في الدين ٧٦/١ .

(٣) سورة القصص آية ٨٨

لا عبرة بمذهبه ولا بخلافه لتقدم الإجماع عليه ولتضافر الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة على خلاف قوله .

والمسألة الثانية : في الروح ومفارقتها البدن وبقائها بعدها وتنعمها في البرزخ[1] وهذا الحديث يقتضي ذكر الخلاف في حقيقة النفس الإنسانية وتحقيق المذهب المختار فإن هذا الحديث دلّ على أن روح الشهيد هي التي تنعم وتسرح في الجنة في حواصل طير خضر ، والآية الكريمة دالة على أن الشهيد الذي يقتل في سبيل الله حي عند الله تعالى .

وهذه المسألة عظيمة / كثيرة الخلاف منتشرة المذاهب والأقوال ولا يليق بهذا المختصر استقصاء الكلام فيها إذ لا مدخل له في مقصود هذا الكتاب من التفضيل المسئول عنه ولكن لابد من حمل الحديث والآية على معنيين متوافقين وذلك يستدعي بعض الكلام في هذه المسألة فنذكر منها ما يوضح المقصود ويبنى عليه التوفيق بين معنى الآية الكريمة والحديث .

٩٠ب-٩١أ

وقد اختلف العقلاء في النفس والروح[2] ويعنون به الذي يشير إليه كل واحد بقوله : أنا ، ومنهم من يخص اسم النفس بهذا ، والروح بغيره ،

---

(١) البرزخ : فترة زمنية تبدأ من وفاة الشخص إلى قيام الساعة حاجزة بين الدنيا ويوم القيامة وهي أول منازل الآخرة .

انظر : التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية ، عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، عناية : حسين أبو لوز ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ٩١/٢ .

وانظر : الروح ٤٧/١، ص٧٤ .

(٢) الكلام عن الروح يطول ولكن لا بأس بذكر مختصر يتضح به ما عليه السلف فأقول مستعيناً بالله تعالى :

==

-**أولاً** : **تعريف الروح** :

الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نوراني علوي خفيف متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها ومادامت هذه الأعضاء صالحة للروح فيوصفان معاً بالحياة وإذا فسدت الأعضاء على الروح بنهاية الأجل فارق الروح البدن وبه يحكم عليها بالموت . انظر : شرح الطحاوية ٤٤٣/١ ، ٤٤٦/١

ويقول ابن تيميه رحمه الله تعالى : ومذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر سلف الأمة وأئمة السنة أن الروح عين قائمة بنفسها تفارق البدن وتنعم وتعذب ؛ ليست هي البدن ولا جزءً من أجزائه الفتاوى ٣٤١/١٧ .

ثانياً : **أدلة الروح** :

١- قال تعالى : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ سورة الإسراء آية ٨٥.

٢- قال تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ سورة الجاثية آية ١٣ .

٣- قال تعالى :﴿ ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ﴾ سورة هود آية ٤٦

٤- قال تعالى :﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى ﴾ سورة الزمر آية ٤٢ .

٥- قال تعالى :﴿ الله خالق كل شيء ﴾ سورة الزمر آية ٦٢ .

٦- قال تعالى لزكريا عليه السلام :﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾ سورة مريم آية ٩ .

٧- قال تعالى :﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجو أنفسكم ﴾ سورة الأنعام آية ٩٣ .

٨- قال تعالى :﴿ يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ سورة الفجر آية ٢٧-٣٠ .

٩- قال رسول الله ﷺ : ((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)) رواه البخاري ١٢١٣/٣ رقم ٣١٥٨ كتاب الأنبياء ، باب الأرواح جنود مجندة ، ومسلم ٢٠٣١/٤ رقم ٢٦٢٨ كتاب البر والصلة ، باب الأرواح جنود مجندة=

١٠- =روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده : عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال : ((استعيذ بالله من عذاب القبر)) مرتين أو ثلاث ثم قال : ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهون بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهيا به إلى السماء السابعة فيقول الله عزَّ وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . فينادي مناد في السماء : أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باب إلى الجنة . قال : فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مدَّ بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول : أنا عملك الصالح . فيقول : ربي أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي . قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : يا أيتها=

=النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب . قال : فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ :﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ *فيقول الله عزَّ وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾** فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان له ؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ؛ ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوءك ؛ هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول : من أنت ؟ فوجهك الذي يأتي بالشر . فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول : ربي لا تقم الساعة)) مسند أحمد ٢٨٧/٤ حديث رقم ١٨٥٥٧ . قال عنه الهيثمي : رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٥٠/٣ .

* سورة الأعرف آية ٤٠

** سورة الحج آية ٣١

١١- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : ((إن الروح إذا قبض تبعه البصر)) رواه مسلم ٦٣٤/٢ رقم ٩٢٠ ، باب في إغماض الميت والدعاء له . =

١٢- =عن أبي قتادة رضي الله عنه حين ناموا عن الصلاة قال النبي ﷺ إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء يا بلال قم فأذّن بالناس بالصلاة)) رواه البخاري ٢١٤/١ رقم ٥٧٠ باب الآذان بعد ذهاب الوقت .

١٣- روى أحمد رحمه الله تعالى في مسنده أن كعب بن مالك الأنصاري وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم كان يحدث أن النبي ﷺ قال : ((إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم بعثه)) مسند الإمام أحمد ٤٥٥/٣ رقم ١٥٨٢٥ وابن حبان في صحيحه ٥١٣/١٠ رقم ٤٦٥٧ والنسائي في المجتبى ١٠٨/٤ رقم ١٠٧٣ باب أرواح المؤمنين وابن ماجه ١٤٢٨/٢ برقم ٤٢٧١ باب ذكر القبر والبلى ، وموطأ مالك ٢٤٠/١ رقم ٥٦٨ باب جامع الجنائز وأورده الهيثمي بنحوه وعزاه إلى الطبراني في الكبير ، وقال عنه رجاله : ورجاله رجال الصحيح ، مجمع الزوائد ٣٢٩/٢ .

١٤- عن أبي جحيفة ﷺ قال : قلت لعلي ﷺ : هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه ..)) رواه البخاري ١١١٠/١٣ رقم ٢٨٨٢ ، باب فكاك الأسير .

ثالثاً : **أسماء الروح** :

١- الروح ٢- النفس ٣- النسمة .

ففي الحديث الطويل عن البراء ﷺ : ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى أجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ... ثم قال : ... فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب)) فسماها نفس وروح ، وورد أحاديث فيها نسمة المؤمن .. أرواح الشهداء .

رابعاً : **الروح مخلوقة** :

أجمعت الرسل على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مرغوبة مدبرة ومضى على هذا الصحابة والتابعون وأجمعوا على ذلك ومما نقل الإجماع عنهم : محمد بن نصر المروزي وابن قتيبه فالأدلة السابقة من القرآن أو من السنة كلها تدل على أنها مخلوقة فالروح تقبض وترد ويتبعها البصر=

=وتمسك وترسل وتنزع وتتوفى وتنعم وتعذب وهذه كلها صفات المخلوق أما إضافتها إلى الله في قوله عزَّ وجل : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ فإن الإضافة على نوعين .
يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : (المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنى لا يقوم بنفسه – أي بذات المضاف – ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائماً به وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب ، وإن كان المضاف عيناً قائمة بنفسها كعيسى وجبرائيل عليهما السلام وأرواح بني آدم امتنع أن تكون صفة لله تعالى) لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره ، درء تعارض العقل والنقل ٢٦٥/٧ .
وأيضاً : ((الأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين :
الوجه الأول : تكون تضاف إليه لكونه خلقها وأبدعها فهذا شامل لجميع المخلوقات كقوله سماء الله وأرض الله ومن هذا الباب فجميع المخلوقين عبيد الله وجميع المال ، مال الله وجميع البيوت والنوق لله .
الوجه الثاني : أن يضاف إليه لما خصه به من معنى يحبه ويأمر به ويرضاه كما خص البيت العتيق بعبادته فيه لا تكون في غيره وكما يقال عن مال الفيء والخمس هو مال الله ورسوله ، ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره فهذه إضافة تتضمن أُلوهيته وشرعه ودينه ، وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه)) شرح كتاب التوحيد ٦٤/١ .
وهذه الآية : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ الإضافة فيها إلى الله فيها مثل الإضافة إلى الله في قوله تعالى :﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ فالروح ذات مستقلة مخلوقة قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجيء وتتحرك وتسكن .
ولو كانت الروح صفة لانعدمت وبطلت باضمحلال البدن كما تبطل سائر صفات الحي))
انظر الروح ص٣٨ ، كذلك قول الرسول ﷺ : ((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف دليل قوي على أن الروح مخلوقة فقد ذكر أنها أرواح أي جمع وسماها جنود ووصفها بالتعارف والتناكر فيما بينها وكل هذه الأمور أوصاف للمخلوق وقوله : مجندة أي جندها غيرها وهو الله سبحانه وتعالى فهي غير الله عز وجل .

خامساً : مسميات الروح :

الروح يطلق على معان عدة :

==

١- ==تطلق الروح على ما به حيات الإنسان والحيوان .

٢- تطلق الروح على الوحي قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ سورة الشورى آية : ٥٢ .

٣- تطلق الروح على ملك من الملائكة قيل إنه جبريل عليه السلام ، قال تعالى :﴿نزل بـه الروح الأمين ﴾ سورة الشعراء آية : ١٩٣ انظر شرح الطحاوية ٤٤٤/١ .

سادساً : تعلق الروح بالبدن :

للروح خمس تعلقات بالبدن متغايرة الأحكام هي :

١- تعلقها بالبدن حال كونه جنيناً في بطن أمه .

٢- تعلقها بالبدن بعد خروجه إلى الأرض حالة اليقظة .

٣- تعلقها بالبدن بعد خروجه إلى الأرض حال النوم فإنها تفارقه من وجه وتتصل به مـن وجه آخر .

٤- تعلقها بالبدن في البرزخ وهي أيضاً تفارقه من وجه وتتصل به من وجه آخر .

٥- تعلقها بالبدن يوم بعث الأجساد وهذا التعلق هو أكملها لأنه لا يقبل البدن معه موتـاً ولا نوماً ولا فساداً .

وإذا كان النائم روحه في جسده وهو حي وحياته غير حياة المستيقظ فإن النوم شـقيق المـوت فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت . انظر الروح ص٤٤

سابعاً : نعيم الروح وعذابها :

مرت أدلة تدل على عذاب الروح ونعيمها وحاصل الأمر في ذلك أن الدور ثلاث :

١- دار الدنيا ٢- دار البرزخ ٣- دار القرار .

وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها وركب الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها .

فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً ، الطحاوية ٤٥٢/١ . ==

لكن الخلاف المشهور واقع في النفس التي هي عبارة عما يشير إليه كل أحد إذا قال أنا فعلت كذا ؛ أو : قلت كذا .

قال إمام الحرمين رحمه الله تعالى : ((الأظهر أن الروح أجسام لطيفة مشابكة للأجسام المحسوسة أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت هذه الأجزاء مشابكة لها ؛ وإذا فارقها يعقب الموت الحياة في استمرار العادة))[١] ؛ ثم الروح يعرج به ويرفع في حواصل طير خضر في الجنة (و)[٢] يهبط به إلى سجين كما وردت الأنباء[٣] .

=ومن الأدلة أيضاً على عذاب القبر قوله تعالى عن فرعون وآله قوله تعالى:﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ سورة غافر آية ٤٠ ، وانظر معنى الآية في تفسير ابن كثير ٨٢/٤ وأيضاً : عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه مرَّ بقبرين يعذبان فقال : ((إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)) رواه البخاري ٤٥٨/١ رقم ١٢٩٥ باب الجريدة على القبر ، ولزيادة الأحاديث انظر مجمع الزوائد للهيثمي ٥٤/٣ وما بعدها ، وفتح الباري ٢٣٦/٣ والله أعلم .

(١) لم أجد قوله فيما تيسر لي من مراجع إلا في فتاوى ابن تيميه رحمه الله تعالى ٣٤١/١٧

(٢) الصحيح حرف أو الدال على التنويع لكن في المخطوط حرف الواو

(٣) روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده : عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال : ((استعيذ بالله من عذاب القبر)) مرتين أو ثلاث ثم قال : ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة =

=عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنياحتى ينتهون بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عزَّ وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . فينادي مناد في السماء : أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باب إلى الجنة . قال : فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مدَّ بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول : أنا عملك الصالح . فيقول : ربي أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي . قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب . قال : فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ :﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾* فيقول الله عزَّ وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾** فتعاد روحه في=

والحياة عرض تحي به الجواهر والروح تحي بالحياة أيضاً إن قامت به .

قال القاضي أبو بكر / النفس : عبارة عن أجسام لطيفة مشتبكة بالأجسام الكثيفة أجرى الله تعالى العادة بالحياة مع بقائها . ١٩١أ-١٩١ب

قال فخر الدين الرازي في الأربعين : النفس : أجسام لطيفة لذواتها حية لذواتها ، وتلك الأجسام إذا شابكت هذا الهيكل وسرت فيه كسريان ماء الورد في الورد أو النار في الفحم أو الدهن في السمسم صار هذا الهيكل حياً بسبب تلك المشابكة)) [(١)] .

وبين ما قاله وما ذكره القاضي أبو بكر فرق في قوله : أنها حية لذواتها ولعل ما ذكره القاضي أقرب وأولى ورأى[(٢)] هذا المذهب أقوال كثيرة جداً يبعد حصرها ؛ وقد ضبطها فخر الدين رحمه الله تعالى بأن قال : (الذي يشير

=جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول : ها هاه لا أدري . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان له ؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدري . فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ؛ ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوءك ؛ هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول : من أنت ؟ فوجهك الذي يأتي بالشر . فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول : ربي لا تقم الساعة)) ، مسند أحمد ٢٨٧/٤ حديث رقم ١٨٥٥٧ . قال عنه الهيثمي : رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٥٠/٣

* سورة الأعراف آية ٤٠

** سورة الحج آية ٣١

(١) انظر : الأربعين ٢٦/٢

(٢) هكذا في المخطوط ويستقيم الكلام لو كانت اللفظة ((ووراء)) والله أعلم .

إليه كل أحد بقوله : أنا . إما أن يكون جسماً أو جسمانياً أو لا جسماً أو[١] لا جسمانياً أو مركباً من هذه الأقسام تركيباً ثنائياً أو ثلاثياً)[٢]

أما المتكلمون فزعموا أنه جسم[٣] ثم الجمهور منهم يقولون : إن هذه البنية[٤] المحسوس منه . ومنهم من زعم أنها أجزاء أصلية باقية من أول العمر إلى آخره .

ثم اختلفوا فزعم ابن الريوندي[٥] : أنه جزء لا يتجزأ في القلب[٦] . وزعم الظنام[٧] : أنها أجسام لطيفة سارية في الأعضاء[٨] .

والأطباء زعموا: أنه الروح اللطيف الموجود في الجانب الأيسر / من القلب ؛ ومنهم من جعله : الأخلاط الأربعة أو الدم خاصة والذين قالوا إنه

١٩١ب-١٩٢أ

---

(١) في المحصل أو لا جسماً ولا جسمانياً بالواو بدل أو

(٢) إلى هنا في الأربعين للفخر الرازي ١٨/٢ والمحصل ص٢٢٣ .

(٣) الأربعين ١٨/٢

(٤) لفظ البنية غير واضح في المخطوط والتصحيح من المحصل .

(٥) هو : أحمد بن يحيى بن إسحاق الريوندي أو الراوندي ينسب إلى الإلحاد وعداوة الدين ، كان أبوه يهودياً فأسلم هو فكان بعض اليهود يقول للمسلمين عنه : لا يفسد هذا عليكم كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة ، عاش نيفاً وثمانين سنة وقيل بل عاش ستاً وثلاثين سنة ، مات سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة . والله أعلم .

انظر سير أعلام النبلاء ٥٩/١٤ ، والبداية والنهاية ١١٢/١١ والنجوم الزاهرة ١٧٥/٣

(٦) وانظر كتاب المواقف ٦٧٤/٢ .

(٧) في المخطوط الظنام والتصحيح من المحصل : النظام .

(٨) مذهب النظام هو أن الروح : جسم لطيف سارٍ في البدن سريان ماء الورد في الورد والدهن في اللبن والسمسم .

انظر : كتاب المواقف ٦٦٢/٣ والملل والنحل ٥٥/١ .

جسماني : منهم من جعله عبارة عن المزاج واعتدال الأخلاط ؛ ومنهم من جعله عبارة عن شكل البدن وتخطيطه وتأليفه ؛ ومنهم من جعله عبارة عن الحياة .

والذين قالوا : إنه غير جسم ولا جسماني فهم الفلاسفة : ومعمر[١] عن[٢] المعتزلة ومنا الإمام الغزالي[٣] .

ومن الناس من زعم أن الروح غير النفس ومن هؤلاء من يخص اسم النفس بالنَّفَس الداخل والخارج[٤] .

وفي المسألة مذاهب أخرى سخيفة .

وقال القاضي عياض ما معناه : (اختلف الناس في الروح اختلافاً لا يكاد ينحصر فقال كثير من أرباب المعاني وعلم الباطن والمتكلمين : لا يعرف حقيقته ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد علمه ، واحتجوا بقوله تعالى :﴿قل الروح من أمر ربي ﴾[٥] وغلت الفلاسفة وقالوا بعدم الروح .

وقال جمهور الأطباء : هو البخار اللطيف الساري في البدن ، وقال كثيرون من شيوخنا : هو الحياة .

---

(١) هو : معمر بن عمرو وقيل ابن عباد البصري السلمي مولاهم العطار المعتزلي . مات سنة خمس عشرة ومائتين للهجرة . سير أعلام النبلاء ٥٤٦/١٠

(٢) في المحصل : من بدل عن . ص ٢٢٤

(٣) عن الغزالي : إحياء علوم الدين ٤/٣ — ٥

(٤) المحصل للفخر بتصرف ٢٢٣ — ٢٢٤ ، والأقوال التي ذكرها المؤلف أتى عليها الفخر الرازي في الأربعين بدون أن ينسبها إلى أصحابها غالباً انظر ١٨/٢ — ٢٧ ، وقد نسب إلى معمر والغزالي والفلاسفة والمتكلمين أولاً .

(٥) سورة الإسراء آية ٨٥

وقال آخرون : هو أجسام لطيفة مشابكة للجسم يحيى بحياته ، أجرى الله تعالى العادة بموت الجسم عند فراقه ، وقيل هو بعض الجسم .

وقال بعض متقدمي أئمتنا هو جسم لطيف / متصور على صورة الإنسان داخل الجسم))[١] . ٩٢أ- ٩٢ب

والأحاديث والأخبار دالة على ما اختاره القاضي أبو بكر وإمام الحرمين رحمهما الله وهذا الحديث[٢] دال على أن الروح تفارق الجسد وتنفصل عنه وتبقى مفارقتها له وتنعم ، وفي الآيات والأحاديث ما يدل على النعيم والعذاب .

قال القاضي عياض : (في هذا الحديث أرواح الشهداء)) وفي حديث مالك : (إنما نسمة المؤمن)[٣] قال : والنسمة تطلق على ذات الإنسان جسماً وروحاً وتطلق على الروح مفردة وهو المراد هنا لأنها في الحديث الآخر مفسرة بالروح ولأن الجسم يفنى ويأكله التراب ولقوله في الحديث : ((حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة))[٤][٥] .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٣٢/١٣ عند حديث أرواح الشهداء ، وانظر عن الأقوال في الروح : شرح العقيدة الطحاوية ٤٤٢/١

(٢) حديث : ((إن أرواح الشهداء تسرح في الجنة)) وسبق صلى الله عليه وسلم ٢٥٢ .

(٣) هذا جزء من حديث : رواه ابن حبان ٥١٣/١٠ برقم ٤٦٥٧ ذكر تكوين الله جلَّ وعلا نسمة الشهيد ....

وسنن ابن ماجة ١٤٢٨/٢ برقم ٤٢٧١ باب ذكر القبر والبلى ، ومسند الإمام أحمد ٤٥٥/٣ برقم ١٥٨١٥ ، والمعجم الكبير١٩/٦٣ برقم ١٩ وغيرهم .

(٤) المصادر السابقة .

(٥) انظر شرح صحيح مسلم ٣١/١٣ -٣٢

وعلى هذا فالحياة المذكورة في الآية محمولة على ما حصل للـــروح إذ روح غير الشهيد ممن يؤخر للحساب لا يدخل الجنة عند مفارقتها للبدن فقد ورد : ((أرواح المؤمنين على أفنية قبورهم))[١] وورد : عرض مقعد المؤمن عليه من الجنة بكرة وعشياً[٢] وفي بعض ألفاظ هـــذا الحـــديث ((أن أرواح المؤمنين)) قال القاضي عياض : تحمل على المؤمنين الذين يدخلون الجنة بغـــير عذاب فهم يدخلونها الآن ....

وقد قيل إن هذا المنعم والمعذب من الأرواح / جزء من الجسد تبقى فيه الروح فهو الذي يألم ويعذب ويَلتذ وينعم وهو الذي يقول:﴿رب ارجعون﴾[٣]

٩٢ب-٩٣أ

---

(١) فيما تيسر لي من مراجع لم أجد من نسبه إلى أحد إلا أن ابن عبد البر في التمهيـــد اســـتدل بكلام الرسول ﷺ لمن في قليب بدر واستدل أيضاً بسلام الرسول ﷺ واستغفاره لأهل البقيع على أن الأرواح على أفنية القبور والله أعلم .

انظر : التمهيد ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، تحقيق : مصطفى بن أحمـــد العلـــوي ومحمد عبد الكبير البكري وزارة عموم الأوقاف والشـــئون الإســـلامية المغـــرب ١٣٨٧هـــــ ١٠٩/١٤ و٢٤٠/٢٠ .

(٢) عزاه الهيثمي إلى الطبراني في الكبير ولم أجده ، وقال عنه : رجاله ثقات ، مجمـــع الزوائـــد ٣٢٨/٢ .

(٣) سورة المؤمنون آية ٩٩ لكن سياق الآية مغاير للاستشهاد بها هنا وتتمتها قوله تعالى :﴿لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ﴾ المؤمنون ١٠٠ ، إذ أن تفسير الآية : حتى إذا جـــاء أحـــد هـــؤلاء المشركين الموت وعاين نزول أمر الله به قال لعظيم ما يعاين مما يقدم عليه من عذاب الله تنـــدماً على ما فات وتلهفاً على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسألته للإقالة : رب ارجعون إلى الدنيا فردوني إليها لعلي أعمل صالحاً يقول كي أعمل صالحاً فيما تركت قبل اليوم من العمـــل فضيعته وفرطت فيه)) تفسير الطبري ٥٢/١٨ .

وهو الذي يسرح في الجنة فيمكن أن يكون هو الذي يجعل طائراً أو في جوف طائر)) [١] وقد أخذت هذه المسألة حقها بالنسبة إلى هذا المقام .

فإن قيل : فإذا كان الشهيد حياً فهل هي حياة تحدث له عقيب موته وما الفرق بين حياته وحياة من يعذب في قبره وينعم ؟ .

قلت : قدمنا الجواب عن هذا في أثناء الكلام وذكرنا أن الحياة راجعة إلى الروح ؛ وغير روح الشهيد ممن يوقف للحساب لا يحصل لها ذلك وسيأتي في آخر الكلام ما يزيد ذلك وضوحاً ويبين مسار حياة الشهيد عن حياة غيره وإذا حاولنا الإيضاح تكلمنا في حقيقة الموت :

ومن الناس من جعله عدمياً وقال : هو عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً ، وقيل هو وجودي لقوله تعالى :﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾[٢] ومن قال هو عدمي يجيب عن الآية بأن الخلق هو التقدير لا يجب في المقدر أن يكون وجودياً[٣] .

وفي حديث الإتيان بالموت على صورة كبش أملح ومعرفة أهل الجنة وأهل النار له وذبحه / بين الجنة والنار[٤] ما يتأنس في إثبات كون الموت ٩٣أ-٩٣ب

---

(١) انظر : شرح صحيح مسلم ٣٢/١٣ .

(٢) سورة الملك آية ٢

(٣) انظر : الأقوال في كتاب المواقف ٤٥/٢ وليلاحظ ميله إلى أنه عدمي وأن الخلق بمعنى التقدير ومما ينبغي التنبيه عليه أن القرآن يفسر بالقرآن وبالسنة الصحيحة وفي الحديث في الهامش الآتي يتضح أن الموت وجودي ومخلوق .

(٤) روى مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح زاد أبو كريب فيوقف بين الجنة والنار – واتفقا في باقي الحديث – فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم ، هذا الموت قال:=

وجودياً فقيل على هذا المذهب : هو عرض من الأعراض وتؤول الحديث في ذبحه والإتيان به على صورة الكبش أن ذلك على طريق التمثيل[1] لبيان انقطاع الموت وثبوت الخلود ؛ ومعرفة أهل الجنة وأهل النار له إما بالإعلام أو بالإفهام .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : ((الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار : أن الموت معناه تغير حالٍ فقط وأن الروح باقية بعد مفارقتها الجسد إما معذبة وإما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد : انقطاع تعرفها فيه))[2] وبسط القول في ذلك وإنما احتاج إلى تفسير المفارقة بما ذكره بناء على مذهبه في الروح ، لكن سقت كلامه لأن فيه معنى حسناً يمكن ذكره في الشهيد قال[3] : ((وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهي باقية ؛ نعم تغير حاله من وجهين :

أحدهما : أنه سلب منه أعضاؤه وأهله وولده وجميع أمواله فلا فرق بين سلب هذه من الإنسان أو سلب الإنسان منها فالمؤلم هو الفراق فمعنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه / إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فيعظم تحسره على ما كان يأنس إليه من ذلك ومن كان لا يفرح إلا بذكر الله تعالى

٩٣ب-٩٤أ

=ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ . قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت . قال : فيؤمر به فيذبح ، قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ... الحديث)) ٢١٨٨/٤ برقم ٢٨٤٩ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، وبنحوه البخاري ١٧٦٠/٤ برقم ٤٤٥٣ باب وأنذرهم يوم الحسرة

(١) كيف وقد أشار في الحديث أنهم يشرئبون وينظرون إليه ثم يقولون نعم أي نعرف هذا الذي نراه بأعيننا ، فإنه دال على أنهم قد رأوه قبل ذلك والأحرى أن يكون عند قبض أرواحهم في الحياة الدنيا والله أعلم .

(٢) إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالي دار المعرفة بيروت ٤٩٣/٤ .

(٣) أي الغزالي

ولا يأنس إلا به فإنه يعظم نعيمه وتتم سعادته لأنه خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العلائق والشواغل

والثاني : أنه ينكشف له ما لم يكن مكشوفاً فمنه حسناته وسيئاته وعندها يتحسر على ما فرط ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع من العذاب وقد يعفى عنه ؛ نعم ولا يمكن كشف الغطاء عن كنه الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها ؛ ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول : ﴿ الروح من أمر ربي ﴾[١] ولكن بالموت تنتقل إما إلى سعادة وإما إلى شقاوة وكل ما سِوَى الله تعالى وذكره والأنس به فلابد من فراقه عند الموت ولا محال قال عبد الله بن عمر : ((إنما مثل المؤمن حين يخرج نفسه أو روحه مثل رجل كان في سجن فأخرج منه))[٢] وهذا الذي ذكره حال من يجافي عن الدنيا ولم يكن أنسه إلا بذكر الله تعالى وكانت شواغل / الدنيا تحجبه عن محبوبه ؛ وفي الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه من غير عائق وما أجدر ذلك بأن منتهى النعيم واللذات ؛ وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين لإلتفاقم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى الله تعالى راضين بالقتل في طلب مرضاته فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعاً بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه إلى المبيع ؛ وإن نظر إلى الآخرة فقد اشترها وتشوق إليها فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه وما أقل إلتفاته إلى ما باعه إذا فارقه ، وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الأحوال

٩٤أ-٩٤ب

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨٥

(٢) بتصرف : إحياء علوم الدين ٤/٥٩٤

ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سببُ الموت فكان سبباً لإدراك على مثل هذه الحال ؛ فلهذا عظم النعيم ؛ إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريده قال الله تعالى : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس ﴾[١] فكان هذا أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة ؛ وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال تعالى : ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾[٢] فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم ، وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه / من غير تأخير وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب[٣] وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه ، وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى ، فقد روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ لجابر : ((ألا أبشرك يا جابر ؟)) ــ وكان قد استشهد أبوه يوم أحد ــ قال : بلي ، بشرك الله . فقال : ((إن الله تعالى أحيا أباك فأقعده بين يديه فقال : تمن علي عبدي ما شئت أعطيكه ؛ قال يا رب ما عبدتك حق عبادة أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل مرة أخرى ؛ فقال : لقد سبق أنك إليها لا ترجع))[٤]

٩٤ب-١٩٥أ

---

(١) سورة الزخرف آية : ٧١

(٢) سورة سبأ آية : ٥٤

(٣) كل المغيبات لا يمكن إدراكها من جهة العقل ولا من جهة الذوق على ما هي عليه قال تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ سورة الإسراء آية : ٣٦ .

(٤) المستدرك على الصحيحين بنحوه ٢٢٣/٣ رقم ٤٩١١ ذكر مناقب عبد الله بن عمرو بن حرام وقال عنه : الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وبنحوه الترمذي ٢٣٠/٥=

وقال كعب يوجد في الجنة رجل يبكي فيقال له : تبكي وأنت في الجنة ؟ فقال : أبكي لأني لم أقتل في سبيل الله إلا قتلة واحدة[١]

وهذا الذي ذكره الغزالي[٢] رحمه الله تعالى مما قدمناه يوضح لك ما بين حال الشهيد وحياته وبين حال سائر الموتى .

وأما عذابهم في القبر ونعيمهم والسؤال فهل هو مع حياة حقيقة لكل البدن أو لبعضه ؟ فيه أقوال للعلماء والذي دلت عليه الأحاديث والآيات إثبات ذلك / على حقيقته[٣] ولا يبعد ذلك بكون الميت يُرَى وهو لا يتحرك ولا يألم ولا يحس وكذلك المصلوب يبقى مدة ولا ترى مساءلته لأن من عقل

١٩٥-٩٥ب

=برقم ٣٠١٠ باب ومن سورة آل عمران وقال عنه : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد أشار ابن حجر في الفتح إلى تلك الروايتين عند الحاكم والترمذي وذكر تصحيح الحاكم وتحسين الترمذي و لم ينتقدهما بشيء فيما اعلم

انظر : فتح الباري ٣٢/٦ .

وبنحوه في المسند ٣٦١/٣ برقم ١٤٩٢٤ من مسند جابر ﷺ وكذلك سنن ابن ماجة ٦٨/١ برقم ١٩٠ باب فيما أنكرة الجهمية

(١) حلية الأولياء ٤٤/٦ وتمامه : ((وكنت اشتهي أن أرد فأقتل فيه ثلاث قتلات)) .

(٢) من هامش الإحياء السابق إلى هنا انظر إحياء علوم الدين ٤٩٦/٤

(٣) قال تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾سورة غافر آية : ٤٦

وانظر : تفسير ابن كثير ٨٢/٤ ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين يعذبان فقال : ((إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ؛ أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ... الحديث))

رواه البخاري ٤٥٨/١ رقم ١٢٩٥ باب الجريدة على القبر ولزيادة الأحاديث انظر مجمع الزوائد للهيثمي ٥٥/٣ وفتح الباري ٢٣٦/٣

ما يراه النائم ويتألم به ويجده من الأحوال التي تعتريه في منامه مما يسر بـه أو يتألم له مع عدم إحساس جليسه بذلك لا يستبعده ؛ بل الحي اليقظـان قـد يحصل له من الأحوال الحقيقية المحسوسة والمعقولة مالا يدرك[١]

وقد كان جبريل عليه السلام يترل على النبي ﷺ وهو بين ظهراني القوم ويخبره عن الله تعالى ويفهم عنه ما يأتي ويبلغه أمته ولا يرى جبريل أحد مـن الحاضرين ولا يعلم حقيقة الأمر حتى يأتيه به النبي ﷺ . ومن قذف الله تعـالى في قلبه نور الإيمان لم يخالجه في ذلك شك ولا يحصل له في دفعه شبهة

ونحن مما[٢] سقنا الكلام لإيضاح ذلك ويسط القول فيه بل هو شـيء جره حياة الشهداء ونعيمهم بعد الموت ثم بعد تمام هذا الفصـل وقفـت لأبي الحكم بن برجان[٣] على كلام في الشهيد أحببت نقله لما فيه من التنبيه علـى فضل الشهادة وعلى رتبتها وتحقيق حياة الشهداء بعد الموت قال :/ ((وسمـي المقتول في سبيل الله شهيداً لقيامه بالشهادة في نفسه لله تعالى حين الوفاء بالبيعة التي بايعه بها في قول الحق ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾[٤]

٩٥ب-٩٦أ

---

(١) انظر : العقيدة الطحاوية ٤٤٧ ــ ٤٥٢

(٢) هكذا في المخطوط ويستقيم الكلام أكثر لو كانت ((ما)) والله اعلم

(٣) الذي يظهر لي والله اعلم أنه عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي الأفريقي ثم الاشبيلي ويقال له ابن برجان مخفف من ابن الرجال .

توفي بمراكش غريقا سنة ست وثلاثين وخمسمائة والله اعلم .

انظر : شذرات الذهب ١١٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣٣٤/٢٢ ، وطبقـات المفسـرين (١) ٦٨/١ ، ووفيات الأعيان ٢٣٧/٤ وذيل تذكرة الحفاظ ٧٣/١

(٤) سورة التوبة : آية ١١١.

فهذا المقتول في سبيل الله تعالى قد باع نفسه بيعاً تاماً على أن يقاتل في سبيل الله ويقتل وله الجنة ناجزاً بناجز قال رسول الله ﷺ : ((واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف))[١] يخبرك أن الجزاء الواقع على القتل في سبيله ليس نسيئة فقام هذا المقتول في سبيله بشهادته هذه حتى وافى بها ربه جل جلاله مشاهدة للثمن مؤمناً بذلك محتسباً بنفسه وماله على الله تعالى وعلم الله تعالى ذلك منه فاتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد فسماه شهيداً ولذلك قال النبي ﷺ : ((والله أعلم بمن يكلم في سبيله)) [٢] ، وقال في شهداء أحد : ((أنا شهيد على هؤلاء))[٣] لبذلهم أنفسهم دونه وقتلهم بين يديه تصديقاً لما جاء به فعوض عن حياته في الدنيا وطعامه وشرابه الذي تركه من أجله جسماً وغذاء ومأوى وأهلاً أطهر وأكرم من الذي تركه)) [٤]

وذكر بعد ذلك تفاضل رتب الشهداء / وروى فيه حديثاً واحتج عليه أيضاً بحديث أمراء مؤتة وسيأتي ، ثم قال[٥] : ((والشهداء حياتهم رفيعة تضاعف لهم بولاية الإيمان والنصرة لله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : ((أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة))[٦] فخصهم الله تعالى بذكر الحياة والرزق

٩٦أ-٩٦ب

---

(١) رواه البخاري ١٠٣٧/٣ برقم ٢٦٦٣ باب الجنة تحت بارقه السيوف ، ومسلم ١٣٦٢/٣ برقم ١٧٤٢ باب كراهة تمنى لقاء العدو

(٢) رواه البخاري ١٠٣٢/٣ جزء من حديث رقم ٢٦٤٩ باب من يخرج في سبيل الله عز وجل ، ومسلم ١٤٩٦/٣ جزء من حديث رقم ١٨٧٦ باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله .

(٣) رواه البخاري ٤٥٠/١ جزء من حديث رقم ١٢٧٨ باب الصلاة على الشهيد .

(٤) لم أجد مرجع لذلك فيما تيسر لي من مراجع والله أعلم .

(٥) أي ابن برجان .

(٦) رواه أحمد ٣٨٦/٦ من حديث رقم ٢٧٢١٠ ومن مسند كعب عن أبيه ، وفي الترغيب والترهيب : عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب ==

بقوله ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون﴾[1] من أجل التضعيف الذي تقدم ذكره وأنهم عند الله تعالى لهم منزلة النصرة والنصيحة ، فهو يجري عليهم أرزاقهم من لدنه فعل الملك من ملوكنا بأجناده والأبطال من أهل نصره[2] ،

وقال[3] في أثناء كلامه : والمؤمنون كلهم أحياء بما لهم من الإيمان والشهداء لهم تضعيف الحياة[4] وفي هذا نظر إلا أن يريد والله أعلم أن المؤمنين الأحياء في الدنيا أحياء عند ربهم يرزقون وأن حياة الشهداء بعد الموت تضاعف على هذه الحياة إذ هي أرفع منها وأعلا درجة وأقوى جاهاً وأعظم منزلة وحظوة على ما دل عليه كلام هذا الرجل فإنه قال[5] بعد ذلك : " فإن قلت فكيف المعتقد في حياة الشهداء وقد نهينا أن نقول أموات ، وأمرنا أن نصفهم بالحياة فاعلم أن / حياة الشهداء عند ربهم حياة كاملة بالإضافة إلى حياتهم في الدنيا مخلصة من حيث الأجساد الدنيوية وظلماتها من أرجاسها سالمة من تمانع الأضداد التي تحتويها متصلة بالحياة الأخروية اتصالاً صحيحاً لكنها إنما يتم بوجودها في أجسادها يوم بعثها ويكمل الكمال الذي أهلت له بدخولها في دار الحيوان في جوار الحي الذي لا يموت "[6] .

٩٦/ب – ٩٧/أ

=العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ٢/٢٠٧ برقم ٢١٢٤ ، ورواه الترمذي بنحوه ٤/١٧٦ رقم ١٦٤١ وقال عنه هذا حديث حسن صحيح ، وبنحوه الطبراني في الكبير ١٩/٦٦ رقم ١٢٥ ، وبنحوه كتاب السنن سعيد بن منصور الخراساني تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، الدار السلفية ، الهند ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م ، ٢/٢٥٧برقم ٢٥٦٠ .

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٩.

(٢) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع .

(٣) أي ابن برجان .

(٤) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع والله أعلم .

(٥) أي ابن برجان .

(٦) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع والله أعلم .

فهذا الكلام من هذا الرجل يدل على أنه أراد أن حياة الشهيد في البرزخ أكمل من حياته في الدنيا وتكون عند رد روحه إلى جسده أكمل .

ورأيت في بعض الحواشي منسوباً إلى هذا المذكور ما صورته : ينبغي أن يكون معنى قوله : ((في حواصل طير خضر)) أن الشهيد يطير في دار البرزخ لا أنه على صورة طائر بل على صورته التي كان عليها في الدنيا وأحسن يطير فيما هنالك وذِكر الحواصل إعلاماً بأنهم أحياء وأن أرواحهم حاصلة في حقائق أجسادهم الدنيوية وهو أظهر من أن تكون في صورة طائر لما جاء أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم ولو كانوا على صورة طائر لكان ضرباً من المسخ ويخرج عن طريق الإكرام[١] / انتهى كلامه . ٩٧أ – ٩٧ب

وهذا الذي ذكره من رجوع روحه إلى عين الجسد وإلى صورة مثل صورته لم أقف عليه لغيره وإنما قاله على سبيل البحث وهو بحث حسن لو ساعد عليه النقل عن العلماء وفي حديث جعفر بن أبي طالب أن الله تعالى عوضه عن يديه جناحين من ياقوت يطير بهما في الجنة وأنه مرَّ به في نفر من الملائكة يبشرون أهل بيشه[٢] بالمطر[٣] فيحتمل أنه مر به في صورته ، ويحتمل أنه في صورة طائر لقوله :

---

(١) لم أجد مرجع لهذا النقل فيما تيسر لي من مراجع .

(٢) بيشه : اسم قرية غناء في واد كثير الأهل بين بلاد اليمن وقيل بئشه بالهمز ، على وادي بيشه يصب سيله من الحجاز ، حجاز الطائف ثم ينصب في نجد .
وبيشه من عمل مكة مما يلي اليمن من مكة على خمس مراحل ، انظر معجم البلدان : ٥٢٩/١ .
وهي الآن محافظة في جنوب المملكة العربية السعودية .

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ٢٤٣/٥ .

((يطير مع الملائكة))[١] ويحتمل أنه إنما جعل في صورة طائر فرقاً بين حياة البرزخ وحياة البعث وإن كان الشهيد حياً في الحالتين والله أعلم .

ورأيت في كتاب الجهاد لابن المبارك[٢] ﷺ حديثاً عن النبي ﷺ قال : ((إذا استشهد الشهيد أخرج الله له جسداً كأحسن جسد ثم أمر روحه فأدخل فيه فينظر إلى جسده الذي خرج منه كيف يصنع به وينظر إلى من حوله ممن يتحزن عليه فيظن أنهم يسمعونه أو يرونه))[٣] فإن صح هذا الحديث أو كان مما تقوم به الحجة فهو ظاهر فيما ذكرناه والله أعلم .

وقد صح في كثير من الآثار رؤية / أجساد الشهداء غضة طرية بعد الموت بمدة طويلة كما سنذكرها في الخاتمة من حديث شهداء أحد الذين استخرجوا في زمن معاوية ﷺ وأن المسحاة أصابت رجل أحدهم فجرى الدم منها [٤]، وكما

٩٧ب- ٩٨أ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ٣٦٢/١١ برقم ١٢٠٢٠، و ٣٩٦/١١ برقم ١٢١١٢ ، ويقول الهيثمي : رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن ، وانظر : المستدرك ٤٢/٣برقم ٢٣٤٨ ، وانظر : أيضاً المستدرك ٢٣٢/٣ برقم ٤٩٣٧ .

(٢) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التركي ثم المروزي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن ، مولده بمرو سنة ثماني عشرة ومئة وقيل سنة عشرة ومئة للهجرة ، مات في رمضان في هيت مكان في أنبار العراق وكان منصرفاً من الغزو سنة إحدى وثمانين ومئة وقيل سنة اثنين وثمانين ومئة وله ثلاث وستون سنة والله أعلم .

انظر : سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨ وطبقات الحفاظ ١٢٣ ووفيات الأعيان ٣٢/٣ والنجوم الزاهرة ٢/ ١٠٣ .

(٣) الجهاد لابن المبارك رقم الحديث ٦٣ ص٦٠ وآخره : ((فينطلق إلى أزواجه)) ، ولم أجد من خرجه غيره فيما تيسر لي من مراجع والله أعلم .

(٤) مصنف عبد الرزاق ٥٤٧/٣ رقم ٦٦٥٦ ، والجهاد لابن المبارك ص٨٤ رقم ٩٨ ، مصنف ابن أبي شيبة ٥٤٧/٣ رقم ٦٦٥٦ .

رُوي أن طلحة بن عبدالله استخرج من قبره بعد قتله بثلاثين سنة وهو طري لم يتغير بمنام رأته ابنته فيه وهو يأمرها بتحويله من الندى[١] .

فإن قلت فأين مستقر الأرواح بعد الموت قلت : أما من يقول : الروح تفسد بفساد الجسد وتموت بموته فمن يقول منهم بعذاب القبر يلتزم عود الحياة إلى جميع البدن أو إلى بعضه ونقل عن بعضهم أنه قال : ترد الروح إلى جزء لا يتجزأ من البدن ليعذب وقيل : ترد إلى عجب الذنب فإنه الذي يبنى عليه الخلق وهما ضعيفان[٢] .

وأما من يثبتها أجساماً لطيفة مشابكة للأعضاء فيقول إنها تخرج من الجسد واختلف هؤلاء : فمنهم من يقول : تبقى على فناء القبر ويتعلق بحديث ورد فيه : ((أرواح المؤمنين على أفنية قبورهم))[٣] وفيهم من يقول :
أرواح المؤمنين في بئر زمزم أو في الجابية ؛ وأرواح الكفار في بئر بر هوت[٤]

---

(١) مصنف عبدالرزاق ٥٤٧/٣ حديث رقم ٦٦٥٧ ومصنف ابن أبي شيبة ٥٤٧/٣ رقم ٦٦٥٧ ، وانظر سنن الدارمي ٣٦/١ رقم ٤٥ ، وأحمد ٣٩٧/٣ رقم ١٥٣١٦ ، وقال عنه الهيثمي : روات أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا نبيح العنزي وهو ثقة ، مجمع الزوائد ١٣٧/٤ باب قضاء دين الميت .

(٢) حدث أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله ﷺ : ((إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب يوم القيامة)) قالوا : أي عظم هو يا رسول الله ؟ قال : ((عجب الذنب)) .

رواه مسلم ٢٢٧١/٤ برقم ٢٩٥٥ وبنحوه في البخاري ١٨١٣/٤ برقم ٤٥٣٦ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) برهوت : بضم الهاء وسكون الواو وتاء فوقها نقطتان : وادٍ باليمن يوضع فيه أرواح الكفار وقيل بئر بحضرموت وقيل هو اسم للبلد الذي فيه هذا البئر ، انظر : معجم البلدان ٤٠٥/٥ ،=

بحضرموت[١] .

وقفت في بعض / المجاميع على حكاية الله أعلم بصحتها وخلاصة ما أذكره منها : أن شخصاً توفي له قريب ولم يوصِ وكانت عنده وديعة فأراد معرفة مكانها فدُلَّ على أن ينادي الرجل ببئر زمزم ثلاثة أيام فإن أجابه سأله الوديعة فناداه فلم يجبه فقيل له ناده في بئر برهوت فتوجه إليها وناداه فأجابه ودله على الوديعة وليس على القول دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر صحيح[٢] .

٩٨أ-٩٨ب

وقال ابن حزم : (إن الله تعالى قال :﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾[٤] وقال

=وبَرَ هوت : هي بفتح الباء والراء : بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول إلى مقرها ، ويقال برهوت بضم الباء وسكون الراء فتكون تاؤها على الأول زائدة وعلى الثاني أصلية ، النهاية في غريب الأثر ، ولم أجد دليل يعتمد عليه في أن هذا البئر توضع فيه أرواح الكفار فيما تيسر لي من مراجع ، والله أعلم .

(١) انظر : فتح الباري ٢٣٣/٧ ولم ينسبه إلى أحد وفي تفسير ابن كثير ١٦١/٤ ونسبه لعلي ابن أبي طالب ﷺ لكن لم أجد له سند بل نسبه إليه بصيغة التمريض .

وكذلك في تفسير القرطبي بنحوه ٢٠٤/١٦ ، وهذا القول بأن أرواح المؤمنين في الجابية أو بئر زمزم وأرواح الكفار في بئر برهوت بحضرموت ينسب إلى الرافضة ، انظر : الروح ١٠٩فلعل ما ذكر في التفسير من نسبته إلى علي رضي الله عنه من وضع الرافضة والله أعلم .

(٢) انظر : القصة في الكبائر ، محمد بن عثمان الذهبي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ص٤٨ – ٤٩ وفي كتاب : بغية الطلب في تاريخ حلب ، ٤٤٢٠/١٠ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٧٢

(٤) سورة الأعراف آية ١١

النبي ﷺ : ((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف))[١] على أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد[٢] وتنفخ جملة بعد جملة في الأجساد وعلى ما دلّ عليه القرآن والحديث الصحيح في قوله : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين .. إلى قوله : ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾[٣] وفي قول النبي ﷺ : ((أن أحدكم يجمع خلقة في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك / ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يؤمر الملك فينفخ فيه الروح))[٤] وهذا دليل على وجود الروح قبل الجسد[٥] فإذا مات العبد انتقلت الروح إلى البرزخ كما كانت قبل دخولها في الجسد ؛ وأرواح الأنبياء وأرواح الشهداء تدخل الجنة على ما دلت عليه الأدلة الشرعية .

٩٨ب-٩٩أ

---

(١) رواه البخاري ١٢١٣/٣ رقم ٣١٥٨ كتاب الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة ، ومسلم ٢٠٣١/٤ رقم ٢٦٣٨ كتاب البر والصلة باب الأرواح جنود مجندة .

(٢) هذا الحديث يدل على دلالة قوية جداً على أن الروح مخلوقة مربوبة لكنه لا يدل على أنها مخلوقة قبل الأجساد فقد سماها الرسول ﷺ جنود ووصفها بالتعدد وبأنها تتعارف وتتناكر وهذا وصف للأعيان المخلوقة ويمكن حمله على أرواح البشر الأحياء في زمن واحد .

(٣) سورة المؤمنون آية ١٢ — ١٤

(٤) رواه مسلم ٢٠٣٦/٤ برقم ٢٦٤٣ كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي ، ورواه البخاري بنحوه : ١١٧٤/٣ برقم ٣٠٣٦ باب ذكر الملائكة .

(٥) في هذا الحديث أن بداية خلق الإنسان كجسد لكن ليس فيه ما يثبت الخلق للروح قبل ذلك وما المانع من أن يكون خلق الروح ساعة نفخ الملك لها للجنين في بطن أمه ؟!

فإن قيل كيف تخرج من الجنة إلى الموقف يوم القيامة قلنا لا يبعد ذلك ولا استحالة فيه إذ قد دلت عليه الأدلة الشرعية هذا معنى كلام ابن حزم[١]

وقد بينا المذهب في الروح وأن روح الشهيد بعد خروجها من البدن : في الجنة كما أخبر به النبي ﷺ في قوله : ((أنها في حواصل طير خضر تعلق في الجنة)) [٢] .

وقد ورد في حديث الإسراء رؤية النبي ﷺ لآدم وعلى يمينه أسورة وعلى يساره أسورة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى وأنه سأل عنها فقيل هذه نسمة بنيه[٣]

قال النووي[٤] قال القاضي عياض : وقد جاء أن أرواح الكفار في سجين قيل في الأرض السابعة وقيل تحتها وقيل في سجن وأن أرواح المؤمنين

---

(١) الفصل في الملل لابن حزم ٥٨/٤ — ٦٠ ، والأصل في الأمور الغيبية أن العبد يسلم ولا يقيسها على أمور الدنيا والشهادة فإن العقل لا يصلح لذلك والله عزَّ وجلَّ على كل شيء قدير ألا ترى إلى الميت في قبره إذا كان من أصحاب الجنة يفتح له باباً على الجنة ويرى مقعده فيها ويأتية من نعيمها وإذا كان من أهل النار يفتح له باباً على النار ويرى مقعده في النار ويأتيه من حرها .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر صحيح البخاري ١٣٥/١ حديث رقم ٣٤٢ كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة ، وصحيح مسلم ١٤٨/١ حديث رقم ٦٣ باب الإسراء برسول الله ﷺ

(٤) هو : الإمام محي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الحوراني الشافعي أبو زكريا ، ولد في العشر الأول من المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة للهجرة بنوى قرية من أعمال دمشق — ومات عند أبويه ليلة الأربعاء رابع عشر من شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة . انظر : طبقات الحفاظ ٥١٣/١ وطبقات الفقهاء ٢٦٨/١ وشذرات الذهب ٣٥٤/٣ وطبقات الشافعية ١٥٣/٢ .

منعمة في الجنة قال : يحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتاً فوافق / عرضها مرور النبي ﷺ ويحتمل كونهم في النار والجنة في أوقات دون أوقات كما قال تعالى :﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾[١] وكما قال النبي ﷺ في المؤمن يعرض مترله عليه[٢] ويحتمل أن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله[٣] ٩٩أ-٩٩ب

وأما أرواح الأنبياء ففي حديث الإسراء رؤية النبي ﷺ لجماعة من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ووصفه لهم ورؤيته لموسى وهو يلبي[٤] ورؤيته له وهو يصلى[٥]

وكذلك رؤيته للأنبياء وقد أمّ بهم[٦] قال القاضي عياض : ((إن قلت كيف يحجون ويلبون ويصلون وهم في الآخرة وليست بدار عمل فالجواب : أنهم

---

(١) سورة غافر آية ٤٦

(٢) بالرجوع إلى قول القاضي عياض يتبين سقوط جملة من الجنة وبها يستقيم المعنى والله اعلم انظر شرح النووي على مسلم ٢١٩/٢

(٣) انظر : شرح صحيح مسلم ، ٢١٨/٢ ــ ٢١٩ .

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ مرّ بوادي الأزرق فقال : ((أي واد هذا)) فقالوا : هذا وادي الأزرق قال : ((كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية ....)) الحديث .

رواه مسلم ١٥٢/١ برقم ١٦٦ ، باب الإسراء برسول الله ﷺ

(٥) عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((أتيت ــ وفي رواية ــ مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره .

رواه مسلم ١٨٤٥/٤ رقم ٢٣٧٥ ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى ﷺ .

(٦) عن أبي هريرة ﷺ ــ قال : قال رسول الله ﷺ ((لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ــ وفيه ــ ... فحانت الصلاة فأممتهم .... الحديث

رواه مسلم ١٥٦/١ رقم ١٧٢ ، باب الإسراء برسول الله ﷺ

كالشهداء بل هم أفضل ؛ والشهداء أحياء عند ربهم ولا يبعد فيهم العمل تقرباً إلى الله تعالى وإن انقطع التكليف كما أخبر الله تعالى عن أهل الجنة بقوله : ﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم ﴾[1] [2] .

وأما رؤيته لعيسى يطوف[3] فعيسى حي لم يمت ؛ وأما رؤيته لموسى في قبره ثم في السماء ثم إمامته بالأنبياء فيحمل على حالات :

رآه في قبره عند صعوده إلى السماء ثم رآه في السماء ثم في عوده صلى بالنبيين أو في حال آخر .

٩٩ب-١٠٠أ

والقصد أن للأنبياء / ما للشهداء وأفضل والله اعلم[4]

ومن خصائص الشهيد أنه ليس أحد يتمنى العودة إلى الدنيا ممن مات على الإيمان إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يعود إلى الدنيا ليقاتل في سبيل الله تعالى فيقتل

---

(١) سورة يونس آية : ١٠

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢٨/٢ ، وذكر الطبري رحمه الله تعالى في تفسيرها أن المؤمنين : ((إذا مرّ بهم الطير فيشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا)) تفسير الطبري ٨٩/١١ .

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى : ((إن عمل الآخرة ذكر ودعاء ، لقوله تعالى : ﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم ﴾ ، فتح الباري ٤١٤/٣ .

(٣) عن عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : ((أراني ليلة عند الكعبة فرأيت رجلاً ... متكئ على رجليه أو على عواتق رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا ؟ فقيل هذا المسيح بن مريم .. الحديث))

رواه مسلم ١٥٤/١ رقم ١٦٩ باب ذكر المسيح بن مريم

(٤) وللتحقيق في مسألة مستقر الأرواح بعد الموت إلى قيام الساعة . انظر : شرح الطحاوية ٤٥٣/٢ ، وما بعدها والروح ص٩٠

عشر مرات على ما ذكرناه وأوردناه من الحديث الصحيح في ذلك[١] وإنما تمنى الرجوع إلى الدنيا لكثرة ما يرى من الكرامة ولما يرى من فضل الشهادة على ما في الحديث .

ومما اختص به الشهيد من الأمور الأخروية بقاء آثار العبادة عليهم وإن كان ذلك الأثر مما تجب إزالته في غير هذه الصورة وهو مما قدمنا ذكره من الحديث الصحيح المتضمن أن جرح الشهيد يأتي يوم القيامة كهيئته يوم كُلِم اللون لون الدم والريح ريح المسك[٢] ولم يحصل ذلك لغيرهم فإن قيل : فقد قال النبي ﷺ : ((لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك))[٣] ودم الشهيد ريحه ريح المسك ، وما كان أطيب من ريح المسك كان أعلا مما ريحه ريح المسك قلت : الفرق بين الموضعين من وجوه .

أحدها : أن هذا الخلوف قال فيه : عند الله تعالى ودم الشهيد ريحه ريح المسك عند الناس ولم يذكر كيف هو عند / الله تعالى فلا جامع بين الأمرين ولا يخرج هذا عن أن لا يكون خصوصية الشهيد[٤] . ١٠٠أ-١٠٠ب

---

(١) عن قتادة قال : سمعت أنس بن مالك يحدث عن النبي ﷺ قال : ((ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة))

رواه مسلم ٤٩٨/٣ برقم ١٨٧٧ ، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى

(٢) رواه البخاري ١٠٣٢/٣ رقم ٢٦٤٩ باب من يجرح في سبيل الله .

(٣) رواه البخاري ٦٧٠/٢ رقم ١٧٩٥ باب فضل الصوم ، ورواه مسلم ٨٠٦/٢ رقم ١١٥١ باب فضل الصيام .

(٤) يستقيم الكلام أكثر لو كانت اللفظة : للشهيد بدل الشهيد والله اعلم .

الثاني : أن الخلوف لم يتغير عن رائحته المكروهة عند الناس لكن الله تعالى أخبر أن ذلك الذي يكرهونه يعامله معاملة من حصل له ما هو أطيب من المسك ودم الشهيد أحاله الله تعالى طيباً ريحه ريح المسك وأين ما أحيل طيباً إلى ما عومل معاملة الطيب مع بقائه على حاله .

الثالث : أن طيب الخلوف ينقطع بانقطاع الخلوف إذ الخلوف يزول بزوال سببه وهو الصوم ودم الشهيد يحصل له الطيب بعد انقضاء سببه فترجح من هذا الوجه .

ومن خصائص الشهيد أنه يقطع له بدخول الجنة[1] بخلاف غيره وقد تقدمت الأحاديث في ذلك :

منها: ما روى مسلم في صحيحه عن جابر ﷺ قال : قال رجل : أين أنا يا رسول الله إن قتلت ؟ قال : ((في الجنة)) فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل[2] .

وعن أنس ﷺ قال : انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ لا يقدمن من أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه فلما دنا المشركون / قال رسول الله ﷺ ((قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)) قال : يقول عمير بن الحمام الأنصاري ﷺ يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال ((نعم)) قال : بخ بخ .فقال رسول الله ﷺ : ((ما يحملك على قولك بخ بخ)) قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال : ((فإنك من أهلها)) فأخرج

١٠٠ب-١٠١أ

(١) لكن لا يقطع أنه شهيد إنما يرجى له ذلك ويحتسب .

(٢) رواه مسلم ١٥٠٩/٣ رقم ١٨٩٩ باب ثبوت الجنة للشهيد

تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : إن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل(١)

فإن قلت قد قدمت أن الشهيد و(٢)المقتول في سبيل الله وأن الذي يقتل في سبيل الله هو الذي قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فكيف يفهم هذا من قوله : أين أنا ؟ قال : ((في الجنة)) فألقى تمرات كن في يده وقاتل حتى قتل . فإن المفهوم من حاله أنه قاتل ليدخل الجنة قلت : قصد دخول الجنة لا ينافي المقاتلة لتكون كلمة الله هي العليا ، فإن من ثمرات القتال لتكون كلمة الله هي العليا دخول الجنة ، فهو المقصود عن ذلك القصد الأول والله أعلم .

ومن خصائصه أنه يغفر له كل شيء إلا الدين .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى / الله عليه وسلم قال : ((يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين)) (٣) وعن أبي قتادة ﷺ قال : إن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ : ((نعم إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر)) ثم قال رسول الله ﷺ : ((كيف قتلت)) قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ ،

١٠١أ-١٠١ب

(١) رواه مسلم ١٥٠٩/٣ برقم ١٩٠١ ، باب ثبوت الجنة للشهيد

(٢) يستقيم الكلام أكثر بحذف حرف الواو والله اعلم

(٣) صحيح مسلم ١٥٠٢/٣ رقم ١٨٨٦ كتاب الإمارة ، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين إلا أنه ((كل ذنب)) بدل ((كل شيء))

فقال رسول الله ﷺ : ((نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك)) [(١)]

قوله : ((وأنت صابر محتسب)) فيه تنبيه على أنه لابد من الإخلاص لله تعالى في العمل وذلك شرط وقوعه الموقع المكفر[(٢)] .

وقوله : ((مقبل غير مدبر)) فالمقبل غير المدبر فيحتمل أن يريد به مقبلاً غير مدبر في وقت من الأوقات فقد يقبل الشخص ثم يدبر ويحتمل حمله على التأكيد أو تمكين المعنى بالاحتراز عن إرادة التجوز كقوله : ﴿ أموات غير أحياء ﴾[(٣)] ويحتمل أن يكون أحدهما محمولاً على عمل الجوارح والآخر على عمل القلوب ويحتمل غير ذلك .

١٠١ب-١٠٢أ

وفي قوله / ((إلا الدين)) تنبيه على أن حقوق الآدميين لا تكفر لكونها على المشاحة والتضييق ، ويمكن أن يقال : أن هذا محمول على الدين الذي هو خطيئة وهو الذي استدانه صاحبه على وجه لا يجوز له فعله بأن أخذه بحيلة أو غصبه فثبت في ذمته البدل أو ادَّان غير عازم على الوفاء لأنه استثنى ذلك من الخطايا والأصل في الاستثناء أن يكون من الجنس ويكون الدين المأذون فيه مسكوتاً عنه في هذا الاستثناء فلا يلزم المؤاخذة به لما يلطف الله تعالى بعبده من استيهابه له وتعويض صاحبه من فضل الله تعالى ورحمته أو غير ذلك .

---

(١) رواه مسلم ١٥٠١/٣ حديث رقم ١٨٨٥ كتاب الإمارة ، باب : من قُتِل في سبيل الله كُفرت خطاياه إلا الدين .

(٢) والإخلاص في العمل لله من أي نوع من العبادات أحد شرطي قبول الله لذلك العمل وإلا أصبح شركاً والله أغنى الشركاء عن الشرك ، والشرط الثاني أن يكون فيه متابعة للنبي ﷺ وإلا كان إحداثاً في الدين ما ليس منه فيرد على صاحبه .

(٣) سورة النحل آية ٢١

وقد ورد في حديث:((من استدان عازماً على الوفاء وفّى الله عنه))[١] وهذا الوعد حق إما في الدنيا وإما في الآخرة . فإن قيل فكيف تقول فيمن تاب وهو عاجز عن الوفاء ولو وجد وفاء وفّى قلت : إن كان المال الذي لزم ذمته إنما لزمها بطريق لا يجوز تعاطي مثله مثل غصب وإتلاف مقصود فلا تبرأ الذمة عن ذلك إلا بوصوله إلى من وجب له أو بإبرائه منه ولا تسقطه التوبة ، وإنما تنفع التوبة في إسقاط العقوبة الأخروية على ذلك الذنب فيما يختص بحق الله تعالى لمخالفته إلى ما / نهى الله عنه ، وإن كان ذلك المال لزمه بطريق سائغ وهو عازم على الوفاء ولم يقدر فهذا ليس بصاحب ذنب حتى يتوب عنه ويرجى له الخير في العقبى مادام على هذه الحال والله تعالى أعلم[٢]

١٠٢أ-١٠٢ب

(١) انظر : مسند الإمام أحمد ٣٣٥/٦ رقم ٢٦٨٨٣ مسند ميمونة بنت الحارث ﷺ .
وأورد البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((من أخذ من أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله))
٨٤١/٢ رقم ٢٢٥٧ كتاب الاستقراض ، باب من أخذ أموال الناس يريد أدائها أو إتلافها
(٢) وانظر فتح الباري ٥٤/٥

خاتمة :

رتبة الشهادة لا تختص بالقتل في سبيل الله تعالى ففي الصحيحين من رواية أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : ((الشهداء خمسة : المطعون ، والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله)) [١] .

وفي رواية أخرى لمسلم عن أبي هريرة أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : ((ما تعدون الشهداء فيكم ؟)) قالوا : يا رسول الله : من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال : ((إن شهداء أمتي إذن لقليل)) . قالوا : فمن يا رسول الله ؟ . قال : ((من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد والغريق شهيد)) [٢]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((من قتل دون ماله فهو شهيد)) [٣] .

وعن سعيد بن زيد أحد العشرة رضي الله عنهم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من قتل دون ماله فهو شهيد ومن / قتل دون دمه فهو شهيد ١٠٢ب-١٠٣أ

---

(١) رواه البخاري ٢٣٣/١ رقم ٦٢٤ باب فضل التهجير إلى الظهر ، و١٠٤١/٣ رقم ٢٦٧٤ كتاب الجهاد والسير ، باب الشهادة سبع سوى القتل ، ورواه مسلم ١٥٢١/٣ حديث رقم ١٩١٤ كتاب الإمارة باب بيان الشهداء .

(٢) رواه مسلم بنحوه : ١٥٢١/٣ حديث رقم ٢٣٤٨ كتاب الإمارة باب بيان الشهداء .

(٣) رواه البخاري ٨٧٧/٢ حديث رقم ٢٣٤٨ كتاب المظالم باب من قاتل دون ماله ، ورواه مسلم ١٢٤/١ حديث رقم ١٤١ كتاب الإيمان باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه وإن قتل كان في النار وأن من قتل دون ماله فهو شهيد

ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد)) [١]

وفي رواية مالك في الموطأ من رواية جابر بن عتيك : الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله تعالى فذكر المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم وصاحب ذات الجنب والحرق والمرأة تموت بجمع)) [٢].

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١/١٩٠ رقم ١٦٥٢ من مسند سعيد بن زيد ﷺ ، والترمذي ٤/٣٠ رقم ١٤٢١ أبواب الديات باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد .

وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح .

وانظر : سنن أبي داود ٤/٢٤٦ رقم ٤٧٧٢ كتاب السنة باب في قتال اللصوص .

(٢) انظر : موطأ الإمام مالك ١/٢٣٣ حديث رقم ٥٥٤ باب النهي عن البكاء على الميت ، وترجم البخاري في صحيحه : باب الشهادة سبع سوى القتل ٣/١٠٤١ وقال عنها ابن حجر رحمه الله تعالى هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه مالك ... ثم أفاد أن الذي وافق شرط البخاري الخمسة فنبه بالترجمة على أن العدد الوارد ليس على معنى التحديد .

فتح الباري ٦/٤٣ ، والحديث في صحيح ابن حبان ٧/٤٦١ رقم ٣١٨٩ من رواية جابر ذكر البيان بأن المصطفى لم يرد بقوله الشهداء خمسة نفياً عما وراء هذا العدد .

والمستدرك ١/٥٠٣ رقم ١٣٠٠ من رواية جابر أيضاً ، وقال عنه : حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، وسنن أبي داود ٣/١٨٨ رقم ٣١١١ عن جابر ، باب فضل من مات بالطاعون .

والنسائي في المجتبى : أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ٤/١٣ رقم ١٨٤٦ عن جابر باب النهى عن البكاء على الميت .

ومسند أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : ٥/٤٤٦برقم ٢٣٨٠٤ عن جابر وروى الطبراني عن ربيع الأنصاري أن رسول الله ﷺ عاد ابن أخي جبر الأنصاري فجعل أهله يبكون عليه .. وفيه : فقال بعضهم : ما كنا نرى أن يكون موتك على فراشك حتى تقتل في سبيل الله مع رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : أو ما الشهادة إلا في القتل في سبيل ؟ إن شهداء أمتي إذن لقليل : إن الطعن والطاعون شهادة والبطن شهادة والنفساء بجمع شهادة والحرق شهادة والغرق شهادة والهدم شهادة وذات الجنب شهادة ، المعجم الكبير ٥/٦٨ رقم ٤٦٠٧ . ==

قال القاضي عياض : وهذا الحديث صحيح بلا خلاف وإن لم يخرجه البخاري ومسلم[١] .

وقد اختلف في المبطون فقيل هو صاحب الإسهال وقيل صاحب الاستسقاء وقيل من مات بداءٍ في بطنه .

والمرأة تموت بجُمع فيقال بضم الجيم وفتحها وكسرها والضم أشهر ومعناه : التي تموت جامعة ولدها في بطنها وقيل البكر والأول أصح[٢] .

وهؤلاء المذكورن في هذه الأحاديث شهداء أيضاً لكن شهادة المقتول في سبيل الله أعلا ؛ وإنما كان هؤلاء شهداء لما يجدونه من ألم الموت ومشقته على هذه الوجوه فيعطيهم الله تعالى أجر الشهادة في الآخرة وإن كانوا لا تجري عليهم أحكام الشهداء في الدنيا بل يغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في سبيل الله فالمقتول في سبيل الله شهيد / قتيل في أحكام الدنيا والآخرة وبقية هؤلاء شهداء في الآخرة ولا يجرون مجرى المقتولين في سبيل الله تعالى في الدنيا ومن قتل في سبيل الله على غير شرط الشهادة ولم يظهر لنا حاله كمن لم يحسن نيته

١٠٣أ-١٠٣ب

=وقال عنه الهيثمي رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٥/٣٠٠ .

(١) بنحوه في شرح النووي على صحيح مسلم من قول النووي و لم ينسبه إلى القاضي عياض ، شرح النووي ١٣/٦٢ باب بيان الشهداء .

و لم أجده منسوباً إلى القاضي عياض فيما تيسر لي من مراجع

(٢) انظر : غريب الحديث القاسم بن سلام الهروي ، تحقيق : د . محمد عبدالمعيد خان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ ، ١/١٢٥ والفائق : محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، لبنان الطبعة الثانية ، ١/٢٣١ ولسان العرب ٨/٥٦ مادة جمع ، وانظر : شرح النووي على مسلم ١٣/٦٢ باب بيان الشهداء ، وانظر فتح الباري ٦/٥١ ، وله معنى آخر أيضاً أشارت إليه المصادر الآنفة وهو المرأة تموت بكراً لم تمس وأشار إليه المؤلف .

حكمنا له بالشهادة ظاهراً وعاملناه معاملة الشهداء فهو شهيد في الدنيا دون الآخرة والله أعلم[١] .

فإن قلت : ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : ((من طلب الشهادة صادقاً أعطيها وإن لم تصبه)) [٢] .

قلت : هذه الرواية مفسرة بما في الرواية الآخرى : ((أعطي منازل الشهداء)) [٣] فالمراد والله أعلم أنه يعطى أجر الشهيد وإن لم يكن شهيداً كذا قال النووي والله تعالى أعلم[٤] .

تنبيه :

رتب الشهداء قد تتفاوت فليس الشهداء الذين قتلوا بين يدي النبي ﷺ كالشهداء الذين قتلوا بعد ذلك ولا حمزة كغيرة فقد ورد أنه سيد الشهداء[٥]

---

(١) انظر : شرح النووي على مسلم ٦٣/١٣

(٢) رواه مسلم ، ١٥١٧/٣ حديث رقم ١٩٦٨ كتاب الإمارة باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى .

(٣) رواه مسلم بنحوه ، ١٥١٧/٣ حديث رقم ١٩٠٩ كتاب الإمارة باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٥٩/١٣ — ٦٠

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)) رواه الحاكم في المستدرك ٢١٥/٣ رقم ٤٨٨٤ والطبراني في الأوسط ٢٣٨/٤ رقم ٤٠٧٩ .

وقال الهيثمي عن رواية الطبراني : فيه ضعف مجمع الزوائد ٢٦٨/٩ .

وعن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((أفضل الشهداء ثَمَّ الله حمزة بن عبد المطلب))رواه الطبراني في الأوسط ٢٨١/١ رقم ٩١٨ ، قال عنه الهيثمي : فيه حكيم بن زيد قال : الأودي : فيه نظر وبقية رجاله وثقه . مجمع الزوائد ٢٦٨/٩ .

==

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فيتلقاه المسالح[1] ، مسالح الدجال فيقولون له : أين تعمد ، فيقول : أعمد إلى هذا الذي خرج / فيقولون له أو ما تؤمن بربنا فيقول ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحد دونه فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكره رسول الله ﷺ فيأمر الدجال به فيشبح[2] ثم يقول : خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضرباً فيقول : أوما تؤمن بي ؟ فيقول : أنت المسيح الكذاب فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول : قم فيستوي قائماً ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بأحد بعدي بأحد من الناس ؛

١٠٣ب-١٠٤أ

=وفي المستدرك : ((......... وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب)) المستدرك ٢١٢/٣ رقم ٤٨٧٦

(١) المسالح : جمع المسلح ، والمسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسمّو مسلحة لأنهم يكونوا ذوي سلاح أو لأنهم يسكنون المسلحة وهي كالثغور والمرقب ، يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له .

عون المعبود ٢١٦/١١ وانظر : النهاية في غريب الأثر ٣٨٨/٢ والقاموس المحيط للفيروز أبادي مادة سلح ولسان العرب ٤٨٧/٢ مادة سلح .

(٢) يشبح : بشين معجمة ثم باء موحدة ثم حاء مهملة أي : يمدّ على بطنه أو أن يمد كالمصلوب انظر : الفائق في غريب الأثر ٢١٩/٢ ، وغريب الحديث ٤٩/٢ ، ١٣/٢ والديباج ٤٩/١، ٢٥٦/٦ وفي لسان العرب : (الشَّبْحُ : مَدُّك الشيء بين أوتاد ، أو الرجل بين شيئين ، والمضروب يُشْبَحُ : إذا مُدَّ للجلد ، وشَبَحُه : يَشْبَحُه : مده ليجلده)) ٤٩٤/٢ مادة شبح وانظر العين : ٩٩/٣ باب الحاء والشين والباء معهما .

فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل الله تعالى ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً فيأخذه بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة فقال رسول الله ﷺ : ((هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين))[١] وهذا نص في تفاوت رتب الشهداء وأن الشهادة فيها ما هو أعظم ؛ وسبب رجحان شهادة هذه[٢] على غيره : أن الشهيد إنما عظم أجره / وعلت درجته لبذله نفسه في إعلاء كلمة الله تعالى وبيان أن دينه هو الحق وشهادته بذلك بحاله ومقاله فكلما كان ذلك مفضياً إلى المقصود منه كان أعلى درجة ولهذا علت درجات الشهداء بين يدي النبي ﷺ وهذا شهد بدين الله تعالى في هذه الفتنة العظيمة وبذل نفسه ليجعل موته ثم حياته ثم عجز الدجال بعد ذلك عنه دليلاً على كذبه وليقوم بالحق في هذا الموطن الذي لم يقم فيه غيره على حال افتتان وانقطاع من الخير وإدبار من الدنيا وقلة أهل الحق وعظم موقع هذه الفتنة ؛ وقد صحت الأحاديث في التخويف منها والتحذير من أمرها والأمر بالتعوذ منها .

١٠٤أ-١٠٤ب

وقد روى عمران بن حصين قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال)) رواه مسلم[٣] .

فلهذا كان هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين وقد وضح بما ذكرناه أن رتب الشهادة تتفاوت وإن كان الكل قتلاً في سبيل الله تعالى وبذلك يظهر تفاوت الفضل .

---

(١) رواه مسلم ٢٢٥٦/٤ رقم ٣٩٣٨ كتاب الفتن باب في صفة الدجال .

(٢) يستقيم الكلام بتذكير اسم الإشارة والله أعلم

(٣) رواه مسلم ٢٢٦٦/٤ حديث رقم ٢٩٤٦ كتاب الفتن في بقية من أحاديث الدجال

ومما يوضح ما ذكرناه قصة أمراء غزوة مؤتة[١] وهم : جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحه رضي / الله عنهم وقصتهم مشهورة وقد رأى النبي ﷺ جعفراً يطير مع الملائكة وعوضه الله تعالى جناحين عن يديه يطير بهما في الجنة حيث يشاء[٢] ، والقصد في هذا الموضع ذكر قصة عبد الله بن رواحه .

١٠٤ب-١٠٥أ

---

(١) مؤتة بالضم ثم واو مهموزة ساكنة وتاء مثناة من فوقها ، البلد الذي قتل بها جعفر ، قرية من قرى البلقاء في حدود الشام وقيل من مشارف الشام ، معجم البلدان ٥/٢١٩

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما رسول الله ﷺ جالس .. وفيه : أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس : إن جعفر بن أبي طالب مرَّ مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه يطير بهما في الجنة حيث شاء ..الحديث))

رواه الطبراني في المعجم الأوسط : سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد بن عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ١٤١٥هـ ، ٧/٨٧ رقم ٦٩٣٦ .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٧٢ وقال عنه في ٩/٢٧٣ : رواه الطبراني باسنادين أحدهما حسن .

وقال عنه ابن حجر : اسناده جيد . فتح الباري ٧/٧٦ ، وورد أيضاً : ((هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة)) .

قال عنه ابن حجر : اسناده حسن . فتح الباري ٧/٧٦ ، وكذلك قال عنه الهيثمي . مجمع الزوائد ٩/٢٧٣ وعزاه للطبراني .

وعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : ((مرَّ بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم)) رواه الحاكم في مستدركه ٣/٢٣٤ برقم ٤٩٤٣ ، وقال عنه : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

وقال عنه ابن حجر : إسناده قوي على شرط مسلم . فتح الباري ٧/٧٦ ، والله أعلم .

وحديث : ((رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير مع الملائكة بجناحين)) ، قال عنه الألباني رحمه الله تعالى : صحيح ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ٣/٢٢٦ رقم ١٢٢٦ .

قال ابن إسحاق[١] : ((فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنـزل نفسه وتردد بعض التردد ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنـزلنه ... لتنـزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ... مالي أراكِ تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنة ... هل أنت إلا نطفة في شنة

وقال أيضاً :

يا نفس إن لا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيتِ ... إن تفعلي فعلهما هديتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق لحم فقال: شد بهذا صلبك فإنك لقد لقيت أيامك هذه ما لقيت فأخذه من يديه فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال / وأنت في الدنيا ثم ألقاها من يديه ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل)) [٢] .

١٠٥أ-١٠٥ب

---

(١) هو : محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار وقيل : كوثان أبو بكر وقيل أبو عبد الله القرشي المطلبي مولاهم – كان جده يسار من سبي عين التمر أول سبي من العراق وهو مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي .

ولد سنة ثمانين للهجرة ، خرج من المدينة فأتى الجزيرة والكوفة والري والإسكندرية وبغداد ، وتوفي في بغداد سنة أحدى وخمسين ومائة للهجرة على القول الراجح وقيل سنة خمسين ومائة وقيل سنة اثنتين وخمسين ومائة وقيل غير ذلك والله أعلم .

انظر : سير أعلام النبلاء ٣٣/٧ وتاريخ بغداد ٢١٤/١ ووفيات الأعيان ٢٧٦/٤

(٢) السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام دار الفكر القاهرة مكتبة الفيصلية مكة المكرمة ١٢٠٦/٣- ١٢٠٧ . وانظر :تاريخ دمشق لابن عساكر ١٢١/٢٨ – ١٢٢ ، وانظر :حلية الأولياء ١٢٠/١ . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٩/٦وقال عنه رواه الطبراني ورجاله ثقات مجمع الزوائد ١٦٠/٦ ولم أجده عند الطبراني وانظر سنن البيهقي الكبرى ١٥٤/٩ .

وفي تاريخ ابن عساكر[١] : (أنهم ساروا حتى إذا كانوا بناحية مَعان[٢] من أرض الشراة فأخبروا أن الروم قد برزوا وجمعوا لهم جموعاً كثيرة من الروم وقضاعة وغيرهم من نصارى العرب فاستشار زيد بن حارثة أصحابه فقالوا : قد وطأت البلاد وأخفت أهلها فانصرف فإنه لا يعدل العافية شيء وعبد الله بن رواحه ساكت فسأله زيد عن رأيه فقال : إنَّا لم نسر إلى هذه البلاد ونحن نريد الغنائم ولكنَّا خرجنا نريد لقائهم[٣] ولسنا نقاتلهم بعدد ولا عدة فالرأي المسير إليهم فقيل منهم زيد)) [٤] ولما ودع المسلمون جيش مؤته قالوا لهم : ((صحبكم الله تعالى وردكم إلينا صالحين ودفع عنكم ، فقال ابن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيد حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي[٥] ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا[٦]

---

(١) هو : علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، ثقة الدين أبو القاسم الدمشقي الشافعي – ولد في أول شهر محرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة للهجرة ارتحل إلى عدة بلدان منها مكة والمدينة وأصبهان والكوفة وبغداد وغيرها ثم قدم دمشق إلى أن توفي بها ليلة الاثنين الحادي عشر من شهر رجب سنة أحدى وسبعين وخمسمائة للهجرة والله أعلم .
انظر : سير أعلام النبلاء ٥٥٤/٢٠ وطبقات الحفاظ ٤٥٧/١ وشذرات الذهب ٢٣٩/٢ وطبقات الشافعية ١٣/٢ والبداية والنهاية ٢٩٤/١٢

(٢) مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البقاء ، معجم البلدان ١٥٣/٥

(٣) الصواب : ((لقاءهم)) في محل نصب مفعول به للفعل : ((نريد)) والله أعلم .

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٥/٢

(٥) الجدث بفتح الجيم والمهملة : القبر – لسان العرب ١٢٨/٢ مادة جدث ، والقاموس المحيط ٢١٣/١ مادة جدث ، والعين ٧٣/٦ باب الجيم والدال والثاء معهما .

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر ٦/٢ و ١٢٤/٢٨ وحلية الأولياء ١١٩/١

وروي عنه : (أن العسكر لما نزلوا عمان[١] بلغهم أن هرقل قد نزل قريباً منهم في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة فأقاموا بعمان[٢] يومين / فقالوا : نبعث إلى رسول الله ﷺ فنخبره بكثرة عدونا فإما أن يمدنا وإما أن يأمرنا أمراً ، فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال : يا قوم والله إن التي تكرهون التي خرجتم إياها تطلبون : الشهادة ؛ وما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة ولكن نقاتلهم بهذا الذي أكرمنا الله تعالى به فإن يظهرنا الله تعالى فربما فعل وإن تكن الأخرى فهي الشهادة وليست بشرِّ المنزلتين . فقال الناس : والله لقد صدق ابن رواحه فاستمر[٣] الناس[٤] وهم ثلاثة آلاف حتى لقوا جموع الروم وهم بقرية من قرى البلقاء يقال لها شراف[٥] ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة)[٦] في تجليتهم ذلك يقول عبد الله بن رواحه :

١٠٥ب-١٠٦أ

(١) في تاريخ دمشق لابن عساكر معان بدل عمان ٢/٧ ، وعُمان بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره نون ؛ كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند معجم البلدان ٤/١٥٠ – أما عمَّان بالفتح والتشديد وآخره نون بلد في طرف الشام وكانت قصبة أرض البلقاء بالشام وهي المرادة هنا . انظر : معجم البلدان ٤/١٥١ أما معان :

(٢) أيضاً في تاريخ دمشق معان ٢/٧

(٣) في ابن عساكر فانشمر ٢/٧ .

(٤) حلية الأولياء ١/١١٩

(٥) شراف بفتح أوله ، وآخره فاء ، وثانيه مخفف فعال من الشرف ماء بنجد وشراف بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الإحساء وورد أنها مشارف . –انظر : السيرة النبوية – وهي جمع مشرف قرى قرب حوران منها بصرى الشام وقيل إنها قرية بعينها من قرى البلقاء – انظر : معجم البلدان ٥/١٣١

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٧

جلبنا الخيل من أجام قـــرح | يعد من الحشيش لها العكوم[١]
حذوناها من الصوان سبتـــاً | أزل كـــأن صفحته أديم
أقامت ليلتـــين على معـــان | فأعقب بعـــد فترها جموم
فرحنا بالجيـــاد مسومـــات | تنفس في مناخرها السموم
فلا وأبي مـــآب لنـــأتينها | وإن كانت بها عرب وروم
وفقـــأ الله أعـــينهم فجاءت | عوابس والغـــبار لها يريم /
بذي لجب[٢] كأن البيض فيه | إذا برزت قوانسها النجوم

١٠٦أ-١٠٦ب

وعن عبد الله بن أرقم قال كنت في حجر عبد الله بن رواحـــة فلـــم أره والى يتيم[٣] خيراً منه : خرجت معه في وجهة إلى مؤتة وصب بي وصببت به فكان يردفني رحله فقال ذات ليلة وهو على راحلته بين شعبتي رحله وهو يتمثل :

إذا بلغـــتني وحملـــت رحلـــي | مســـافة أربـــع بعـــد الحســـاء
فزادك أنعمـــاً وخـــلاك ذمـــاً | ولا أرجـــع إلى أهلـــي ورائـــي
وآب المســـلمون وغـــادروني | بأرض الشام مشـــتهى الثـــواء
هنالـــك لا أبـــالي طلـــع نخـــل | ولا نخـــلٍ أســـافلها رواء

---

(١) في تاريخ ابن عساكر : يعد من الحشيس وهي أحسن من حيث المعنى ، تاريخ ابن عساكر ١٢٥/٢٨.
والعكوم : جمع واحدها عكم وهي الأحمال والأعدال توضع متعادلة على الدابـــة والأول علـــى اليمين مثلاً والآخر على اليسار منها فهما عدلان يشدان من جانبي الهودج والله أعلم .
انظر : لسان العرب ٤١٥/١٢ مادة : عكم ، والقاموس المحيط ١٤١٧/١ مادة عكم ، والعـــين ٢٠٨/١ باب العين والكاف والميم .
(٢) موضع لم أجده فيما تيسر لي من مراجع والله أعلم .
(٣) الصواب : ((يتيماً)) بالنصب مفعول به للفعل والى .

فلما سمعت هذه الأبيات بكيت فخفقني بالدرة وقال : ماذا يضرك يا لكع أن رزقني الله تعالى الشهادة فأستريح من نصب الدنيا وهمومها وأهوائها وأحداثها وترجع بين شعبتي الرحل ثم نزل نزلة من الليل فصلى ركعتين دعا فيهما دعاءً طويلاً ثم قال لي : يا غلام قلت : لبيك . قال : هي إن شاء الله الشهادة)) [١]

فهذا وأمثاله من حديث عبد الله بيَّن صحة قصده وقوة عزمه في الجهاد وطلب الشهادة ورغبته في ذلك / وصدقه في طلبه ومثابرته عليه ومع ذلك فقد قدمنا الرواية عن أبي إسحاق[٢] وهو في السيرة أنه جعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ورَوى ابن عساكر في تاريخه الكبير : أن جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس يا عبد الله بن رواحة وهو في جانب العسكر ومعه ضلع ينهشه ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاثٍ فرمى بالضلع ثم قال : وأنت مع الدنيا ثم تقدم فقاتل فأصيبت أصبعه فارتجز فجعل يقول :

١٠٦ب-١٠٧أ

هل أنت إلا أصبع دميت	وفي سبيل الله ما لقيت
يا نفسي إلا تُقتلي تموتي	هذا حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت	إن تفعلي فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

ثم قال : يا نفس إلى أي شيء تتوقين ؟ إلى فلانة ؟ فهي طالق ثلاثاً . وإلى فلان وفلان ؟ غلمان له وإلى معجف حائط له ؟ فهو لله ولرسوله)) [٣] ؛ وكان هذا التأخر اليسير والمراجعة لنفسه سبباً لما روى ابن إسحاق أن النبي ﷺ

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١١٨/٢٨ — ١١٩

(٢) سبق تخريجه .

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٢٦/٢٨

قال : أخذ / الراية ابن حارثة فقاتل حتى قتل بها شهيداً ثم أخذها جعفر فقاتل ١٠٧أ-١٠٧ب بها حتى قتل شهيداً ثم سكت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم قال : لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه فقلت : عمَّ هذا ؟ فقيل : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضي))[1] .

وفي تاريخ ابن عساكر : أن جعفر بن أبي طالب لما قتل بمؤتة أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضاً فشق ذلك على الأنصار فقالوا : يا رسول الله : ما اعتراضه ؟ قال : ((لما أصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد فدخل الجنة فسري عن قومه))[2]

وروى محمد بن سعد[3] في الطبقات : لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام وهو ينظر إلى معتركهم فقال رسول الله ﷺ : ((أخذ الراية زيد بن حارثة فجاءه الشيطان فحبب إليه

---

(١) السيرة النبوية ١٠٢٧/٣ ومجمع الزوائد ١٥٩/٦ ونسب الرواية للطبراني ولم أجدها . وقال الهيثمي عن الطبراني رجاله ثقات .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٢٧/٢٨ ، انظر الطبقات الكبرى ٥٢٩/٣ .

(٣) هو : محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البغدادي مولى بني هاشم ولد سنة ثمان وستين ومائة للهجرة — وتوفي ببغداد في يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وستين سنة . والله أعلم

انظر : سير أعلام النبلاء ٦٦٤/١٠ وطبقات الحفاظ ١٨٦ وتاريخ بغداد ٣٢١/٥ ووفيات الأعيان ٣٥١/٤ .

الحياة وكره إليه الموت / وحبب إليه الدنيا فقال : الآن استحكم الإيمان في ١٠٧ب-١٠٨أ
قلوب المؤمنين تحبب إليَّ الدنيا ؟ فمضى قدماً حتى استشهد فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال : استغفروا له فقد ...[١] الجنة وهو يسعى ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت ومناه الدنيا فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا ثم مضا قدماً حتى استشهد فصلى عليه رسول الله ﷺ ودعا له ثم قال : استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضاً فشق ذلك على الأنصار فقيل : يا رسول الله ما اعتراضه ؟ قال : لما أصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فشجع فاستشهد فدخل الجنة فسري عن قومه))[٢] فانظر إلى ما نقلناه أولاً وآخراً في هذه القصة من رغبته في الشهادة وخروجه إليها وقصده لها ودعائه في صلاته ورغبته الناس في الجهاد وتثبيتهم عن الرجوع أو التوقف وقيامه بأمر الله تعالى في ذلك على أتم الأحوال وصدقه في أمره كله وما نقلناه آخراً من رؤية النبي ﷺ له / وسريره مزوراً عن سرر صاحبيه أو دخوله الجنة ١٠٨أ-١٠٨ب
معترضاً للتردد اليسير الذي حصل بعد موت صاحبيه ومخاطبته نفسه بما خاطبها به من التشجع لها وطلاقه لزوجته وخروجه عن عبده وماله لله تعالى حتى لا يبقى له التفات إلى الدنيا بوجه ولا تعلق بها مع أنه عبد الله بن رواحة صاحب النبي ﷺ وأمير هذا العسكر والمقاتل عن الله تعالى المستشهد في سبيله

---

(١) هنا سقطت كلمة : ((دخل)) وهي في مرجع المؤلف وبها يستقيم الكلام . طبقات ابن سعد ٥٢٩/٣ ، وتاريخ دمشق ١٤/٢ .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥٢٩/٣ بتصرف ، وتاريخ دمشق ١٤/٢ .

في طاعته وطاعة نبيه فينبغي للمجاهد وباذل نفسه في طاعة الله تعالى أن يجعل الإخلاص وسيلته وإصلاح النية رأس ماله ثم يقـــدم متفطنـــاً بهـــذا التـــدقيق ومصححاً لقصده وعزمه ويكفي في الإشارة إلى هذا وعرته[١] قول مـــن أوتي جوامع الكلم ﷺ : ((والله اعلم من يكلم في سبيله)) [٢]

فوضح بما ذكرناه تفاصيل درجات الشهداء وإن اشتركوا في أصل الشـــهادة ،وكذلك سائر المقامات العلية ودرجات القرب والله تعالى اعلم .

وروى ابن المبارك في كتاب الجهاد له عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ((الشهداء /أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو وصدق الله تعالى حتى قتل فذاك الذي يرفع الناس أعينهم إليه هكذا ورفع رأسه حـــتى وقعت قلنسوته قال : فما أدري قلنسوة عمر أم قلنسوة الـــنبي ﷺ . ورجـــل مؤمن جيد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك الطلح من الجـــبن أتاه سهم غرب[٣] فقتله فهو في الدرجة الثانية .

١٠٨ب-١٠٩أ

ورجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله تعالى حـــتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ، ورجل أسرف على نفسه فلقي العدو فصدق الله تعالى حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة))

---

(١) هكذا في الأصل لم أعرفها والله اعلم

(٢) رواه مسلم ٢٤/١ حديث رقم ١٠٥ ، كتاب الإمارة باب فضل الجهاد في سبيل الله .

(٣) سهم غرب بالإضافة وسكون الراء وتحريكها في كليهما أربعة وجوه هو الذي لا يـــدرى راميه ولا من أين جاء أو جاء على غير قصد من راميه .

انظر : غريب الحديث لابن سلام ٣٤٤/٤ وغريب الحديث للخطابي ٢٢١/١ .

وأخرجه الترمذي وقال : حديث حسن غريب[١] وأخرج ابن المبارك قريباً من معناه وقال : الشهداء ثلاثة : رجل خرج يحب الشهادة ويحب الرجعة فأصابه سهم غرب فأول قطرة من دمه يغفر الله تعالى له بها كل خطيئة ويرفع له بكل قطرة درجة . ورجل خرج يحب الشهادة ويحب الرجعة ثم باشر القتال فذلك ركبته تمس ركبة إبراهيم الخليل ، ورجل خرج من بيته يحب الشهادة ولا يحب الرجعة ثم باشر القتال فذلك شاهر سيفه في الجنة يتبوأ منها حيث يشاء ما سأل / أعطى ولمن شَفَع شُفِّع))[٢]

١٠٩أ-١٠٩ب

وروي تخصيص شهيد البحر بمزيد كرامة وقد أخرج ابن المبارك في ذلك أن النبي ﷺ قال : ((من لم يدرك الغزو معي فليغز في البحر فإن قتال يوم في البحر خير من قتال يومين في البر وإن أجر الشهيد في البحر كأجر شهيدين في

(١) سنن الترمذي ١٧٧/٤ رقم ١٦٤٤ باب ما جاء في فضل الشهداء ، ومسند أحمد ٢٣/١ رقم ١٥٠ من سند عمر بن الخطاب ﷺ ، وبسند مغاير إلا أنه عن عمر ، رواه الطيالسي في مسنده ٢٠/١ رقم ١٣٣ وبوب له البخاري فقال : باب من آتاه سهم غرب فقتله ١٠٣٤/٣ ، ومسند أبي يعلى ٢١٦/١ رقم ٢٥٢ ، ومسند البزار ٣٦٦/١ رقم ٢٤٦ ، وكتاب الجهاد لابن المبارك ص١٠٥ برقم ١٢٦، وفيه ابن لهيعة

(٢) الجهاد لابن المبارك ص١٠٣حديث رقم ١٢٤ .

وانظر بنحوه في شعب الإيمان وبزيادة في المتن ٢٥/٤ رقم ٤٢٥٥ ، وكذلك مسند الحارث — زوائد الهيثمي بسند مغاير ومتن طويل جداً ٦٥٤/٢ رقم ٦٣٢ ، وقال عنه الهيثمي : هذا الحديث وضعه داود بن المحبر وهو كذاب

البر وإن خيار الشهداء عند الله أصحاب الأكف قيل يا رسول الله ومن أصحاب الأكف ؟ قال : قوم تكفأ عليهم مراكبهم في البحر))[١]

---

(١)الجهاد لابن المبارك ص١٥٤ رقم ١٩٦ ، ومصنف ابن أبي شيبة بنحوه ٢١٣/٤ رقم ١٩٤٠٤ ، ومصنف عبد الرزاق بنحوه ٢٨٦/٥ رقم ٩٦٣١ بسند آخر كلاهما عهد علقمة ، وانظر : سنن ابن ماجة ٩٢٨/٢ رقم ٢٧٧٨ باب فضل غزو البحر .

وروي الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((ثم غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ... الحديث))

المستدرك ١٥٥/٢ رقم ٢٦٣٤ وقال عنه : هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه

وعند الطبراني عنه رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((وغزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ... الحديث))

المعجم الأوسط ٢٨٠/٣ رقم ٣١٤٤ ، وقال الهيثمي عن رواية الطبراني فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث قال عبد الملك بن شعيب : ثقة مأمون وضعفه غيره مجمع الزوائد ٢٨١/٥

الفصل الثالث :

لفظ الصالح ومعناه وفضله

قال أبو القاسم الراغب : الصلاح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة قال الله تعالى :﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾[١] وقال تعالى :﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾[٢] ويقال عن الأعمال قال الله تعالى :﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾[٣] ويقال : الصلح في إزالة النفار بين الشخصين قال الله تعالى :﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾[٤] ويقال : أصلح الله فلاناً أي جعله صالحاً ؛ والإصلاح من الله تعالى / للعبد تارة يكون بخلقه صالحاً وتارة يكون بإزالة فساده وتارة يكون بالحكم له بالصلاح[٥] ؛ وأما قوله تعالى :﴿ لئن أتيتنا صالحاً﴾[٦] فمعناه صالح الخَلْق أي بشراً سوياً فإن إبليس كان قد تصور لحواء وخوفها أن يكون ما في بطنها بهيمة فقالا : إن آتيتنا صالحاً يعني بشراً سوياً[٧] وعلى كل تقدير فالصلاح اسم مدح في الجملة قال الله تعالى :﴿ وقطعناهم

١٠٩ب-١١٠أ

(١) سورة التوبة آية ١٠٢

(٢) سورة الأعراف آية ٥٦

(٣) سورة البقرة آية ٢٥

(٤) سورة الحجرات آية ١٠

(٥) المفردات في غريب القرآن ، مادة صلح ص٢٨٤ ، وانظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص٣١٨ – ٣١٩ .

(٦) سورة الأعراف آية ١٨٩

(٧) انظر : تفسير الطبري ١٤٤/٩ ، وابن كثير ٢٧٥/٢ .

فِي الأرضِ أُمَماً مِنهُمُ الصالحونَ ومِنهُم دونَ ذلك ﴾[١] وقد ورد في القرآن لصور خاصة منها قوله تعالى :﴿ فالصالحات قانتات ﴾[٢] يعني المحسنات إلى أزواجهن في قول ابن عباس رضي الله عنه[٣] وقيل غير ذلك . وقوله :﴿ ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين ﴾[٤] يعني مطيعين لآبائكم بارين بهم ويحتمل العموم[٥] وقد ورد الصلاح في أخص من ذلك قال الله تعالى : ﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾[٦] والمراد به أبو بكر وعمر وخواص الصحابة ويجوز أن يكون عاماً[٧] لكن السبب المروي يدل على ذلك فإنه وافق قول عمر رضي الله عنه وقد روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب قالا : صالح المؤمنين أبو بكر / وعمر[٨] .

١١٠أ-١١٠ب

---

(١) سورة الأعراف آية ١٦٨

(٢) سورة النساء آية ٣٤

(٣) انظر تفسير الطبري ٥/٥٩

(٤) سورة الإسراء آية ٢٥

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٥/٦٨

(٦) سورة التحريم آية ٤

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٨/١٦٢ - ١٦٣

(٨) انظر : تفسير القرطبي ١٨/١٩٢ والدر المنثور ٨/٢٢٣ وروح المعاني ٢٨/١٥٤ وتفصيل القول في المراد وأسانيد تلك الأقوال في فتح الباري ١٠/٤٢١ كتاب اللباس باب نيل الرحم ببلالها عند حديث ٥٦٤٤

وأما قوله تعالى :﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾[١] فأدل دليل على عظمة درجة الصلاح ورفعة قدر الصالح ؛ وكذلك قوله في حقهم :﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾[٢] وفي الآية الأولى من البشرى لأولياء الله تعالى بتوليته إياهم ونصره لهم ما لا يَقْدُر قَدْره إلا العالمون .

ورد لفظ الصلاح في حق الأنبياء فقال موسى ﷺ :﴿ ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴾[٣] وقال تعالى في حق يحيى بن زكريا عليهما السلام :﴿ونبياً من الصالحين ﴾[٤] وقال في حق عيسى ﷺ :﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾[٥] يعني من الأنبياء كذا قاله المفسرون[٦] فكأن الصلاح والله أعلم يؤخذ بالنسبة إلى ما يقابله فإن كان المقابل مخصوصاً كان الصلاح المقابل مخصوصاً في بعض الأمور دون بعض وإن كان عاماً كان الصلاح عاماً فالأنبياء صلوات الله عليهم يصلحون كل فساد فهم أحق باسم الصالحين من كل أحد وفي هذا من بيان فضيلة الصلاح وعلو درجته ما لا يخفى فصلاح الأنبياء صلاح كامل عام / لأنهم يزول بهم كل فساد فلهم كل صلاح ومن دونهم الأمثل فالأمثل فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر مازال به أو منه من الفساد قال الشيخ محي الدين بن العربي :

١١٠ب-١١١أ

---

(١) سورة الأعراف آية ١٩٦

(٢) سورة النساء آية ٦٩

(٣) سورة القصص آية ٢٧ ، والآية في سياقها عن نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام .

(٤) سورة آل عمران آية ٣٩

(٥) سورة آل عمران آية ٤٦

(٦) انظر : فتح القدير ٣٣٧/١ وزاد المسير ٣٨٤/١ ، انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) محمد بن محمد العمادي أبو السعود دار إحياء التراث العربي بيروت ٣٢/٢ ، ٢٠٢/٧ ، ٢٠/٩ وانظر روح المعاني ١٤٨/٣ والله أعلم

ومن الأولياء الصالحون رضي الله عنهم تولاهم الله تعالى بالصلاح وجعل رتبتهم بعد الشهداء في المرتبة الرابعة[١] وما من نبي إلا وقد ذكر عنه أنه صالح أو أنه دعا أن يكون من الصالحين مع أنه نبي فدل على أن رتبة الصلاح خصوص في النبوة وقد تحصل لمن ليس بنبي ولا صديق ولا شهيد ؛ والأنبياء صالحون للنبوة فكانوا أنبياء وأعطاهم الدلالة فكانوا شهداء وأخبرهم بالغيب فكانوا صديقين[٢] فالأنبياء صلحت قوابلهم لجميع هذه المقامات فكانوا صالحين فجمعت الرسل جميع المقامات كما صلح الصديقون للصديقية وصلح الشهداء للشهادة فكل موجود فهو صالح لما وجد له غير أن هؤلاء الصالحين الذين أثنى الله تعالى عليهم بأنه أنعم عليهم هم المطلوبون في هذا المقام وهم المنخرطون في سلك هذا النمط فهم رابعو أربعة فالصالحون هم الذين لا يدخل علمهم بالله تعالى ولا إيمانهم بالله تعالى وبما جاء من عند الله تعالى خلل فإن لم يدخل خلل / في صديقيته فهو صالح ولا في عبادته فهو صالح . ١١١أ-١١١ب

[والإنسان حقيقته الإمكان][٣] فله أن يدعو بتحصيل الصلاح له في المقام الذي يكون فيه لجواز دخول الخلل عليه في مقامه فصح أن يدعو الصالح بأن يُجعل من الصالحين أي الذين لا يدخل صلاحهم خلل في زمان ما والله أعلم[٤] .

---

(١) قد سبق أن ابن عربي يعتقد بمقام بين النبوة والصديقية سماها مقام القربة وهو هنا ألغاها و لم يعرها أي اهتمام . والله أعلم

(٢) ليس معرفة الغيب شرطاً في الصديقية و لم يقل بذلك أحد يعتد به ولا يسنده دليل صحيح .

(٣) ما بين المعقوفتين فيه اختلاط بين بعض الحروف مما جعله غير واضح

(٤) الفتوحات المكية ص١٣٣٠ .

الباب الخامس

في العلم والعلماء وما يتعلق بذلك

وفيه فصول

الفصل الأول

في اللفظ ومعناه وأقسامه:

أما تفسير لفظه وحدُّه: فقد أكثرت العلماء من ذكر حـــدوده واختلفـــت عباراتهم فيها فقال بعض المعتزلة: هو اعتقاد الشيء على ما هو عليه[1]. وهو باطل فإن متعلق العلم قد لا يكون شيئاً كالمستحيل والمعدوم ولأن من يعتقد ما يجب فيه الدليل تقليداً غير عالم.

ومنهم من زاده: إذا وقع عن ضرورة أو دليل.

وقال القاضي أبو بكر : هو معرفة المعلوم على ما هو به[2] وهو باطل لأن علم الله تعالى لا يقال فيه معرفة ولأنه عرف العلم بالمعلوم .

وعن الشيخ أبي الحسن : أنه الذي يوجب كون من قام بهـــا عالمـــاً أو الذي يوجب لمن قام به / اسم العالم[3] وإدراك المعلوم على ما هو به في الأوليّن تعريف العلم بما فيه العالم . وفي الثالث : الإدراك وهو عنده نوع من العلم .

١١١ب-١١٢أ

---

(١) عند المعتزلة هو : "اعتقاد الشيء على ما هو به"، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، إملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار ، تحقيق د. إبراهيم مدكور و د. طه حسين ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمـــة والطباعـــة ١٣/١٢ .

وكذا في البرهان ٩٨/١ وكتاب المواقف للإيجي ٥٢/١ ، والغنية في أصول الدين ٥٠/١ وأبجـــد العلوم : صديق بن حسن القنوجي ، تحقيق : عبدالجبار زكار ، دار الكتب العلميـــة ، بـــيروت ١٩٧٨م ، ٢٧/١ .

(٢) كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بـــن القاســـم الباقلاني ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافيـــة ، بـــيروت الطبعـــة الأولى ١٩٨٧م ص٢٥ .

وانظر : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به : عبدالرحمن بن محمد بـــن أبي ســـعيد الأنباري ، دار الفكر ، دمشق ، ص٢٢ والبرهان في أصول الفقه ٩٩/١ ، وكتـــاب المواقـــف ٥٣/١ ، وأبجد العلوم ٢٧/١ .

(٣) البرهان في أصول الفقه ٩٧/١ والمواقف ٥٣/١ والتفسير الكبير للرازي ١٨٤/٢ .

وقال ابن فورك : العلم ما صح ممن قام به إتقان الفعل وإحكامه[١] ، ويبطل بالقدرة .

وقال أبو اسحق الإسفرائيني : العلم ما يعلم به وهو تعريف بالأخفى .

وقيل : هو الثقة بأن المعلوم على ما هو عليه .

وقيل : العلم ما يعلم به[٢] .

وقيل : ما تبين المعلوم على ما هو به ولا يخفى ضعفها .

ومن الحكماء من قال : العلم انطباع صورة المعلوم في النفس وأورد عليه أنه يلزم أن من علم الحرارة والبرودة تنطبع صورهما في نفسه فإما أن يكون المنطبع مساوياً للمعلوم أو مثالاً له فإن كان مساوياً كان العالم بالحرارة حاراً وبالبرودة بارداً وإن كان مثالاً لم يكن الحاضر تمام وحده[٣] .

الآمدي ومن تبعه : بأنه يحصل بها لنفس المتصف بها تميز حقيقة ما غير محسوسة حصولاً لا يتطرق إليه احتمال كونه على غير الوجه الذي حصل عليه[٤]

ومن أدخل المحسوسات في المعلومات أسقط قوله : غير محسوسة . ومن العلماء من قال : العلم لا يحد .

قال إمام الحرمين والغزالي رحمهما الله تعالى / حد العلم عسير لأن ذكر عبارة شاملة تشتمل على جنس وفصل في أكثر الأشياء المدركات بالحس عسير فكيف في العلم الذي هو من المدركات الخفية[٥] ، وقالا : طريق تعريف العلم ١١٢أ-١١٢ب

---

(١) ونسبه إليه أيضاً الجويني في البرهان ١/٩٨ ، وكذا في المواقف ١/٥٤ وأبجد العلوم ١/٢٨ ، والتفسير الكبير ٢/١٨٥ .

(٢) هذا القول منسوب لأبي القاسم الإسكافي المنخول ص٣٦ .

(٣) انظر : المحصل ص١٠٠ والمواقف ١/٥٥ .

(٤) انظر الإحكام للآمدي ١/٣٠ .

(٥) انظر كلام الغزالي في المستصفى، محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق : محمد عبدالسلام عبد الشافي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١/٢١والمنخول ص٤٠ ==

المستقيم ونفي الأقسام المشاركة عنه[١] .

قال فخر الدين بن الخطيب : " العلم لا يحد لأنه ضروري التصور "[٢] وحججه على ذلك وما دلّ عليها من الإشكالات مشهورة معروفة فلا نشتغل بإيرادها[٣] .

=وانظر كلام إمام الحرمين في البرهان عبدالملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، تحقيق عبد العظيم محمود الديب دار الوفاء المنصورة مصر الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ ١/٩٧ – ١٠٣.

(١) هكذا في المخطوط ويظهر أن المؤلف اسقط ما به تمام المعنى والله أعلم .

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر ٢/١٨٦ .

(٣) انظر التفسير الفخر الرازي ٢/١٨٤ -١٨٧ وأورد فيها حد العلم عند مجموعة من العلماء والفرق وناقشها ثم في آخر ذلك قال : " ولما ثبت أن التعريفات التي ذكرها الناس باطلة فاعلم أن العجز عن التعريف قد يكون لخفاء المطلوب جداً وقد يكون لبلوغه في الجلاء إلى حيث لا يوجد شيء أعرف منه ليجعل معرفاً له ، والعجز عن تعريف العلم لهذا الباب ، والحق أن ماهية العلم متصورة تصوراً بديهياً جلياً فلا حاجة في معرفته إلى معرف ، والدليل أن كل أحد يعلم بالضرورة أنه يعلم وجود نفسه وأنه يعلم أنه ليس على السماء ولا في لجة البحر .

والعلم الضروري بكونه عالماً بهذه الأشياء علم باتصاف ذاته بهذه العلوم ، والعالم بانتساب شيء إلى شيء عالم لا محالة بكلا الطرفين ، فلما كان العلم الضروري بهذه المنسوبية حاصلاً كان العلم الضروري بماهية العلم حاصلاً وإذا كان كذلك كان تعريفه ممتنعاً " تفسير الفخر الرازي ٢/١٨٦ وانظر : المحصل ص١٠٠ .

وقد عرفه الشوكاني رحمه الله تعالى فقال بعد أن ساق جملة من التعريفات وانتقدها: "هذا جملة ما قيل في تعريفات العلم وقد عرفت كل واحد منها والأولى عندي أن يقال في تحديده : هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً لا اشتباه فيه " ..

إرشاد الفحول ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني في تحقيق : محمد سعيد البدري دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ص٢٠ والله أعلم .

أما اختلافهم في أن العلم سلبي أو إضافي وأنه : هل يتعلق بمعلومين إلى غير ذلك من مسائل هذا الباب فليس من مقصود هذا الكتاب ، ولا ينبني عليها شيء من الكلام في التفضيل الذي وضع الكتاب من أجله لكن نتكلم فيها على فرعين :

أحدهما : هل يوجد علم لا معلوم له ؟ ولم يقل بذلك إلا أبو هاشم[١] فإنه قال : العلم المتعلق بالمستحيلات علم بلا معلوم[٢] ، وهو مذهب ظاهر الفساد .

الثاني : أن العقل هل هو العلم أو غيره وقد اختلف في العقل ما هو ، وليس المراد بالعقل هنا ما يطلقه العرف من صحة الفطرة أو كثرة التجارب أو ما يناسب ذلك ، ولا ما يطلقه أهل الحكمة من العقول الأُوَل على رأيهم .

والقوى النظرية أو العلمية أو القوى المعدَّة على ما هو مبين في موضعه بل المراد / بالعقل الذي هو مناط التكليف .

١١٢ب-١١٣أ

وقال بعض المعتزلة : إنه يعرف به قبح القبيح وحسن الحسن[٣] وهو بناء على مذهبهم في الحسن والقبيح[٤] .

---

(١) هو : عبدالسلام بن محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان البصري الجبائي شيخ المعتزلة وابن شيخهم ولد سنة سبع وسبعين ومائتين .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة للهجرة والله أعلم .

انظر : شذرات الذهب ٢٨٩/١ ، وسير أعلام النبلاء ٦٣/١٥ ، وتاريخ بغداد ٥٥/١١ .

(٢) أبجد العلوم ٤٢/١ .

(٣) انظر : تلبيس إبليس ، عبد الرحمن بن محمد أبو الفرج تحقيق : السيد الجميلي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص١١٨ .

(٤) مذهب المعتزلة : " إن التحسين والتقبيح من مدارك العقول على الجملة ولا يتوقف إدراكها على السمع ، وللحسن بكونه حسن صفة وكذلك القول في القبيح عندهم ... ويرد عليهم بالقول:ما ادعيتم قبحه أو حسنه ضرورة فأنتم فيه منازعون وعن دعواكم مدفوعون وإذا بطل=

ومنهم من قال : هو ما يميز به بين خير الخيرين وشر الشرين[1] احترازاً عـــن البهائم فإنها تميز الخير عن الشر فقط .

ومن أصحابنا من قال : العقل هو العلم ولهذا يقال لمن علم شيئاً عقله وهـــذا اختيار أبي إسحاق[2] .

عن الشيخ أبي الحسن : أن العقل علوم خاصة[3] .

وقال القاضي أبو بكر : العقل هو العلـــم بوجـــوب الواجبـــات واســـتحالة المستحلات ومجاري العادات[4] لأن العقل لو لم يكن علماً لصح انفكاكه عنه

=ادعاء الضرورة في الأصول بطل رد النظريات إليها . صرف يسير ، كتاب الإرشاد ص ٢٥٨-٢٦٠ .

ومذهب المعتزلة هذا ينتج أن ما رآه العقل الإنساني صواباً فهو عند الله صواب أي ما ينادي بـــه بعض الملاحدة من المقولة الإلحادية المشهورة وهي : أن حكم الشعب من حكـــم الله فتكـــون الديموقراطية الغربية التي يجعلون مجلس الشعب هو المشرع للناس يجعلون ذلك حكماً لله وانظر إلى انتاج المجالس التشريعية من استحسانها الزواج المثلى واستمرائها بأنواع الفـــواحش والمحرمـــات وفاسد القول والاعتقاد في الله وفي الخلق وفي التشريع ثم يحكم بأنه حكم الله ، نعوذ بـــالله مـــن الضلال

(١) نسبه الفخر إلي بعض الصالحين . تفسير الفخر الرازي ١٨٩/٢

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٣٧٠/١

(٣) انظر : كتاب المواقف ٨٧/٢

(٤) كتاب المواقف ٨٧/٢ ، أما في كتاب التقريب والإرشاد للباقلاني تحقيق : عبد الحميد بـــن علي أوزفير مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤١٨هـــ ١٩٩٨م ، ١٩٥/١ فقد قال عن تعريف العقل بعد أن ذكر عدة أقوال في تعريفه : " والذي نختار أنه بعض العلوم الضرورية " وانظر نسبة القولين واستنتاج ذلك عنه في كتاب بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطـــة والباطنية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د . موسى بن سليمان الدويش مكتبة العلوم والحكم الطبعة الأولى ١٤٠٨هـــ ، ٢٧١/٢ وما بعدها .

لكنه لا ينفك عنه وليس هو العلم بالمحسوسات لحصوله فيمن لا يعقل ، فإذن هو علم بالضروريات[١] ورجَّح ذلك إمام الحرمين رحمه الله تعالى[٢] وهو ضعيف لأن عدم الإنفكاك لا يوجب كون أحدهما هو الآخر ولو سُلِّم فالنائم عاقل لا عالم .

وقال المحاسبي[٣] رحمه الله تعالى : العقل غريزة يتوصل بها إلى المعرفة[٤] قال الاقليشي : هذه الغريزة ليست حاصلة للبهيمة على ما ذهب إليه كثير من أهل التحقيق وقد مال إلى هذا المحاسبي واستحسنه أبو المعالي واعتقده رأياً إذ أكثر / الأشعرية لم يفرقوا بين الإنسان والبهيمة في السجية وإنما فرقوا بينهما في العلوم الضرورية وفي العلوم المكتسبة التي منشؤها من العلوم الضرورية . ١١٣أ-١١٣ب

والحق أن العقل الغريزي ليس بالعلوم الضرورية إذ الإنسان يوصف بالعقل مع ذهوله عن العلوم الضرورية ، قال الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى بعد إبطاله قول القاضي أبي بكر في العقل : " وعند هذا ظهر أن العقل غريزة تلزمها هذه العلوم البديهية عند سلامة الآلات[٥] .

---

(١) انظر : المواقف ٨٧/٢ .

(٢) انظر : البرهان في أصول الفقه ٩٦/١

(٣) هو : الحارث بن أسد العنزي المحاسبي البغدادي البصري الأصل ، أبو عبد الله ، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين للهجرة في بغداد .

انظر : شذرات الذهب ١٠٣/١ ، وسير أعلام النبلاء ١١٠/١٢ ، والبداية والنهاية ٣٤٥/١٠ ، وتاريخ بغداد ٢١١/٨ ، ووفيات الأعيان ٥٧/٢

(٤) انظر : البرهان في أصول الفقه للجويني ٩٦/١ ، وانظر : إحياء علوم الدين ٨٥/١ .

(٥) انظر : المحصل ص ١٠٤.

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : " اختلف الناس في حد العقل وحقيقته وذهلوا عن أنه يطلق على معان مختلفة لأنه مشترك بين أربعة معانٍ :
الأول : الوصف الذي به يفارق الإنسان البهائم ويستعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية ، وهو الذي أراده الحارث المحاسبي فيما نقلناه عنه ، وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا واحتج عليه بنحوٍ مما ذكرناه ثم قال : فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم نسبة العين إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذا الغريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها /كنسبة نور الشمس إلى البصر ١١٣ب-١١٤أ
المعنى الثاني : العلوم بجواز الجائزات واستحالة المستحلات على ما نقلناه عن القاضي أبي بكر
المعنى الثالث : علوم تستفاد من التجارب لإطلاق اسم العقل على ذلك في العرف
المعنى الرابع : قوة تلك الغريزة المذكورة أولاً على قمع داعي اللذة[1] والشهوة[2] بمعرفة عواقب الأمور والمعنى الأول هو الأصل والثاني هو الفرع الأقرب إليه .

---

(١) اللذة لغة : نقيض الألم واحدة اللذات ، واللذة من لذّ الشيء يَلَذُّ لذاذة فهو لذيذ أي يشتهي انظر : لسان العرب ٥٠٦/٣ مادة لذذ .
واصطلاحاً : إدراك الملائم من حيث إنه ملائم كطعم الحلاوة عند حاسة الذوق والنور عند البصر وحضور المرجو عند القوة الوهمية والأمور الماضية عند القوة الحافظة تلذ بتذكرها التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ص ٢٤٥ .
(٢) الشهوة لغة : شهي الشيء وشهاه يشهاه شهوة واشتهاه وتشهاه : أحبه ورغب فيه ، والتشهي افتراح شهوة بعد شهوة
وأشهاه : أعطاه ما يشتهي =

والثالث فرع الأول والثاني إذ بهما تستفاد علوم التجارب .

والرابع : هي الثمرة والغاية .

فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب وإلى هذا الإشارة فيما ينقل عن علي ﷺ من قوله :

العقل عقلان   فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع   إذا لم يكن مطبوع
كما لا ينفع الشمس   وضوء العين ممنوع[1] [2]

قلت :

وهو الذي ذكره الغزالي من وقوع اسم العقل على هذه المعاني الأربعة بالاشتراك اللفظي بقيد لإمكان جعله حقيقة في بعض ومجاز في الباقي وهو خير من الاشتراك أو جعله حقيقة في قدر مشترك بين هذه المعاني وهي هذه الغريزة إذ كلما قويت وصلت إلى رتبة من / هذه الرتب الأربعة ، ووقوع اسم العقل على سبيل التشكيك . وفي أثناء كلامه ما يدل على أن وضع اللفظ لغة إنما

١١٤أ-١١٤ب

=والشهوة الخفية من الفواحش : ما لا يحل مما يستخفي به الإنسان إذا فعله أخفاه وكره أن يطلع عليه الناس .

انظر : لسان العرب ١٤/٤٤٥ مادة شها .

واصطلاحاً : "حركة للنفس طلباً للملائمة " التعريفات ص١٧٠ .

(١) وفي المصدر :

رأيت العقل عقلين   فمطبوع ومسموع
ولا ينقطع مسموع   إذا لم يكن مطبوع

وكذلك رأيته في الكامل في التاريخ ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م ١/١٠

(٢) انظر : إحياء علوم الدين ١/٨٥ــ٨٦

هو وضع للمعنى الأول وإطلاقها على الباقي لكونها ثمرات له[1] وهو ما قلناه من الحقيقة والمجاز والله اعلم .

تتميم : هاهنا ألفاظ يظن أنها مرادفة للعلم أو مقاربة لمعناه وسنشرحها لنبين ما يشارك العلم فيه وما يمتاز به :

---

(١) وانظر : أحياء علوم الدين ١/٨٦

وقال الغزالي في المستصفى : ((إذا قيل ما هو العقل ؟ فلا تطمع في أن تحده بحد واحد فإنه هوس لأن اسم العقل مشترك يطلق على عدة معان ، إذ يطلق على بعض العلوم الضرورية ويطلق على العزيزة التي يتهيأ بها الإنسان لدرك العلوم النظرية ويطلق على العلوم المستفادة من التجربة .. ويطلق على من له وقار وهيبة وسكينة في جلوسه وكلامه .. وقد يطلق على من جمع العمل إلى العلم .. فإذا اختلفت الاصطلاحات فيجب بالضرورة أن تختلف الحدود فيقال في حد العقل باعتبار أحد مسمياته : إنه بعض العلوم الضرورية .. وبالاعتبار الثاني أنه غريزة يتهيأ بها النظر في المعقولات وهكذا بقية الاعتبارات ، المستصفى ١/٢٠ بتصرف يسير

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((فإن العقل قد يراد به القوة الغريزية في الإنسان التي بها يعقل وقد يراد به نفس أن يعقل ويعي ويعلم .

فالأول : قول الإمام أحمد وغيره من السلف : العقل غريزة والحكمة فطنة .

والثاني : قول طوائف من أصحابنا وغيرهم : العقل ضرب من العلوم الضرورية وكلاهما صحيح فأن العقل في القلب مثل البصر في العين يراد به الإدراك تارة ويراد به القوة التي جعلها الله في العين يحصل بها الإدراك))

الاستقامة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق : د / محمد رشاد سالم نشر : جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، المدينة النبوية الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ٢/١٦١

وانظر : المسودة ، آل تيمية : أحمد وأبيه عبد الحليم وجده عبد السلام ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد نشر ، المدني القاهرة ص ٤٤٩

الأول: الشعور(١) : وهو أول مراتب وصول العلم إلى القوة العاقلة وهو إدراك من (٢) استثبات .

الثاني : الإدراك : وهو في اللغة : الوصول واللحوق بالشيء وملاقاته(٣) ويسمى وصول العقل إلى المعقول إدراكاً .

الثالث : التصور(٤) ، وهو : حصول صورة الشيء في العقل وأصله من الصورة وهي مختصة بالأجسام لكن لما كانت الحقيقة المعلومة تصير كالحالة في القوة العاقلة كما يحصل الشكل والهيئة في المواد الجسمانية أُطلق عليها التصور

الرابع : الحفظ(٥) ، وهو : تأكد ذلك واستحكامه وأن تصير بحيث لو زال لتمكنت القوة من استرجاعه ولهذا لا يقال في حق الله تعالى لأنه مما يتقدمه

---

(١) في اللغة : شَعرت بكذا أشعُرُ شعراً .. معناه فطنت له وعلمت به ومنه : ليت شعري أي : علمي ، وما يُشعِرُك أي : ما يدريك ، ومنهم من يقول : شَعَرتُه أي : عقَلتُه وفهمته " ، العين ١/٢٥١ باب العين والشين والراء ، و " شَعَرَ وشَعُرَ يَشعُر شَعراً ... وشَعَرَ به وشَعُرَ يشعُر شِعْراً علم ، أَشعَرَهُ الأمر وأشعَرَ بهِ : أعلمه إياه ، وشَعُرَ به : عقله " ، لسان العرب ٤/٤١٠ — ٤١١ مادة : شعر

(٢) في مصدر المؤلف زيادة لفظ : ((غير)) وبها يستقيم الكلام تفسير الفخر الرازي ٢/٢٢٢ والله أعلم .

(٣) انظر : العين ٥/٣٢٨ في باب الكاف والدال والراء .
ولسان العرب ١٠/٤٢٠ مادة درك .
ومختار الصحاح ١/٨٥ مادة درك .

(٤) ولها معنى في اللغة : " تصورت الشيء : توهمت صورته فتصور لي " لسان العرب ٤/٤٧٣ مادة صور .

(٥) الحفظ : نقيض النسيان ، وهو التعاهد وقلة الغفلة " العين ٣/١٩٨ باب الحاء والظاء والفاء ولسان العرب ٧/٤٤١ مادة حفظ .

الضعف(١) .

١١٤ب-١١٥أ

الخامس: التذكر(٢) وهو : محاولة القوة استرجاع مازال من المعلومات/ قال فخر الدين الرازي : " وفي هذا التذكر سر لا يعلمه إلا الله تعالى لأن الزائل الذي تحاول القوة استرجاعه إن كان حاصلاً في الذهن فلا يمكن طلبه لأنه تحصيل الحاصل ، وإن لم يكن حاضراً كانت النفس غافلة فلا تطلبه ، قال : ونحن نجد من أنفسنا الطلب والاسترجاع وهذا السؤال أورده على التصور المكتسب وأورد على نفسه فيه أنه قد يكون مشعوراً من وجه دون وجه وجعل الوجهين كمعلومين وأن طلب المعلوم تحصيل الحاصل والمغفول عنه مستحيل(٣) .

والجواب عنه : منع كون وجهي المعلوم الواحد كالمعلومين المتباينين حتى لا يكون أحدهما منبهاً على الآخر والبحث فيه مشهور .

السادس : الذكر ، وهو فائدة التذكر فإنه إذا تذكر فإن عادت تلك الصورة المطلوبة إلى الذهن سُمس عودُها ذكراً ، فإن كان حصول تلك الصورة من غير تقدم زوال فلا يسمى ذكراً(٤) .

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي عن المعاني الاصطلاحية لكل من الشعور ، والإدراك ، والتصور والحفظ ١٨٧/٢ .

(٢) في اللغة : " التَّذكُّر : طلب ما قد فات " العين ٣٤٧/٥ باب الكاف والذال والراء ، " التَّذكُّر : تذكر ما أُنسيته . وذكرتُ الشيء بعد النسيان وذَكّرتُه بلساني وبقلبي وتَذكَرتُه وأذكَرتُه غيري وذكَّرتُه بمعنى "" لسان العرب ٣٠٩/٤ مادة ذكر .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٨٧/٢ عن التذكر .

(٤) انظر: تفسير الفخر ١٨٧/٢ .

السابع : الفهم وهو : يتعلق بلفظ المخاطب غالباً[١] .

الثامن : الفقه : وهو على ما قال جماعة من العلماء : الفهم[٢]
وقال فخر الدين : " هو العلم بغرض المخاطب ولهذا قال الله تعالى في حق الكفار : ﴿لا يكادون يفقهون قولاً﴾[٣] أي لا يقعون على الغرض من الخطاب[٤] .

التاسع : الدراية[٥] : وهي المعرفة التي تحصل بعد روية / وتقديم مقدمات لأن هذه المادة لا تنفك عن معنى التحمل للشيء والتحيل له .

١١٥أ-١١٥ب

العاشر : اليقين : وهو أن يعلم[٦] الشيء وامتناع خلافه .

الحادي عشر : الذهن[٧] :وهو قوة النفس واستعدادها لاكتساب العلوم التي ليست بحاصلة .

---

(١) انظر تفسير الفخر ١٨٨/٢ .

(٢) وهو أيضاً معنى له في اللغة ، العين ٣٧٠/٣ باب الهاء والقاف والفاء ، ولسان العرب ٥٢٢/١٣ مادة فهم .

(٣) سورة الكهف آية ٩٣ .

(٤) عن الفهم انظر أيضاً كامل الفقرة في تفسير الفخر الرازي ١٨٨/٢ وفي المحصول عرف الفقه بقوله : " فهم غرض المتكلم من كلامه " ٩٢/١ .

(٥) في اللغة : " دَرَى يَدرِي دِريه ودَرَيانا ودِراية ويقال : أتى فلان الآمرين غير دِرية إي من غير علم " العين ٥٨/٨ باب الدال والراء والياء .

(٦) لغة : " اليقين وهو إزاحة الشك وتحقق الأمر " العين ٢٢٠/٥ باب القاف والنون والياء .
وهو : " العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر " لسان العرب ٤٥٧/١٣ مادة يقن .

(٧) لغة : " الذِّهنُ : حفظ القلب " العين ٤٠/٤ باب الهاء والذال والنون .
" الذهن : الفهم والعقل ، والذهن أيضاً : حفظ القلب .. والذِّهن أيضاً : القوة " لسان العرب ١٧٤/١٣ — ١٧٥ مادة ذهن .

الثاني عشر : الفكر[١] وهو الانتقال من التصديقات الحاضرة إلى التصديقات المُحْضَرة .

الثالث عشر : الحدس[٢] وهو الذي الذي[٣] يتميز به عمل الفكر وهو استعداد النفس لوجود المتوسط بين الطرفين المُصَيِّر للنسبة المجهولة معلومة لأن كل مجهول لا يعلم إلا بواسطة مقدمتين معلومتين تنتج المطلوب[٤] .

الرابع عشر : الذكاء[٥] وهو قوة الحدس وبلوغه الغاية لأنه من ذكت النار فهو المضاء والسرعة في الإدراك .

---

(١) لغة : " الفَكرُ والفِكرُ : إعمال الخاطر في الشيء ، لسان العرب ٥/٦٥ مادة فكر .

(٢) لغة : " الحدْسُ : التوهم في معاني الكلام والأمور ، تقول : بلغني عنه أمر فأنا أحدس فيه أي : أقول فيه بالظن " العين ٣/١٣١ باب الحاء والسين والدال .

ولسان العرب ٦/٤٦ مادة حدس وزاد : ((الحَدْس : الظن والتخمين ، يقال : هو يحدس بالكسر أي يقول شيئاً برأيه)) لسان العرب ٦/٤٧ .

(٣) لفظ ((الذي)) في المخطوط مكرر وذلك والله أعلم سبق قلم فيستقيم الكلام بحذف أحدهما .

(٤) قوله : كل مجهول لا يعلم إلا بواسطة مقدمتين معلومتين تنتج المطلوب هذا إدعاء يحتاج إلى برهان فهذه قضية تفيد أن كل مجهول لا يمكن التعرف عليه إلا من خلال مقدمتين معلومتين ، ولم يذكر أصحاب المنطق فيما أعلم دليلاً عليها يفيد حصر إمكانية العلم إلا من هذه المقدمتين ، وعدم العلم ليس علماً بالعدم ، وكذا عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود ، قال تعالى : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ سورة يونس آية ٣٩ .

فمدينة تبوك مثلاً لا تحتاج إلى مقدمتين لمن يجهلها حتى يعلمها فيكفي فيها نقل العدل أو النقل المتواتر للتصديق بها ومعرفتها .

انظر : كتاب الرد على المنطقيين ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، طبع ونشر : إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م ص٨٨، ١٠٠

(٥) لغة : ((الذّكي من قولك : قلب ذكي وصبي ذكي إذا كان سريع الفطنة)) ==

الخامس عشر : الفطنة[١] : وهي التنبيه للشيء الذي قصد تعريفه[٢] .

السادس عشر : الكيس[٣] وهو استنباط الأنفع والأولى[٤]

وهذا قال عليه السلام: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد المـــوت)) [٥]

ولذلك جعله مقابلاً للعجز في قوله : ((كل شيء بقضاء وقدر حتى العجــز

=العين ٥/٣٩٩ ، باب الكاف والذال والياء ، والذكاء : ســرعة الفطنــة ، لســان العــرب ١٤/٢٨٧ مادة ذكا .

(١) لغة : ((رجلٌ فَطِنٌ ، بين الفطنة والفَطَن)) ، العين ٧/٤٣٥ باب الطاء والنون والفاء .

وفي اللسان : ((الفطنة : كالفهم . والفطنة : ضد الغباوة ورجل فطِنٌ بــين الفطنــة والفَطَــنُ ..وفَطِّنَة لهذا الأمر تَفطينا : فهمه)) لسان العرب : ١٣/٣٢٣ مادة فطن .

(٢) عن الدراية واليقين والذهن والفكر والحدس انظر تفسير الفخر الرازي ٢/١٨٩، .

(٣) لغةً : ((الكَيسُ : الخفة والتوقد كاس كَيساً وهو كَيسُ وكَيِّس والجمع أكياس .. والكَيس في الأمور يجري مجرى الرفق فيها))

لسان العرب ٦/٢٠٠ – ٢٠١ مادة كيس .

(٤) الذكاء والفطنة والكيس انظر تفسير الفخر الرازي ٢/١٩٠

(٥) المستدرك على الصحيحين وقال عنه الحاكم : صحيح على شرط البخــاري ولم يخرجــاه ١/١٢٥ حديث رقم ١٩١ عن شداد بن أوس ﷺ وقال في موضع آخر : هذا صحيح الإســناد ولم يخرجاه ٤/٢٨٠ عن حديث رقم ١٧١٦٤ .

ورواه ابن ماجه ٢/١٤٢٣ رقم ٤٢٦٠ أبواب الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له .

ورواه الترمذي ٤/٦٣٨ حديث رقم ٢٤٥٩ .

وأحمد في مسنده ٤/١٢٤ رقم ١٧١٦٤ ، وسنن البيهقي الكبرى ٣/٣٦٩ رقم ٦٣٠٦ ، ومدار الحديث على أبي بكر بن أبي مريم الغساني وهو ضعيف جداً ، انظر فيض القدير ٥/٦٨ .

وكان رديء الحفظ لا يحتج به إذا انفرد ، انظر : المجروحين ٣/١٤٦رقم ١٢٥٥ . =

والكيس))[١] .

السابع عشر : الرأي[٢] وهو استحضار المقدمات وإحالة الخاطر فيها وفيما يعارضها وطلب استنتاجها على الوجه المصيب / وهو كالآلة للفكر[٣] .

١١٥ب-١١٦أ

وأما الظن والشك والوهم فتخالف العلم من حيث أن الاعتقاد الحاصل فيها غير جازم ، فإن قلت فلم لم تذكر المعرفة ؟ قلت : لأن المعرفة نوع من العلم لكن قال بعضهم : المعرفة[٤] إدراك الجزئيات والعلم إدراك الكليات[٥] ومنهم من قال : المعرفة هي التصور ولهذا تتعدى إلى مفعول واحد ، والعلم هو التصديق ولهذا يتعدى إلى مفعولين ، وهؤلا ءيقولون : المعرفة أعلى درجة من العلم بالنسبة إلى الإلهيات لأن كل واحد منا يعلم استناد هذه المحسوسات إلى الله تعالى ، ولا يتصور حقيقته وما لم يُعلم وجوده لا تُطلب ما

=وفي الكاشف : محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي ، تحقيق : محمد عوانه ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو ، جدة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ٤١١/٢ برقم ٦٥٢٦ قال : ضعفوه ؛ له علم وديانه .

(١) رواه مسلم ٢٠٤٥/٤ حديث رقم ٢٦٥٥ كتاب القدر باب كل شيء بقدر .

(٢) لغة : " الرأي : رأي القلب ويجمع على الآراء تقول : ما أضل آرائهم ورأيت بعيني رؤية ، ورأيته رأي العين أي : حيث يقع البصر عليه ، ونقول من رأي القلب : أرتأيت " العين ٣٠٦/٨ – ٣٠٧ باب اللفيف من الراء ، وانظر لسان العرب ٣٠٢/١٤ مادة رأي .

(٣) عن الرأي أنظر : تفسير الفخر الرازي ١٩١/٢ .

(٤) لغة : ((العِرفان : العلم .. وعرَّفه الأمر : أعلمه إياه وعرَّفه بيته أعلمه بمكانه)) لسان العرب ٢٣٦/٩ مادة عرف .

(٥) وانظر : فيض القدير ٨/٢ أيضاً .

هيته فكل عارف عالم وليس كل عالم عارفاً ولهذا خص اسم العارف بمن توغل في العلوم الإلهية وأدرك حقائقها ووصل إلى غاياتها[١] .

ومنهم من قال : إذا أدرك العاقل شيئاً مرة ثم أدركه ثانيـاً وعلـم أن المدرك ثانياً هو المدرك أولاً فذلك هو المعرفة ، قال هـؤلاء : ولمـا كانـت الأرواح قد أخذ عليها العهد والميثاق وعرفت ربها قبـل حلولهـا في هـذه الأجساد [ولظلمة علاقتها][٢] البدنية نسيت ذلك فإذا خرجت من الجسـد تذكرت ذلك فعرفته / فيسمى ذلك عرفاناً .

١١٦أ-١١٦ب

فكل من حصل له هذا التذكر والمعرفة كان عارفاً[٣] .

قال الشيخ محي الدين بن العربي : « إن العالم هو الأشرف رتبـة وإن العلم أعلى من المعرفة وأنه ينبغي التسمية بالعالم ، لا بالعارف حتى قال : فلأي شيء ننتقل من اسم سمانا الله تعالى به ورسوله إلى غيره ونقول : عارف[٤] مـا ذاك إلا من المخالفة التي في الطبع ولو لم يكن في المعرفة من النقص عن درجة العلم في اللسان العربي إلا أنها تعطيك العلم بشيء واحد ولا تحصل لك سوى فائدة واحدة فإنها تتعدى أي مفعول واحد ، والعلم يتعدى إلى مفعـولين وإذا

---

(١) هذا والله أعلم من أفكار غلاة الصوفية حيث يمجدون أنفسهم ويجعلون لها وصـولاً إلى الله عن غير طريق الوحي أو صلتهم إلى الحلول والاتحاد ، وبلغت بهم أقصى دركات الشرك ومـا لم يكن من هدي النبي ﷺ إنما هو غير الحق ويقول تبارك وتعالى : ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ سورة يونس آية ٣٢ .

(٢) ما بين المعقوفتين كلمتين غير واضحتين والذي أثبته أقرب ما ظهر لي والله أعلم .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٨٧/٢ .

(٤) ليته وأمثاله من أهل البدع لا يتعدون ما سماه لنا الله ورسوله من التشريعات كافة .

ناب العلم عن المعرفة ، لحقه الحرمان بالنيابة فيتعدى إلى مفعول واحد وإن كانا في الحد والحقيقة سواء)) [١] .

ونقل عن الشيخ العارف الرباني إمام الصوفية : سهيل بن عبد الله التستري [٢] ﷺ قال : لا يكون العبد عارفاً بالله تعالى إلا إذا كان به عالماً ولا يكون به عالماً إلا إذا كان رحمة للخلق [٣] .

قال الجنيد [٤] ﷺ : ((سليمان حجة الله تعالى على الملوك وأيوب حجة الله تعالى على أهل البلاء وسهل بن عبد الله حجة على المحققين)) [٥] .

واعتذر ابن العربي ﷺ عن تسمية الصوفية / العالم بالله تعالى عارفاً ولم يسموه عالماً مع أن الصواب تسميته عالماً بأن الغيرة غلبت عليهم لما رأوا اسم ١١٦ب-١١٧أ

---

(١) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع .

(٢) هو : سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري أبو محمد ، ولد بتستر في سنة مائتين وقيل أحدى ومائتين ، وتوفي في المحرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين بالبصرة وله ثمانون سنة أو أكثر والله أعلم .

انظر : شذرات الذهب ١/١٨٢ .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٣/٣٣٠ .

ووفيات الأعيان ٢/٤٢٩ .

(٣) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع .

(٤) هو : الجنيد بن محمد بن جنيد القواريري النهاوندي ثم البغدادي أصله من نهاوند ، ولد ببغداد سنة نيف وعشرين ومائتين ونشأ بها ، توفي يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين ، والله أعلم .

انظر : طبقات الفقهاء ١/١٩٤ وذرات الذهب ١/٢٢٨ وسير أعلام النبلاء ١٤/٦٦ والبداية والنهاية ١١/١١٣ ، وتاريخ بغداد ٧/٢٤١ .

(٥) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع .

العالم يطلق عرفاً على كل من حصل عنده علم كيف ما كان ويكون قد أكب على الشهوات وتورط في الشبهات بل في المحرمات فأدركتهم الغيرة أن يشاركهم البطال في اسم واحد وقد شاع ذلك في الناس وذاع ففرقوا بين المقامين بأن خصوا اسم المعرفة بهذا المقام العلي والمعنى واحد في العلم والمعرفة[١] هذا معنى كلامه والله أعلم .

(١) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع .

الفصل الثاني

في فضل العلم وشرفه وفضل العقل :

وقد دلّ على عظمة العقل وشرفه الكتاب والسنة والآثار ، كيف وهو مناط التكليف وعلى قدره تحصل المعارف والعلوم ، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله : ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ [١] ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[٢] . ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾[٣] وقوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾[٤] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرف العقل وفضله[٥]

وقد قال كثير من المفسرين في قوله تعالى : ﴿ مثل نوره كمشكاة ﴾[٦] أنه العقل[٧] وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : ((أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل / فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك بك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب))[٨] . ١١٧ب-١١٨أ

---

(١) سورة النحل آية ٦٧ .

(٢) سورة الرعد آية ٤ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٢ .

(٤) سورة الملك آية ١٠ .

(٥) كل الآيات التي لها صلة بالعقل من ناحية تصريف الكلمة ليس فيها مدح للعقل بل للمتصفين به والله أعلم .

(٦) سورة النور آية ٣٥ .

(٧) بل قال كثير من المفسرين عن المشكاة : أنها الكوة

انظر : تفسير الطبري ١٣٨/١٨ وفتح الباري ٤٤٧/٨

وتفسير ابن كثير ٢٩١/٣

(٨) هذا الحديث روي بسندين أحدهما عن أبي أمامة ﷺ وفيه عمر بن أبي صالح العتكي أفاد الذهبي أن حديثه في العقل خبر باطل وأنه منكر الحديث . لسان الميزان ٣١٤/٤ ==

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا ؟ قال : بالعقل . قلت : في الآخرة ؟ قال : بالعقل . قال[١] : أليس الناس في الآخرة يجزون على قدر أعمالهم فقال يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما عقلوا[٢] .

وعن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((لكل شيء آلة وقوة وآلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم راع وراعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل نفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل)) [٣] ذكره الغزالي في الأحياء[٤] ولنقتصر على هذا القدر في فضل العقل والعقلاء .

=والسند الآخر عن أبي هريرة ﷺ وفيه الفضل الرقاشي نقل الذهبي الأقوال فيه : أنه قدري خبيث و لم يكن أحد ممن يتكلم في القدر أخبث قولاً منه . لسان الميزان ٤٣٢/٥

وقال ابن حجر : ((وأما حديث أول ما خلق الله العقل فليس له طريق ثبت)) فتح الباري ٢٨٩/٦ .

وأما تخريجه ففي المعجم الكبير ٢٨٣/٨ رقم ٢٠٨٦

والمعجم الأوسط ٢٣٦/٢ رقم ١٨٤٥ و ١٩١/٧ رقم ٧٢٤١ وفي شعب الإيمان ١٤٥/٤ رقم ٤٦٣٣ وانظر : الكامل في ضعفاء الرجال ٣٩٠/٢ رقم ٥١٢ وكشف الخفا ٢٧٥/١ رقم ٧٢٣

(١) هكذا في المخطوط والصواب : ((قالت)) كما هو السياق وكذلك المصدر

(٢) مسند الحارث (زوائد الهيتمي) ٨٠٥/٢ برقم ٨٢٣ .

(٣) مسند الحارث (زوائد الهيتمي) ٨٠٦/٢ برقم ٨٢٤ .

(٤) إحياء علوم الدين ٨٥/١ .

وأما فضل العلم وشرفه فقد دل عليه المعقول والمنقول .

أما المعقول :/ فهو أن الإنسان إنما صار إنسانا بالعلم الحق ، وبكونه إنسانا فضل سائر الحيوان والنبات والجماد وكلما ازدادت إنسانيته بالعلم ازداد شرفاً ولهذا قيل : قيمة كل امرئ ما يحسنه[1] أي ما يعرفه ويعلمه وذلك لأن الإنسان من جهة تغذيته ونسله يشابه النبات ومن جهة حسه وحركته يشابه الحيوان ومن جهة صورته المحسوسة يشابه الجمادات المصورة وله نسبة إلى المَلَكْ بما فيه من قوة النطق والعلم والفهم فإن استعمل هذه القوى وأعطاها حقها أُلحق بالمَلَكْ وإن استعمل القوى الحيوانية أُلحق بالبهائم قال الله تعالى في حق الذين لا يعلمون : ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل ﴾[2] ومن شرف العلم أن الحياة لا يعتد بها إلا بنوع منه فكل حياة تعرت عن العلوم فليست بحياة حقيقية حتى أن الحيوان الذي لا يحس أشبه بالجماد وأقرب إلى حكم الموت فإذا أحسن علم المحسوسات وأدركها فامتازت حياته وأفادت ، لهذا المعنى سمى الله تعالى الجاهل ميتاً فقال : ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه ﴾[3] ولا نزاع في فضل العلم وشرفه عقلا قال فخر الدين الرازي : ((أما الشواهد العقلية / في فضيلة العلم فمنها : أن كون العلم صفة كمال وكون الجهل صفة نقص معلوم للعقلاء ضرورة ، ولذلك لو قيل للعالم : يا جاهل تأذى بذلك وإن كان يعلم أن القائل كاذب ولو قيل للجاهل : يا عالم فرح بذلك وإن كان يعلم أن القائل كاذب ؛ وقد ذكر في طباع الحيوان الانقياد للإنسان

١١٨أ-١١٨ب

١١٨ب-١١٩أ

---

(١) في تفسير الفخر الرازي هذا القول نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما تفسير الفخر١٨٢/٢

(٢)سورة الفرقان : آية ٤٤ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

لكونه أعلم منهم وفي طباع الناس كل طائفة تنقاد للأعلم منها وتعظمه والعالم يطير في أقطار الملكوت ويسبح في بحار المعقولات والجاهل في ظلمات الجهل وضيقته ، ثم إن العالم مع شرف علمه في نفسه يصير النفوس الجاهلة عالمة فيكون كالشمس للأرواح والحياة للأبدان ، ويصير أيضاً واسطة بين الله تعالى وبين عباده ، وكما أن الجسد بلا روح ميت كذلك الروح بلا علم ميت قال الله تعالى :﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾[1] فكان العلم[2] روح الروح وسعادته أبدية آمنة عن الزوال والتغير والفناء وما كان كذلك فلا أشرف منه[3]

ومنها : أن الأمور الواقعة على أربعة أقسام :

قسم يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة .

وقسم ترضاه الشهوة ولا يرضاه العقل .

وقسم يرضاه العقل والشهوة .

وقسم لا يرضاه العقل ولا الشهوة / ١١٩أ- ١١٩ب

أما الأول : فهو الأمراض والمكاره الدنيوية

وأما القسم الثاني : فهو المعاصي

وأما الثالث : فهو العلم

وأما الرابع : فهو الجهل

---

(١) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٢) معنى روحاً : أي : القرآن . انظر : تفسير القرطبي ٥٤/١٦ وصحيح البخاري ١٨١٩/٤ وتفسير ابن كثير ١٢٣/٤ وتفسير الطبري ٥٠/٢٤ والدر المنثور ٣٦٤/٧ .

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي ٢١٦/٢ـ ٢١٧ .

فمنزلة العلم من الجهل منزلة الجنة من النار فكما أن العقل والشهوة لا يرضيان النار فكذلك لا يرضيان بالجهل وكلما[١] أنهما يرضيان الجنة فكذلك يرضيان بالعلم فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة فحري أن يقال لمن تعود العلم غداً : تعودت الجنة فادخل ولمن رضي بالجهل تعودت النار فادخل

ويدل على أن العلم جنة والجهل نار أن اللذة إدراك المحبوب ، وكمال[٢] الألم في البعد عن المحبوب لأن الجراحة إنما تؤلم لأنها تبعد جزءاً من البدن عن جزء ومحبوب تلك الأجزاء هو الاجتماع فلما اقتضت تلك الجراحة إزالة ذلك الاجتماع فقد اقتضت إزالة المحبوب وبُعده فلا جرم كان ذلك مؤلماً والإحراق بالنار إنما كان أشد إيلاماً من الجرح لأن الجرح إنما يفيد تبعيد جزء معين من جزء معين وأما النار فإنها تغوص في تلك الأجزاء فاقتضت تبعيد جميع الأجزاء بعضها عن بعض فلما كانت التفرقات في الإحراق / أشد كان الألم هناك ١١٩ب-١٢٠أ أصعب وأما اللذة فهي عبارة عن إدراك المحبوب فلذة الأكل عبارة عن إدراك تلك الطعوم الموافقة للبدن وكذلك لذة النظر إنما تحصل لأن القوة الناظرة مشتاقة إلى إدراك المرئيات فلا جرم كان ذلك الإدراك لذة لها فقد ظهر بهذا أن اللذة عبارة عن إدراك المحبوب والألم عبارة عن إدراك المكروه إذا عرفت هذا فنقول : كلما كان الإدراك أغوص وأشد والمدرك أشرف وأكمل وأبقى وأنقى وجب أن تكون اللذة أشرف وأكمل . ولا شك أن محل العلم هو

(١) هكذا في المخطوط ولعل اللام في الكلمة سبق قلم وإلا يستقيم الكلام بحذف اللام حيث تصبح الكلمة ((كما)) والله أعلم .

(٢) الأولى : ذروة أو شدَّة بدل كمال والله أعلم .

الروح وهو أشرف من البدن ولا شك أن الإدراك العقلي أغوص وأشرف وأما المعلوم فإنه لا شك أشرف لأنه هو الله رب العالمين وجميع مخلوقاته من الملائكة والأفلاك والعناصر والجمادات والحيوانات والنبات وجميع أحكامه وأوامره وتكاليفه وأي معلوم أشرف من هذا فثبت أنه لا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا شقاوة ولا نقصان فوق شقاوة الجهل ونقصانه ولهذا متى سئل العالم عن مسألة فأجاب فيها فرح بذلك ومتى لم يجب ولم يعرف الجواب / وجد عنده لذلك حياءً وانكساراً وهذا دليل على لذة كمال العلم وكمال شقاوة الجهل[١] انتهى كلامه

١٢٠أ-١٢٠ب

وأما المنقول : فقد دل على فضل العلم الكتاب والسنة .

أما الكتاب : فقوله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ﴾[٢] ففيه دليلان :

أحدهما : في نفي المساواة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون . وهذا تصريح بفضيلة العالم على غير العالم مطلقاً ((واعلم أن الله تعالى قد ذكر مثل ذلك في كتابه العزيز في نفي المساواة في غير موضع وكلها في الحقيقة ترجع إلى العلم:

أحدها : هذا الذي ذكرناه وهو في العلم صريحاً .

والثاني : قوله تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ﴾[٣]

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢/١٧٠ــ ١٧١ بتصرف يسير .

(٢) سورة الزمر : آية ٩ .

(٣) سورة فاطر آية ١٩ -٢١ .

وهذه أمثلة للعالم والجاهل)) [١] وكذلك قوله : ﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾[٢] وهو تمثيل لمن قبل العلم والذكرى ومن لم يقبل ذلك .

الثالث : قوله : ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾[٣] وقد جاء وصف المؤمنين بالعالمين كثيراً وهم أصحاب الجنة ووصف الكافرين بالجاهلين كثيراً / ١٢٠ب-١٢١أ وهم أصحاب النار ، وإنما صار لكل من الفريقين ذلك بالعلم والجهل .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾[٤] والخبيث الحرام ، والطيب الحلال[٥] وذلك لا يعرف إلا العلم

الدليل الثاني من الآية : قوله تعالى : ﴿ إنما يتذكر أولو الألباب﴾[٦]

والألباب : العقول ، وفيه دلالة على شرف العلم إذ العقل إما العلم أو أصل العلم والتذكر طريق إلى العلم[٧] .

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢/١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٢) سورة فاطر آية ٢٢ .

(٣) سورة الحشر آية ٢٠ .

(٤) سورة المائدة آية ١٠٠ .

(٥) تفسير البغوي ٢/٦٩ وزاد المسير ٢/٤٣٢ . تفسير القرطبي ٦/٣٢٧ . وانظر : تفسير ابن كثير ٢/١٠٥ .

(٦) سورة الرعد آية ١٩ .

(٧) انظر : زاد المسير ١/٣٢٤ عند قوله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً * وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ سورة البقرة آية٢٦٩ .
ويقول الإمام ابن جرير الطبري عند هذه الآية : والحكمة يعني ما أُنزل عليكم من الحكمة وهي السنن التي علمكموها رسول الله ﷺ وسنها لكم)) تفسير ابن جرير الطبري ٢/٤٨٣ ثم أشار=

ومن أدلة القرآن العظيم أن الله تعالى ذكر في كتابه الحكمة ومدحها وعظم أمرها وهي مفسرة بالعلم[1] في قوله تعالى : ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ﴾[2] فمواعظ القرآن من العلم ؛ وقوله تعالى : ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾[3]

وكذلك قوله : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾[4] وقوله : ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴾[5] وليس الحكم ههنا النبوة لعطفها عليه ، وهذه الوجوه كلها بالعلم أو ترجع إليه[6] .

=إلى الاختلاف في معناها وأنه سبق أن أورده عند قوله تعالى : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ سورة البقرة آية ١٢٩ فقال عندها : اختلفت لأهل التأويل في معنى الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم : هي السنة ، وقال بعضهم : الحكمة هي : المعرفة بالدين والفقه فيه والإتباع له فلا يعرف الدين إلا به ﷺ يعلمهم إياه .

ثم قال : الصواب من القول عندنا في الحكمة : أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ والمعرفة بها وما دل عليه ذلك من نظائره .

وهو عندي : مأخوذ من الحكم الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل .

انظر : تفسير الطبري ٥٥٧/١ .

(١) تفسير الواحدي ١٧٢/١ وتفسير أبي مسعود ٢٦٢/١ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٣١ .

(٣) سورة مريم آية ١٢ .

(٤) سورة لقمان آية ١٢ .

(٥) سورة الأنعام آية ٨٩ .

(٦) تفسير ابن جرير الطبري ٥٥/١٦ ، ٢٦٣/٧ ، ٩٠/٣ . تفسير الثعالبي ٢٨٢/١ . وزاد المسير ٢١٣/٥ .

وقوله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾[١] دليل ظاهر على فضل العلم[٢] ، ومن أدلة القرآن العظيم على فضل العلم قوله تعالى/ لنبيه ﷺ : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾[٣] وكفى بذلك شرفاً لهذه الصفة فإن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم[٤] .

١٢١أ-١٢١ب

ولقد مدح الله تعالى أهل العلم وقرنهم باسمه في قوله : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾[٥] فالعلماء هم الموحدون في الحقيقة ، والتوحيد أشرف مقام يُنتهى إليه .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾[٦] وأصح الأقوال عند المفسرين أن أولي الأمر : العلماء[٧] ؛ هكذا نقله فخر الدين[٨] واحتجّ عليه بأن الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس[٩] ؛ وفي هذه الآية والتي قبلها جعل العلماء مقرونين بملائكته معه وبرسله معه فذكرهم ثالث مرتبة .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٦٤/٢ .

(٣) سورة طه آية ١١٤ .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٧٣/٢ .

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٨ .

(٦) سورة النساء آية ٥٩ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١٤٩/٥ .

(٨) في تفسيره ١٩٥/٢ .

(٩) تفسير الفخر الرازي ١٦٥/٢ . .

وفي آيتين أخريين ذكرهم مقرونين باسمه فقال : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾[١] فلم يفرق بينهم وبينه في هذه الآية[٢] ؛

وفي قوله تعالى : ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾[٣] فقرن اسمهم باسمه تعالى وناهيك بهذا الشرف والرتبة[٤] ، وفي هذه الآيات /دقيقة أخرى من شرف العلم وهي أن الله تعالى لما جعل العلماء شهداء له قرنهم بملائكته فذكرهم في المرتبة الثالثة من الشهداء لتقوم الشهادة من

١٢١ب-١٢٢أ

---

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

(٢) الخلاف بين المفسرين هل ﴿ الراسخون ﴾ معطوف على لفظ الجلالة قبله فيكون مرفوع بالعطف ، أو أن ﴿ الراسخون ﴾ بالابتداء فالوقف لازم ذكرها ابن جرير الطبري ثم قال : والصواب عندنا في ذلك أنهم – أي ﴿ الراسخون ﴾ مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم – أي أنهم خبر للمبتدأ بعدهم – وهو : " يقولون " ثم ذكر السبب أنه ما بينه عنهم الله أنهم لا يعلمون المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في هذه الآية .

واستند إلى قراءة أُبي ﷺ : ﴿ ويقول الراسخون في العلم ﴾ ، وأن ابن عباس كان يقرأ هكذا أيضاً وفي قراءة أخرى لابن عباس : ﴿ إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون ﴾ ، تفسير ابن جرير الطبري ١٨٤/٣ ، وانظر تفسير القرطبي ١٥/٤ ودقائق التفسير ٣٢٩/١ .

ويقول ابن تيميه : ((والكلام على قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ وإن كلا القولين حق فمن قال : ﴿ لا يعلم تأويله إلا الله ﴾ فأراد به ما يؤول إليه الكلام من الحقائق التي لا يعلمها إلا الله ومن قال : إن الراسخين في العلم يعلمون التأويل فالمراد به تفسير القرآن الذي بينه الرسول ﷺ – والصحابة رضي الله عنهم .

فتاوي ابن تيمية ٤٠٨/١٦ .

(٣) سورة الرعد آية ٤٣ .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٦٥/٢ .

هذين الصنفين بما شهد الله تعالى به لنفسه وأُدخل الأنبياء في العلماء وكفى بصفة تشملهم ، والأنبياء على هذا الوجه العظيم الممدوح .

ولما جعل الله تعالى العلماء شهداء لنبيه اكتفى بهم مع شهادته ولم يضف إليهم غيرهم واستشهد بهم وحدهم بعد ذلك من غير شهادة أحد معهم فقال : ﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾(١) .

ومن الأدلة قوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾(٢) ولم يذكر الدرجات كالأربعة أصناف :

الأول : المؤمنون في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ﴾(٣)

والثاني : المجاهدون في قوله تعالى : ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً *عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة ﴾(٤) .

الثالث : لمن عمل صالحاً قال الله تعالى : ﴿ ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾(٥) . / ١٢٢أ-١٢٢ب

الرابع : العلماء في هذه الآية التي ذكرناها .

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٧ .

(٢) سورة المجادلة آية ١١ .

(٣) سورة الأنفال آية ٢ - ٤ .

(٤) سورة النساء آية ٩٥ — ٩٦ .

(٥) سورة طه آية ٧٥ .

واستدل فخر الدين من هذه الآيات على أن العلماء أفضل هذه الأصناف لأن الدرجات أولاً للمؤمنين ثم المجاهدين ثم الصالحين ثم العلماء فهم أعلى[١] .

وليس فيما ذكره دليل لأنه لم يتضمن شيء من هذه الآيات أن درجات بعض فوق درجات الآخرين وإن أخذ ذلك من ترتيب التلاوة فلا حجة فيه بوجه إلا أن يقال أن الدرجات المستحقة أولاً بالإيمان غير الدرجات المستحقة بالجهاد لأن درجات الإيمان يشترك فيها القاعد والمجاهد فدرجات الجهاد بعدها ثم درجات من عمل الصالحات بعدها لأن من عمل الصالحات من جملة ما عمل الجهاد إذ الجمع المحلى بالألف واللام للعموم ، والدرجات المستحقة بالعلم في الدرجة الرابعة وهي مستحقة بالعلم وحده ولم يذكر أنها مستحقة بالعلم مع الإيمان بخلاف ما تقدم فإنها كلها في صفات المؤمنين هذا أقصى ما ظهر لي في تقريره ولا يخفى ما فيه .

ومن ذلك أن الله تعالى خص العلماء بخشيته[٢] فقال : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[٣] وهذه الآية دليل ظاهر على فضل العلم وشرفه وعلو مرتبة المتصف به ودليل / على أن ذلك ليس لكل العلوم بل للعلم بالله .

١٢٢ب-١٢٣أ

ولنبين ما في هذه الآية من الرقائق واللطائف فمنها :

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٦٥/٢ .

(٢) الخشية : وجل نفس العالم مما يستعظمه .

والخشية: خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون على علم بما يخشى منه ، التعاريف ٣١٤/١

ويخشى الله : أي يخافه ويتقي عقابه بطاعته ؛ انظر تفسير القرطبي ١٣٢/٢٢ .

والخشية : خلاصة الإيمان والعلم ، تفسير ابن كثير ٤٢/١ .

(٣) سورة فاطر آية ٢٨ .

أن العلم سبب الخشية ولا سبب غيره للحصر الذي فيها وبيان ذلك : أن من لم يعلم بالشيء لا يخافه ولا يخشاه ، ثم العالم بالشيء تارة يعلم ذاته ، وتارة يعلم مع الذات شيئاً آخر من صفاته ؛ ونفس العلم بالذات فقط لا يوجب الخشية والخوف ، إلا أن ينضم إليه العلم بالقدرة التامة والعلم التام والحكمة التامة البالغة فمتى اختل شرط من ذلك اختلت الخشية وبيان ذلك في الشاهد : أن الإنسان إذا عرف ملكاً من الملوك مثلاً لا يخشاه بمجرد معرفته ما لم يعرف أنه قادر عليه وعلى عقوبته ومجازاته بأفعاله فإن الملك لا يخشى أحداً من رعيته لعلمه أنه غير قادر عليه فإذا علم بالقدرة لم يكف ذلك حتى يعلم أنه عالم بفعله الذي يخشى المجازاة عليه فإن المستخفي عن السلطان بقبيح فعله لا يكون حال خيفته به خائفاً من السلطان لعلمه أن السلطان لا يعلم به فمتى علم أنه عالم بفعله كان ذلك سبباً للخشية مع العلم بالقدرة ، لكن بشرط أن يعلم أنه لا يرضى ذلك القبيح ألا ترى أن بعض ندماء الملوك / ومن يضحكهم ١٢٣أ-١٢٣ب يعرف الملك وأنه قادر على عقوبته لو أراد ويفعل أفعالاً قبيحة لا يخافها ويعلم أن الملك يراها ويعلم بها وإنما لم يُخفِها ، ولم يخش عاقبتها لعلمه أن الملك راض بها فإنها تضحكه أو تلهيه أو توافق غرضه في ذلك الوقت كما يجري لمن ينادم الملوك في بعض الأحوال من سخف أو ارتكاب محظور أو سماع لهو أو غير ذلك وإنما تخلفت الخشية لعلمه أن الملك في هذه الحال لا يستعمل موجب الحكمة والجد ولا يُجْرِيْ أفعاله في كل وقت على الإتقان والإحكام ، فإذا علم الشخص من الملك قدرة وعلماً وحكمة تنافي القبيح ، لم يتعرض إليه وخافه كل الخوف[1] فالعالم بالله تعالى وبأنه قادر على جميع المخلوقات عالم

---

(١) ولله المثل الأعلى .

بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء حكيم لا يرضى بالقبائح ولا يأمر بالفحشاء لا يتصور منه الإقدام على شيء من المعاصي والرذائل والقبائح مع استحضار هذه العلوم ، ولا يخشى الله تعالى إلا من كان بهذه المثابة وهو العالم الحقيقي فصح الحصر فيه وأنه لا يخشى الله تعالى من عباده حق الخشية إلا العلماء فلهذا قال سبحانه : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[1]

والخشية سبب الفوز بالجنة / قال الله تعالى : ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾[2] . فخص ذلك بمن خشي ربه ، فدلت الآية الأولى على اختصاص الخشية بالعلماء والآية الثانية ظاهرة في اختصاص الجنة بصاحب الخشية ،وفي الآية دقيقة أخرى وهي أن الخشية من خصائص العلم فكل علم لا يورث خشية الله تعالى فليس هو المقصود بالتفضيل فإذا رأيت العالم لا يخشى الله تعالى فاتهمه في علمه وإذا لم يورثك العلم الخشية فلست من خير العلم في شيء وقد قرئ في الشاذ[3] : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾[4] برفع اسم ((الله)) ونصب العلماء ، والمعنى في هذه القراءة ، أن الله تعالى يعاملهم من الإجلال والتعظيم والإكرام معاملة الخاشي

١٢٣ب-١٢٤أ

(١) سورة فاطر آية ٢٨ .

(٢) سورة البينة آية ٨ .

(٣) في فتح القدير نسبة القراءة لعمر بن عبد العزيز ونسبها بصيغة التضعيف لأبي حنيفة ، فتح القدير ٣٤٨/٤ ، وانظر : تفسير القرطبي ٣٤٤/١٤ .

(٤) سورة فاطر آية ٢٨ .

فإن الخشية على الله تعالى محال[١] ومن ذلك أن الله تعالى وصف العلماء في كتابه بأوصاف لم يتصف بها غيرهم منها : الشهادة كما قدمنا في قوله : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأُولوا العلم﴾[٢] .

ومنها الخشية كما في الآية المتقدمة ؛ ومنها : البكاء فكما قال تعالى : ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم /خشوعاً﴾[٣] .

١٢٤أ-١٢٤ب

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾[٤] قالوا : وجه المناسبة بين الخلق من العلم والتعليم بالقلم وتعليم العلم : أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقة وأعلاها كونه عالماً ، فالله تعالى امتن على الإنسان بنقله من أخس المراتب وهي العلقيَّة إلى أعلى المراتب وهي العلم[٥] وفيه وجه آخر : وهو أن الله تعالى تمدح بتعليم العلم عقيب تمدحه بكونه الأكرم ، وذلك غاية في الشرف والفضل[٦] ، ومن ذلك أن الله تعالى امتن على نبيه بتعليم العلم

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢/١٧٢ — ١٧٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٨ .

(٣) سورة الإسراء آية : ١٠٩ .

(٤) سورة العلق آية : ١ — ٥ .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢/١٧١ .

وانظر تفسير البيضاوي ٥/٥١٠ .

(٦) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢/١٧١ .

فقال تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾[١] .

ومن ذلك تنبيه الله تعالى على فضيلة العلماء بقولـــه : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾[٢] ، وحث على طلب العلم فقال : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾[٣] وسنتكلم إن شاء الله تعالى على هذه الآية في باب التفضيل .

وقال تعالى : ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾[٤] قال زيد بن اسلم / يعني: بالعلم[٥] ؛ ١٢٤ب-١٢٥أ وقصة آدم وتفضيله وأمر الملائكة بالسجود له دليل ظاهر على فضيلة العلم ، فإن الله تعالى ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم إلا بإظهار علمه فلو كان في الإنسان شيء أشرف من العلم لأظهر فضله به[٦] . ، وقصة سليمان في تمدحه وافتخاره بالعلم[٧] في قوله : ﴿ عُلمنا منطق الطير ﴾[٨] ولم يذكر شيئاً مما أعطى من الملك وكان ملكه الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده .

---

(١) سورة النساء آية ١١٣.

(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٣.

(٣) سورة التوبة آية: ١٢٢.

(٤) سورة يوسف آية : ٧٦ .

(٥) تفسير الطبري ٢٦/١٣ ، والقرطبي ٢٣٨/٩ .

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٧٣/١ - ٧٤.

(٧) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٧٣/٢.

(٨) سورة النمل آية ١٦ .

ومن ذلك أن الله تعالى جعل العلم في أنبيائه سبباً لأحوال شريفة فضمَّن ذلك كتابه العزيز وكان ذلك سبباً لتحية الملائكة ، وهي أسماء المخلوقات فمن علم أسماء الخالق عز وجل وصفاته حري أن يجد تحية ربه وهو في قوله تعالى : ﴿سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم﴾[(١)] ومنها أنه علم الخضر علم الفراسة[(٢)] فقال : ﴿ وعلمناه من لدنا علما ﴾[(٣)] وكان ذلك سبباً لتبعية موسى ويوشع له للتعلم[(٤)] ، وهو في قوله تعالى حكاية عن موسى:﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾[(٥)]

---

(١) سورة يس آية ٥٨.

(٢) لكن ليس ذلك سبب تبعية موسى له للتعلم :

فمن جهة الخضر عليه السلام فإن الله سبحانه وتعالى أخبر في أول الآية التي أوردها المؤلف :﴿وعلمناه من لدنا علما ﴾ أنه أتاه رحمة من عنده فقال تعالى : ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ سورة الكهف آية ٦٥ .

والرحمة إذا قيدت في القرآن بالإنسان فالمراد بها الوحي ، وذكر جمع من المفسرين أن المراد بالرحمة في هذه الآية إنما هو الوحي .

انظر تفسير ابن كثير ١٠٠/٣ ، والقرطبي ١٦/١١ ، والبيضاوي ٥١٠/٣ ، وتفسير أبي السعود : ٢٣٤/٥ وتفسير الواقدي ٦٦٧/٢ .

أما من جهة موسى عليه السلام فهو الذي سعى إلى الخضر عليه السلام ، وذلك أنه عليه السلام سئل : هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ فقال : لا ؛ أو حدثته نفسه بذلك فكره ذلك له فأراد الله تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه ، تفسير الطبري ٢٧٦/١٥ .

(٣) سورة الكهف آية ٦٥ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٩٣/٣ .

(٥) سورة الكهف آية ٦٦ .

فمن علم الحقيقة حريٌّ أن يكون مندرجاً في قوله :﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾[١] .

وعلم / يوسف تأويل الرؤيا فقال :﴿ ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾[٢] فكان سبباً لخروجه من السجن ونيله الملك واجتماعه بأهله فكيف لا يكون علمه تفسير كتابه العزيز سبباً للنجاة من حبس الشبهات ونيله الملك في دار السلام والاجتماع بالأهل والإخوان في جوار الرحمن[٣] فهذه نبذة من الأدلة الدالة على فضل العلم من الكتاب العزيز .

١٢٥أ-١٢٥ب

وأما الأحاديث النبوية فمنها في الصحاح ومنها ما تقوم به الحجة في باب التفضيل فمن ذلك :

في الصحيحين من حديث معاوية ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((من يرد الله به خيراً يفقه في الدين))[٤] .

وفيهما عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا ؛ وأصابت طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله

---

(١) سورة النساء آية ٦٩ .

(٢) سورة يوسف آية : ٢١ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٦٩/٢ .

(٤) رواه البخاري ٣٩/١ حديث رقم ٧١ كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين ورواه مسلم ٧١٨/٢ حديث رقم ١٠٣٧ كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة .

تعالى ونفعه بما يعثني الله به ، وعلم ومثل من لم يرفع / بذلك رأساً ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به)) [١] . ١٢٥ب-١٢٦أ

وفي جامع الترمذي عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)) ثم قال رسول الله ﷺ : ((إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في الماء ليصلون على معلم الناس الخير)) [٢]

وروى أبو داود عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات

---

(١) رواه البخاري بنحوه ٤٢/١ حديث رقم ٧٩ كتاب العلم باب فضل من علم وعمل .

رواه مسلم ١٧٨٧/٤ حديث رقم ٢٢٨٢ كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم .

(٢) رواه الترمذي ٥٠/٥ حديث رقم ٢٦٨٥ ، في أبواب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة وقال عنه : هذا حديث غريب .

وبنحوه الطبراني في المعجم الكبير ، لكنه جعله حديثين بسندين مختلفين نصفه الأول ٢٣٣/٨ برقم ٧٩١١ ونصفه الثاني ٢٣٤/٨ برقم٧٩١٢ .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : (عن أبي أمامه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير)) .

رواه الطبراني في الكبير وفيه القاسم أبو عبد الرحمن وثقه البخاري وضعفه أحمد ، مجمع الزوائد ١٢٤/١ .

وروى الدارمي نصفه الأول في سننه ثم ذكر أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ثم قال بعدها : ((إن الله وملائكته وأهل سماواته وأرضيه والنون في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير)) .

مسند الدارمي ١٠٠/١ برقم ٢٨٩ باب من قال : العلم الخشية وتقوى الله .

ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم و[١]العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)) [٢]

وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)) [٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث :صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد / صالح يدعو له)) [٤] . ١٢٦أ-١٢٦ب

(١) هكذا في المخطوط وفي سنن أبي داود بدل ((الواو)) حرف ((على)) فتكون العبارة : ((وفضل العالم على العابد)) وهذا هو الصواب .

(٢) رواه أبو داود ٣١٧/٣ برقم ٣٦٤١ في أول العلم باب الحث على طلب العلم .
والترمذي ٤٨/٥ رقم ٢٦٨٢، كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، وابن حبان في صحيحه ٢٨٩/١ برقم٨٨ ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل .
ورواه ابن ماجه ٨١/١ حديث رقم ٢٢٣ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم .
والدارمي ١١٠/١ برقم ٣٤٢ وأشار إلى قوة سنده ابن حجر في الفتح ١٦٠/١ عند باب قبل القول والعمل .

(٣) رواه الترمذي ٢٩/٥ برقم ٢٦٤٧ كتاب العلم باب فضل طلب العلم .
وقال عنه: هذا حديث غريب وأيده الذهبي في ميزان الاعتدال ٤٣٥/٢ ، وأبو نعيم في الحلية ٢٩٠/١٠ .
ورواه الطبراني في المعجم الصغير: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج ، أمرير ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، ٢٣٤/١ برقم ٣٨٠ وبنحوه بسند مختلف الطبراني في الكبير ٦٦/٨ برقم ٧٣٨٨ .

(٤) رواه مسلم ٩٤/١١ حديث رقم ١٦٣١ كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالماً ومتعلماً)) (١) .

وفي الأحاديث من الدلالة على فضل العلم وعلى رتبته الكثير ، والغرض التنبيه بالبعض على البعض .

وقد روى في فضل العلم أحاديث وأخبار ولا نلتزم صحة جميعها ونذكر طرفاً منها فمن ذلك :

أنه روى عن النبي ﷺ أنه قال : ((ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في دين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شيء

---

(١) رواه الترمذي ٥٦١/٤ برقم ٢٣٢٢ باب ما جاء في هوان الدنيا ، باب منه ، وقال عنه : هذا حديث حسن غريب . وابن ماجة ١٣٧٧/٢ برقم ٤١١٢ كتاب الزهد باب مثل الدنيا .

وبنحوه الطبراني في الأوسط بسند مختلف ٢٣٦/٤ برقم ٤٠٧٢ .

وبنحوه مصنف ابن أبي شيبة بسند مختلف ٢٠١/٧ رقم ٣٥٣٣٠ .

ويقول العجلوني عنه : رواه الترمذي وحسنه عن أبي هريرة مرفوعاً ، ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود .. وذكر غيرهم ، كشف الخفا ٤٩٦/١ رقم ١٣٢١ .

عماد وعماد الدين الفقه))[١] رواه ابن عبد البر في كتاب فضل العلم[٢] وأنه قال : ((لئن تغدوا فتعلموا باباً من العلم خير من أن تصلوا مائة ركعة))[٣]

وقال : باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا[٤] ، وقال : طلب العلم فريضة على كل مسلم[٥] .

---

(١) سنن الدارقطني: علي بن عمر الدارقطني البغدادي ، تحقيق : السيد عبدالله هاشم يماني المدني ، دار المعارفة ، بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، ٧٩/٣ برقم ٢٩٤ .

والمعجم الأوسط ١٩٤/٦ رقم ٦٦١٦ .

قال عنه الهيثمي : فيه يزيد بن عياض ، وهو كذاب ويزيد هذا في سند الدارقطني أيضاً .

وانظر : كشف الخفا للعجلوني ٣٩٩/٢ برقم ٢٧٣٦ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ت ٤٦٣ ، صححه وقيد حواشيه إدارة الطباعة المنبرية ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ٢٦/١ بتقديم وتأخير .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢٥/١ .

(٤) لم أجده في كتاب جامع بيان العلم وفضله .

(٥) رواه الطبراني في الأوسط ٧/١ حديث رقم ٩ وبسند آخر ٢٨٩/٢ برقم ٢٠٠٨ وبسند آخر ٥٧/٣ برقم ٢٤٦٢ كلهم عن أنس وبسند آخر عن الحسين بن علي رضي الله عنهما ٢٩٧/٢ برقم ٢٠٣٠ وبسند آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما ٢٤٥/٤ برقم ٤٠٩٦ وآخر عن أبي سعيد الجدري ٢٥٨/٨ برقم ٨٥٦٧

وقال البزار كل ما يروي عن أنس في هذا الحديث فغير صحيح مسند البزار ١٧٣/١ والحديث في معجم الشيوخ عن ابن عمر رضي الله عنهما ١٧٧/١

وفي شرح سنن ابن ماجه : قال المزي هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن وهو كما قال شرح سنن ابن ماجه : السيوطي وعبدالغني وفخر الحسن الدهلوي ، قديمي كتب خانه ، كراتشي ، ٢٠/١ وقال المناوي : يقول الذهبي في تلخيص الواهيات روي من عدة طرق واهيه " وبعضها صالح . فيض القبر ٥٤٢/١ . قال عنه الألباني : "صحيح" صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت دمشق .

الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨٢م ١٠/٤ برقم ٣٨٠٨ .

وقال : "اطلبوا العلم ولو بالصين"(١) وفي حديث عن أبي ذر ﷺ مرفوعاً : حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله : ومن قراءة القرآن ؟ فقال : وهل ينفع القرآن إلا بالعلم(٢) .

١٢٦ب-١٢٧أ

وقال : من جاءه / الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة (٣) .

وقال : قال النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : ((لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها)) (٤) .

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال : ١/١٧٧ رقم ١٧ وقال عنه : فيه أبو البختري : وهب بن وهب ممن يضع الحديث . والمجروحين : محمد بن حبان البستي ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي حلب ، ١/٣٨٢ برقم ٥١٨ .
وضعفاء العقيلي وقال عن راويه أبي عاتكة : أنه متروك الحديث ٢/٢٣٠ برقم ٧٧٧ وابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله ١/٧ ولسان الميزان ١/١٩٣ برقم ٦١١ وقال المناوي في فيض القدير : لم يصح فيه إسناد ١/٥٤٢ وقال الألباني عنه أنه ضعيف . سلسلة الأحاديث الضعيفة . ١/٤١٣ برقم ٤١٦ . وكشف الخفاء ١/١٥٤ برقم ٣٩٧ وقال : قال البيهقي : منسند مشهور وإسناد ضعيف وقال الألباني عنه أنه ضعيف . سلسلة الأحاديث الضعيفة . ١/٤١٣ برقم ٤١٦ وكشف الخفاء ١/١٥٤ برقم ٣٩٧ وقال : قال البيهقي : منسند مشهور وإسناد ضعيف

(٢) في لسان الميزان : ((حضور مجلس عالم خير من حضور ألف جنازة ومن ألف ركعة ومن ألف حجة ومن ألف غزوة)) من رواية : الجويباري ممن يضرب المثل بكذبة ١/١٩٣/٦١١ .

(٣) سنن الدرامي ١/١١٢ رقم ٣٥٤ .وبنحوه كنز العمال ٤/٥٥حديث رقم ٢٨٨٣٠ ،والترغيب والترهيب ١/٥٣ برقم ١١٠ وبنحوه ميزان الاعتدال ٦/٩٤ وفي سنده متروك ومثله في لسان الميزان ٥/١٠٣ وفي سنده متروك . وكشف الخفا ٢/٣٠٨ رقم ٢٤٥٠ .

(٤) بهذا النص لمعاذ رواه ابن المبارك في الزهد ؛ عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي تحقيق حبيب الرحمن الأعظي ، دار الكتب العلمية بيروت ص٤٨٤ رقم ١٣٧٥ .

==

وعنه : ((من تعلم باباً من العلم ليعلمه الناس أعطي ثواب سبعين نبياً صديقاً)) (١)

وعنه : من عَلِم وعلَّم وعمل فذلك يدعى عظيماً في الملكوت)) (٢)

=وبنحوه مسند الإمام أحمد ٢٣٨/٥ رقم ٢٢١٢٧ وقال الهيثمي عن رجال أحمد : رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٣٣٤/٥ .

لكن البخاري ومسلم وغيرهم رووه بنحوه ، والكلام فيه موجه لعلي بن أبي طالب ﷺ .

فالبخاري ١٠٩٦/٣ برقم ٢٨٤٧ باب فضل من أسلم على يديه رجل .

ومسلم ١٨٧٢/٤ برقم ٢٤٠٦ باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ .

(١) الترغيب والترهيب ص٥٤ رقم ١١٨ إلا أنه لم يذكر نبياً ، وقال عنه : رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وفيه نكارة .

وفي نقد المنقول : ((والأحاديث الموضوعة عليها ظلمة وركاكة ومجازفات باردة تنادي على وضعها واختلاقها على رسول الله ﷺ - ١٣ - مثل حديث : ((من صلى الضحى كذا وكذا وكذا ركعة أعطي ثواب سبعين نبياً وكأن هذا الكذاب الخبيث لم يعلم النبي لو صلى عمر نوح عليه السلام لم يعط ثواب نبي واحد)) .

نقد المنقول ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي تحقيق حسن السماعي سويدان دار القادري بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ص٣٩ .

(٢) انظر : كتاب العلم : زهير بن حرب النسائي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ٧/١٧ حديث رقم ٧ لكنه نسبه إلى المسيح بن مريم عليه السلام ، وبنحوه كنز العمال حديث رقم ٢٨٨٥٠ .

وعون العبود ٢٢٩/٤ باب في ثواب قراءة القرآن لكنه نسبه إلى المسيح عليه السلام .

وكتاب الزهد لأبي عاصم ، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد دار الريان للتراث القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ص٥٩ . ونسبه إلى عيس عليه السلام .

وحلية الأولياء من كلام عيسى عليه السلام أيضاً ٩٣/٦ . ==

وقال : إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين : ((ادخلوا الجنة)) فيقول العلماء : بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا ، فيقول الله تعالى : ((أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا)) فيشفعون ثم يدخلون الجنة[1] .

وروي مرفوعاً : تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وهداة يقتدي بهم في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، كل رطب ويابس / لهم مستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلب من العمى ، وقوة الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف ، ويبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى ، التفكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الأرحام ، هو إمامٌ العمل تابعه يلهمه الله تعالى للسعداء ويحرمه الأشقياء[2] .

١٢٧أ-١٢٧ب

=وتاريخ بغداد ٢/٢٣٠ عند ترجمة رقم ٦٨٢ محمد بن الحسين حمدويه الجرني ، ونسب الكلام أيضاً لعيسى عليه الصلاة والسلام .

(١) لم أجده فيما تيسر لي من مراجع والله أعلم .

(٢) بنحوه الترغيب والترهيب ١/٥٢ رقم ١٠٧ وحلية الأولياء ١/٢٣٩ . ==

وروي مرفوعاً : يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء[1]

وروي أن النبي ﷺ قال : ((ألا أخبركم بأجود الأجواد ؟)) قالوا : بلى يا رسول الله قال : ((الله أجود الأجواد وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدي رجل عالم ينشر علمه فيبعث يوم القيامة أمة وحده ، ورجل جاهد في سبيل الله تعالى حتى يقتل)) [2] .

=وقال عنه السيوطي ليس له إسناد قوي .. لأنه من رواية موسى البلقاوي وهو كذاب نسب إلى الوضع ، عن عبد الرحمن العجمي وهو متروك . تدريب الراوي ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق عبد الوهاب عبداللطيف مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ١٦٢/١ .

(١) رواه ابن ماجه بنحوه ١٤٤٣/٢ حديث رقم ٤٣١٣ أبواب الزهد باب ذكر الشفاعة . وفي سنده عنبسة بن عبد الرحمن ، قال عنه الهيثمي : وهو مجمع على ضعفه – مجمع الزوائد ٣٨١/١٠ .

ومصباح الزجاجة ، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني تحقيق محمد المنتقي الكشناوي ، دار العربية بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ٢٦٠/٤ ، باب ذكر الشفاعة ، وقال عنه : هذا إسناد ضعيف .

والكامل في ضعفاء الرجال ٢٦٢/٥ وضعفاء العقيلي ، أبو جعفر محمد بن موسى العقيلي تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ٣٦٧/٣ رقم ١٤٠٥ .

وكشف الخفاء ٥٣٩/٢ رقم ٣٢٥٩ .

وكنز العمال رقم ٣٩٠٧٢ .

(٢) شعب الإيمان بنحوه ٢٨١/٢ رقم ١٧٦٧ .

والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، محمد بن حبان بن أحمد البستي ، راجعه محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي حلب ٣٠١/٢ ترجمة رقم ١٠٠٧ .

عند ترجمة محمد بن إبراهيم الشامي وقال عنه يضع الحديث على الشاميين .

والحديث المشهور : ((مداد العلماء يوزن بدم الشهداء))[١] قد ضعفه كثير من العلماء . وهذه الأحاديث التي ذكرتها غير معزوة إلى الكتب المشهورة فلبعضها شواهد في الصحيح ، وقد نقلها من العلماء جماعة وكثير منها وغيرها في الأحياء[٢] وفضل العلم لابن عبد البر[٣] وغيره .

وأما الآثار فكثيرة جداً ولو / شرعنا في نقلها لاستغرق الزمان ؛ ولا نزاع في فضل العلم وشرفه وعلو شأنه . ١٢٧ب-١٢٨أ

فإن قيل قد ذكرت فضل العلم وشرفه وفضله فهذا الفضل للعلم من حيث هو أو لبعض العلوم دون بعض أو لكلها كيف كانت ؟

قلت : أما العلم من حيث هو ففيه شرف وتزكية للنفس وهو خير من الجهل إلا ما كان علماً شيطانياً يدل على الشر ويهدي إليه ويوقع فيه كالسحر ومخاطبة الكواكب وما شاكل ذلك .

وما لم يكن كذلك فمنه مباح ومنه مندوب ومنه واجب وحقيقة القول الكلي الذي يجمع معاني الشرف وتعتبر به المراتب أن شرف العلوم بشرف المعلوم فكلما كان المعلوم أشرف كان العلم أشرف فالعلم المتعلق بالله تعالى ومعرفة توحيده وعظمته وجلال صفاته أشرف العلوم لأن معلومه أشرف المعلومات .

---

(١) لسان الميزان ٥/٢٢٥ برقم ٧٥٨٢ ، وكشف الخفاء ٢/٥٤٣ برقم ٣٢٨١ والعلل المتناهية ١/٨٠ برقم ٨٣ وَ ١/٨١ برقم ٨٥ .

(٢) انظر فيها جميعاً تقريباً في الأحياء ١/٨ – ١١ .

(٣) انظر : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/٧ – ٩ ، والمؤلف عفا الله عنه قد بين في أول الكلام عنها أنها ليست صحيحة كلها .

وبهذا تعتبر بقية العلوم ويمتاز بعضها على بعض وشرف العالم بشـــرف علمه فالعالم بالأشرف أشرف مرتبة من العالم بما دونه ولا شرف أشرف مـــن العلم بالله تعالى وإدراك الحقائق والمعارف الإلهية وحقـــائق التوحيـــد وعلـــوم المكاشفة والاشتغال بذلك والتوصل / إليه والسعي في حصوله مـــن أشـــرف المقاصد وأعلى المطالب . ١٢٨أ-١٢٨ب

وكذلك العلم بأمره ونهيه وفهم كتابه وأسرار كلامه[١] وسنعطف على هذه القاعدة في أثناء الكلام في التفضيل إن شاء الله تعالى ونبين مراتب العلوم ونميز العلوم[٢] المحمود من العلم المذموم ولنقتصر على هذه المقدمة في فضـــل العلم وشرف المتصف به

---

(١) أما القول أن العلم بالله سبحانه وتعالى أنه أشرف علم فهو صحيح أما علم المكاشفة ومـــا يندرج تحته مما هو مقصود الصوفية فهذا أدعاء الصوفية ولا دليل عليه من كتاب الله ولا من سنة نبيه ﷺ ، والواجب الإتباع وهو معنى شهادة أن محمداً رسول الله إذا أن معناها : طاعة الرسول ﷺ فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع والمكاشفة وما يندرج تحتها من أمور الصوفية ليست من سنة الرسول ﷺ بل هي من التقدم بين يـــدي الله ورسوله ﷺ وهي من الكذب المتعمد عليه وهي عمل ليس عليه أمر الرســـول ﷺ وهـــي قـــد تجاوزت السوء والفحشاء إلى القول على الله بما لا يعلمون .

(٢) هكذا في المخطوط ، العلوم بصيغة الجمع ولو كان بصيغة المفرد لكان أكثر اســـتقامة والله أعلم .